

ملف العدد:

المبعث والإسراء والمعراج

رسالات الْهَلَمْ

إسلامية ثقافية شاملة



٣١

العدد الحادي والثلاثون - السنة الثامنة - رجب ١٤٣٣ هـ - مايو ٢٠١٢ م

اقرأ في كذا | Resalat Alqalam

- ◆ النبي ﷺ ونور البعثة.. حوار مع سماحة الشيخ عادل الشعلة
- ◆ المبعث أم الإسراء والمعراج
- ◆ البعثة النبوية الشريفة وملابساتها
- ◆ إشاعات البعثة النبوية الشريفة
- ◆ روایات بداية البعثة (مناقشة ونقد)
- ◆ قبل وبعد البعثة.. من الخطبة الغراء لفاطمة الزهراء ؑ
- ◆ الإسراء والمعراج فوق الشبهات
- ◆ المعراج إمكاناً ووقعاً

Resalat Alqalam



رسالة القلم

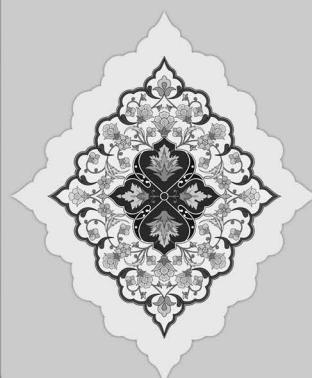
إسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن
طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية
مكتب البيان للمراجعات الدينية

- المشرف العام والمدير المسؤول:
عبد الله علي الدقاد
- رئيس التحرير:
عزيز حسن سلمان
- مدير التحرير:
عبد الرؤوف حسن الريبع
- رئيس هيئة التحرير:
خازبي عبد الحسن إبراهيم
- هيئة التحرير:
حسين علي أبو رويس
حسين فؤاد المرزوقي
محمد باقر خليل الشيخ
محمد علي خاتم





كلمة العدد

لماذا بعث الرسول ﷺ

٣

رئيس التحرير

حوار العدد

النبي ﷺ ونور البعثة

٥

حوار مع سماحة الشيخ عادل الشعلة خطيب

ملف العدد: المبعث والإسراء والمعراج

المبعث أم الإسراء والمعراج

فاضل عبد الجليل الزاكى

السيد ياسين السيد قاسم الموسوى

عماد علي الشعلة

عزيز حسن الخضران

حسن هلال الزاكى

جعفر علي المالكى

محمد علي خاتم

البعثة النبوية الشريفة وملابساتها

إشاعات البعثة النبوية الشريفة

روايات بداية البعثة (مناقشة ونقد)

قبل وبعد البعثة.. من الخطبة الغراء لفاطمة الزهراء ع

الإسراء والمعراج فوق الشبهات

المعراج إمكاناً ووقوعاً

بحوث ومقالات أخرى:

المشروعية السياسية للحكومة العلوية

غازي عبد الحسن السمّاك

آداب تلاوة القرآن الكريم

السيد جواد السيد شير الموسوي

مفردة الرحمن في القرآن

علي فاضل الصددي

أثر فساد العقيدة في عدالة الرواية عند الفريقيين

حسين فؤاد المرزوقي

تحقيق حول قرب الاستناد ومسائل علي بن جعفر

محمد علي العربي

ما ذا بعث الرسول ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على محمد وآل محمد.
حتاج الأمة الإسلامية أن تجيب على هذا السؤال بنحو جاد وملح:
لكي تلتفت إلى الأهداف الحقيقة للرسالة الحمدية الخالدة، ولكي تتأكد
من صحة مسيرها ومنهجها في الحياة. وهل أنها فعلاً على الصراط
المستقيم الذي رسمه لها النبي ﷺ، أم أنها (والعياذ بالله) في خطأ
أعد الله تعالى؟

فلمَّا إذْ بَعَثَ اللَّهُ أَحَبَّ خَلْقِهِ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ؟ وَلِمَا أَعْطَاهُ
الْقُرْآنُ الَّذِي هُوَ مُهِيمٌ عَلَى كُلِّ الْكِتَبِ السَّمَاوِيَّةِ؟

لا شك أن الهدف عظيم بعظم الرسالة وبعظم الرسول ﷺ.
نعم الهدف الأساس، والغاية الأسمى هي عبادة الله تعالى وترك
عبادة النفس أو عبادة البشر لبعضهم البعض. الهدف هو توحيد الله.
تعظيمه، تقديسه، طاعته، التعلق به، الالتجاء إليه، وترك من سواه
لأنهم كلهم محتاجون إليه.

ولو تحقق هذا الهدف المقدس والعظيم في كل تفاصيل حياة
ال المسلمين، لرأيهم سادة الدنيا بلا منازع، ولرأيهم المسلم يشار إليه
بالبنان، ولرأيهم الكافر يندب نفسه لأنه غير مسلم.

وتوحيد الله تعالى يعني رفض كل طاغوت، وتعظيم الله يعني
صغر كل من عده في عين الإنسان إلا من اكتسب عظمته من الله.
وتقديسه يعني الإسراع إلى ما يوجب محبته، وطاعته تعني مخالفته
الهوى والنفس والشيطان وتقديم إرادته على إرادة غيره سبحانه، والتعلق
به يعني ترك حب الدنيا ومغرياتها، والالتجاء إليه يعني قطع الأمل من
سواء والاعتماد عليه.

فلنتصور هذه الصفات كلّها متحققة في كلّ أفراد المسلمين (الذين يقاربون أو يزيدون عن المليار ونصف المليار نسمة). هل يمكن حينئذ أن يتسلط عليهم متسلط؟ أو يذلّهم متكبر؟ أو يستخفّ بأمرهم أحد؟

وما يعيشه أكثر المسلمين في الزمن الحاضر من ذلٌّ وهوان يدلُّ على عدم اتصافهم بهذه الصفات وأولها وأهمّها هي العبودية المطلقة لله، وترك عبادة البشر، فإنَّ المعلول لا يختلف عن عنته. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رِّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِهِمْ أَوْ جَاهَلُهُمْ أَمْمَةٌ أَمْمَةً مُفْتَصِدَةً وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

فماذا يفعل المسلم والحالُ هذه؟ وما هي وظيفته؟ وظيفته تحقيقُ هذه الصفات، وتحقيقُ هدف الأنبياء ﷺ وإنْ لم يكن معه أحدٌ غيره: «أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلْةِ أَهْلِهِ»^(٢).

نعم لقد بعثَ النبي الأكرم ﷺ لنتحرر من عبودية غير الله تعالى، وبعثَ لكي يخرجنا من ظلمات الجهل والتخلُّف إلى نور العلم والإيمان، وبعثَ لنا كرماء أقوياء، وبعثَ ليبيّن لنا أنَّ قيمتنا الحقيقة تكمن في عبوديتنا لله وحده. والحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير

الهوامش:

(١) المائدة: ٦٦.

(٢) نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٨١.

النبي ﷺ ونور النبوة

حوار مع سماحة الشيخ عادل الشعلة^(١) (حفظه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم، وأفضل الصلاة وأذكي التسلیم على حبيب قلوبنا محمد وآلـه الطيبين الـطاهرين، نرحب بكم سماحةـ الشـيخ في مجلـتكم رسـالةـ القـلم ويـطـيـب لـنـا إـجـراء هـذـهـ المـقـابـلـةـ معـكـمـ.

﴿ يَتْحَدَّثُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ بِأَوْصَافٍ مُثْلِّهِ ﴾،
﴿ حَمَيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾، وَيَصْفُهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بَعْثَةُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ وَحَاطَّبُونَ فِي فَتَّةٍ قَدْ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ وَاسْتَرْلَهُمُ الْكُبْرَيَاءُ وَاسْتَخْفَتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهَلَاءُ حَيَّارَى فِي زَلَالٍ مِنَ الْأَمْرِ وَبَلَاءُ مِنَ الْجَهَلِ فَبَالَغُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ فِي النَّصِيْحَةِ وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»^(٢).

أ. كـيفـ عـاـيـشـ النـبـيـ عـلـيـهـ وـالـهـ هـؤـلـاءـ فـيـ هـذـهـ الفـتـرـةـ مـنـ عمرـهـ الشـرـيفـ؟

❖ بـسـمـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ. وـصـلـىـ اللـهـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـآلـهـ طـيـبـينـ طـاهـرـينـ.
مرـحـباـ بـكـمـ وـبـجـمـيعـ القـائـمـينـ عـلـىـ هـذـهـ الجـلـةـ المعـطـاءـ.. رسـالـةـ القـلمـ، وجـزاـكمـ اللـهـ خـيـرـ الـجزاءـ.

استـشـهـدـتـمـ بـخـبرـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـيـ سـؤـالـكـمـ، وـقدـ أـشـارـ النـصـ إـلـىـ طـبـيعـةـ الـبـيـئـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ الـتـيـ عـاـشـهـاـ النـبـيـ عـلـيـهـ وـالـهـ، وـفـيـ هـذـاـ الإـطـارـ أـرـغـبـ فـيـ الـاستـشـهـادـ

أيضاً بعض النصوص القرآنية المبينة هذه البيئة؛ لأن التعرف على هذه البيئة بحد ذاته يرسم صورة واضحة لدلالة المفردات والعناوين التي تبيّن طبيعة معايشته عليه عليه السلام، فهو عليه عليه السلام قد عايش في هذه البيئة أناطًا من البشر.. نظاراً معانداً قد أشار إليه تعالى في مثل قوله: ﴿بَشِّيرًا وَنَذِيرًا فَاعْرَضْ أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْنَةٍ مَمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقُرْ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا عَالَمُونَ﴾^(٣).

ونظاراً مؤذياً قد أشار إليه تعالى في مثل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعْدَ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٤).
ونظاراً بذيناً، مستهزئاً قد أشار إليه تعالى في بيان قوله الفاحش في مثل قوله:

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلَهِنَا لِشَاعِرِ مَجْنُونٍ﴾^(٥).

ونظاراً منافقاً قد أشار إليه تعالى في مثل قوله: ﴿وَمَنْ حَوَلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى التَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعْدِيهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^(٦).

ونظاراً لا يعرف قدر النبي عليه السلام ولا شأنه ولا عظمته، فلم يوقره أو يكرمه أو يحترمه، وقد أشار إليه تعالى في مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرٍ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٧).

وقوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَوْاً فَلَيُخَذِّرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٨).

ونظاراً متسرعاً في آرائه وموافقه، وقد أشار إليه تعالى في مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٩).

إن هذه البيئة الصخرية المعقدة، عايشها عليهما الله معايشة رسالية، منذراً، ونذيراً، ومبشراً، داعياً، وتالياً، معلماً، ومزكياً، وحزيناً، وصابراً، ونقيراً، ورحيناً، وحليماً، وأسوة، وأمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، ومحللاً حلال الله، وحرماً حرامه، وحرضاً، وشديداً، ومقاتلاً، وشجاعاً، وطريقاً، ومعيناً لخليفته.

أما كونه منذراً، ومبشراً، ونذيراً، فكما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١٠)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١١).

وأما كونه داعياً إلى الله تعالى، فكما قال تعالى: ﴿فَاصْدِعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١٢).

واما كونه تالياً لكتاب الله تعالى، فكما قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتَّلُّ صُحْفًا مُّظَهَّرًا * فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ﴾^(١٣).

واما كونه معلماً ومزكياً، فكما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتَّلُّ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١٤).

واما كونه متاثراً، حزيناً على قومه الذين لم يستجيبوا لدعوه، فكما قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخْرُ نَفْسَكَ عَلَى آنَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثَ أَسْفًا﴾^(١٥).

واما كونه صابراً، فكما قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَأْكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(١٦).

واما كونه حسن النية، ونبي السرية، ونبي السرية، فكما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنُ قُلْ أَذْنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١٧).

واما كونه رؤوفاً رحيمًا، فكما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١٨).

وأما كونه حليما، فكما قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكُنْتَ فَطَّاً غَلِظَ الْقُلْبَ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(١٩).

وأما كونه أسوة وقدوة، فكما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢٠).

^(٢١)

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢١).

واما كونه أمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، ومحللاً حلال الله، ومحرماً حرامه، فكما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَبَعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَحرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢٢).

واما كونه محراضاً، فكما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾^(٢٣).

واما كونه شديداً على الكافرين، فكما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ﴾^(٢٤).

واما كونه محارباً للكافرين، فكما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾^(٢٥).

واما كونه ثابتاً في الميادين، وشجاعاً لا يلين، فكما قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُنَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾^(٢٦).

واما كونه طريقاً لمغرتهم، فكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيمًا﴾^(٢٧).

واما كونه معيناً ل الخليفة، فكما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنَّ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

الْقَوْمُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨﴾

هكذا عايش النبي ﷺ واقعه، ولم يأل جهداً في أداء ما حُمِّل، فجزاه الله خير الجزاء، وحيّا الله محمداً وآل محمد بالسلام.

بـ. ما الذي تستفيده نحن طلبة العلوم من سيرته وتعامله مع
أشخاص هذه أوصافهم؟

❖ بـسم الله الرحمن الرحيم. أظنّ بأنه بات واضحـاً مورد استفادتنا من سيرته ﷺ، فإنه يجب على طالب العلم أو ينبغي له -كل بحسب موردهـ أن يارس طرق معاишـته في أداء دوره الرسولي ﷺ.

❖ في نهج البلاغة يصف أمير المؤمنين عـليـهـ الـحـلـيـةـ النبي ﷺ بـ «ولـقـدـ قـرـنـ اللـهـ بـهـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ مـنـ لـدـنـ أـنـ كـانـ فـطـيـماـ أـعـظـمـ مـلـكـ مـنـ مـلـائـكـتـهـ يـسـلـكـ بـهـ طـرـيقـ الـمـكـارـ وـمـحـاسـنـ أـخـلـاقـ الـعـالـمـ لـيـلـهـ وـنـهـارـهـ»^(٢٩).

أـ) ما هي حقيقة هذا التسديد الإلهي؟

❖ بـسم الله الرحمن الرحيم. في المراد احتمالات، أذكر منها الآتي :
الاحتمال الأول: أن المسدد هو أعظم ملك في دائرة الملائكة مطلقاً، وهو جبرائيل عـليـهـ الـحـلـيـةـ، إذ لم يثبت أن أحداً من الملائكة أعظم منه عـليـهـ الـحـلـيـةـ. وقد قال تعالى في وصفـهـ: «إـنـهـ لـقـوـلـ رـسـوـلـ كـرـيـمـ * ذـيـ قـوـةـ عـنـدـ ذـيـ الـعـرـشـ مـكـيـنـ * مـطـاعـ ثـمـ أـمـيـنـ»^(٣٠).

وقد يؤيد هذا الاحتمال بما رواه الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عـليـهـ الـحـلـيـةـ قال:
«وـإـنـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ كـانـ مـسـدـدـاـ مـوـفـقاـ، مـوـيـداـ بـرـوـحـ الـقـدـسـ، لـاـ يـزـلـ وـلـاـ يـخـطـئـ فـيـ شـيـءـ مـاـ يـسـوـسـ بـهـ الـخـلـقـ، فـتـأـدـبـ بـآـدـابـ اللـهـ»^(٣١).

روح القدس هو جبرائيل عـليـهـ الـحـلـيـةـ الذي كان مسدداً لنبي الله عيسى عـليـهـ الـحـلـيـةـ منذ



أن كان فطيماً، كما أشار إليه تعالى في قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالدِّيْنِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدْسِ ثُكَّلَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلَأَ﴾^(٣٢). إلا أنّ خبر الفضيل لا يدلّ على أكثر من التسديد، وليس فيه دلالة على كون تسديده للنبي ﷺ حال صغره.

الاحتمال الثاني: أن المسدد هو أعظم ملك في دائرة ملائكة خاصين، وهم الملائكة الموكلون بتسديد الأنبياء، وهذا ما يمكن استفادته من خبر أبي جعفر عاشـلـيـةـ، إذ ورد في قول الله عزـلـ: ﴿إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَادًا﴾^(٣٣)، أنه قال: «يوكـلـ الله تعالى بـأـنـيـاـتـهـ مـلـائـكـةـ يـحـصـونـ أـعـمـالـهـ، وـيـؤـدـونـ إـلـيـهـ تـبـلـيـغـهـ الرـسـالـةـ، وـوـكـلـ بـحـمـدـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ مـلـكـاـ عـظـيـمـاـ مـنـذـ فـصـلـ عنـ الرـضـاعـ، يـرـشـدـ إـلـىـ الـخـيـرـاتـ وـمـكـارـمـ الـأـخـلـاقـ، وـيـصـدـهـ عـنـ الشـرـ وـمـساـوـيـ الـأـخـلـاقـ، وـهـوـ الـذـيـ كـانـ يـنـادـيـ السـلـامـ عـلـيـكـ يـاـ مـحـمـدـ يـاـ رـسـولـ اللـهـ، وـهـوـ شـابـ لـمـ يـلـغـ درـجـةـ الرـسـالـةـ بـعـدـ، فـيـظـنـ أـلـذـكـ مـنـ الـحـجـرـ وـالـأـرـضـ، فـيـتأـمـلـ فـلـاـ يـرـىـ شـيـئـاـ﴾^(٣٤).

فالنص أشار إلى أنّ الله تعالى وكلّ بـأـنـيـاـتـهـ مـلـائـكـةـ يـحـصـونـ الـأـعـمـالـ، وـوـكـلـ بـحـمـدـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ مـلـكـاـ عـظـيـمـاـ، وهذا يعني بأنّ هذا الملك العظيم من سـنـخـ الملائكة المحسـنـ لـلـأـعـمـالـ.

وهذا الاحتمال وإن كان مخدوشـاـ بـقـرـيـنـةـ (يـؤـدـونـ إـلـيـهـ تـبـلـيـغـهـ) إلا أنه مؤيد بـعـضـ النـصـوصـ التيـ أـشـارـتـ إـلـىـ أـنـ إـسـرـافـيلـ عـلـيـلـةـ قدـ سـبـقـ جـبـرـيـلـ عـلـيـلـةـ فيـ اقـتـرـانـهـ بـالـنـبـيـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ، وـبـعـاـ أـنـ إـسـرـافـيلـ عـلـيـلـةـ لمـ يـقـرـنـ بـالـنـبـيـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ سـوـىـ ثـلـاثـ سـنـينـ، فـهـذـاـ يـعـنيـ أـنـ هـنـاكـ مـلـكـاـ غـيرـهـاـ قدـ سـبـقـهـماـ، وـهـذـاـ مـاـ ذـكـرـهـ الشـيخـ المـفـيدـ تـدـشـ، قالـ: «قـرـنـ إـسـرـافـيلـ بـرـسـولـ اللـهـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ ثـلـاثـ سـنـينـ، يـسـمـعـ الصـوتـ وـلـاـ يـرـىـ شـيـئـاـ، ثـمـ قـرـنـ بـهـ جـبـرـيـلـ عـلـيـلـةـ عـشـرـيـنـ سـنـينـ، وـذـلـكـ حـيـثـ أـوـحـىـ إـلـيـهـ، فـأـقـامـ عـكـةـ عـشـرـ سـنـينـ ثـمـ هـاجـرـ إـلـىـ الـمـدـنـةـ فـأـقـامـ بـهـ عـشـرـ سـنـينـ، وـقـبـضـ عـلـيـهـ وـالـلـهـ وـهـوـ اـبـنـ ثـلـاثـ سـنـينـ وـسـتـةـ أـشـهـرـ»^(٣٥).

وعن الشعبي^(٣٦): "قرن إسرائيل بنبوة رسول الله ﷺ ثلاث سنين، يسمع حسنه ولا يرى شخصه، ثم كان بعد ذلك جبرئيل عليه السلام".

فاقتراhan إسرائيل عليه السلام بالنبي ﷺ، ومن بعده جبرئيل عليه السلام، يبين أن الملك الذي اقترن به منذ كان فطيمًا هو ليس جبرئيل عليه السلام.

الاحتمال الثالث: أن المسدد هو خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل عليهما السلام، ففي صحيحه أبي بصير قال: "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٣٨). قال عليه السلام: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ، وهو مع الأئمة عليهما السلام، وهو من الملائكة»^(٣٩).

وفي صحيحه الأخرى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾^(٤٠). قال: «خلق من خلق الله عزوجل أعظم من جبرئيل وميكائيل، وقد كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسده، وهو مع الأئمة من بعده»^(٤١).

* قد تقدم أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أشار في النص الذي ورد في السؤال إلى أن التسديد كان عبر أعظم ملك من ملائكته، وهذه النصوص أشارت إلى أنه خلق أعظم من الملائكة، ولم تشر إلى أنه من الملائكة، بل ورد كونه ليس من الملائكة صريحاً في خبر الحسن بن الجهم، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيَّدَنَا بِرُوحٍ مِّنْهُ مَقْدَسَةٌ مَطْهَرَةٌ، لَيْسَ بِمَلَكٍ، لَمْ تَكُنْ مَعَ أَحَدٍ مِّنْ مَضْيٍ إِلَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ مَعَ الْأَئِمَّةِ مَنِّا تَسْدِدُهُمْ وَتَوْفِيقُهُمْ، وَهُوَ عَمُودٌ مِّنْ نُورٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٤٢).

فإذا كان الخلق الأعظم ليس ملكاً، فكونه المسدد للنبي ﷺ منذ

صغره، ليس صحيحاً.

❖ بسم الله الرحمن الرحيم، نحتاج هنا إلى تقديم مقدمتين، يتضح بهما كيفية الجمع بين هاتين الطائفتين من الروايات:

الأولى: الظاهر أنّ الروح المقدّسة المعروفة بالعمود النوري -كما في الخبر الرّضوي المذكور-، هي غير روح القدس الجبريلي، وغير روح القدس الملكوتي، وفي وجوه المغايرة يمكن قول الآتي:

أما الوجه في بيان غيرية الروح المقدّسة عن روح القدس الجبريلي، هو أنّ الإمام عَلَيْهِ السَّلَام قد فسرها بالعمود النوري، وجبرائيل عَلَيْهِ السَّلَام ليس عموداً.

وأما الوجه في بيان غيرية الروح المقدّسة عن روح القدس الملكوتي، فلأنّها خاصة بالنبي ﷺ وأهل بيته عَلَيْهِ السَّلَام، بخلاف روح القدس الملكوتي فإنه ليس خاصاً بهم عَلَيْهِ السَّلَام، وهذا ما يمكن استفادته من صحيحـة جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَام: «يا جابر إنَّ الله تبارك وتعالى خلق الناس ثلاثة أصناف، وهو قول الله عزّ وجلّ: 『وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشَامَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشَامَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ』»^(٤٣). فالسابقون هم رسول الله عَلَيْهِ السَّلَام، وخاصة الله في خلقـه، جعلـ فيهم خمسة أرواح.. أيدـهم بروحـ القدس، فيه عرفـوا الأشيـاء، وأيدـهم بروحـ الإيمـان، فيه خافـوا الله عزـ وجلـ، وأيدـهم بروحـ القـوة، فيه قدرـوا على طـاعة الله، وأيدـهم بروحـ الشـهـوة فيه اشتـهـوا طـاعة الله عزـ وجلـ وكرـهـوا معـصـيـته، وجعلـ فيـهم رـوحـ المـدرجـ الذـي به يـذهبـ النـاسـ ويـجيـبونـ، وجعلـ فيـ المؤـمنـينـ وأـصـحـابـ الـيمـنةـ رـوحـ الإـيمـانـ، فيه خـافـوا اللهـ، وجعلـ فيـهم رـوحـ القـوةـ فيه قـدـرواـ علىـ طـاعـةـ اللهـ، وجعلـ فيـهم رـوحـ الشـهـوةـ فيه اشتـهـوا طـاعةـ اللهـ، وجعلـ فيـهم رـوحـ المـدرجـ الذـي به يـذهبـ النـاسـ ويـجيـبونـ»^(٤٤).

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَام قال: سألهـ عن قولـ اللهـ عـزـ وـجلـ:

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٤٥). فَقَالَ عَلَيْهِ الْأَنْبِيَا: «جَبَرِيلُ الَّذِي نَزَلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّوحُ تَكُونُ مَعَهُمْ وَمَعَ الْأَوْصِيَاءِ لَا تَفَارِقُهُمْ»^(٤٦)، وَتَسْدِدُهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِهِمَا عَبَدَ اللَّهُ وَاسْتَعْبَدَهُ الْخَلْقُ، وَعَلَى هَذَا الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَلَمْ يَعْبُدِ اللَّهُ مَلْكُ وَلَا نَبِيٌّ وَلَا إِنْسَانٌ وَلَا جَانٌ إِلَّا بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا إِلَّا لِلْعِبَادَةِ»^(٤٧).

فَالنَّصَانُ صَرِيحٌ فِي كُونِ رُوحِ الْقَدْسِ الْمُلْكُوتِيِّ عَامًاً وَلَيْسَ خَاصًا بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ رُوحَ الْقَدْسِ الْمُلْكُوتِيَّ غَيْرُ الرُّوحِ الْمَقْدَسَةِ.

الثَّانِيَةُ: بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ أَنَّ نَفْيَ الْمَلَكَيَّةِ، إِنَّمَا هُوَ عَنِ الرُّوحِ الْقَدْسِيَّةِ -الْعَمُودِ النُّورِيِّ-، وَلَيْسَ نَفْيَ الْمَلَكَيَّةِ رُوحَ الْقَدْسِ الْمُلْكُوتِيَّ، فَيُمْكِنُ القُولُ بِأَنَّهُ وَرَدَ التَّعْبِيرُ بِالْمَلَكِ عَنِ الْخَلْقِ الْأَعْظَمِ فِي بَعْضِ النَّصُوصِ، كَمَا عَنِ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَّ الرُّوحَ مَلِكُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ وَجْهٍ، فِي كُلِّ وَجْهٍ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ لِسَانٍ، يَسْبِحُ اللَّهُ بِجَمِيعِ ذَلِكِ»^(٤٨).

وَفِي آخِرِ بِإِضَافَةِ عَنْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «الرُّوحُ مَلِكُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ وَجْهٍ، وَلِكُلِّ وَجْهٍ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ لِسَانٍ، لِكُلِّ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ لِغَةٍ، يَسْبِحُ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى بِتِلْكَ الْلُّغَاتِ كُلَّهَا، يَخْلُقُ مِنْ كُلِّ تَسْبِيحةٍ مَلِكٌ يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤٩).

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ فِي تَفْسِيرِ الرُّوحِ الْوَارِدَةِ فِي قُولِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(٥٠). قَالَ: «إِنَّهُ مَلِكٌ أَعْظَمُ مِنْ جَبَرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»^(٥١).

وَلَعَلَّ هَذَا التَّعْبِيرُ عَنِ الرُّوحِ بِكُونِهِ مَلِكًاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ نَاظِرًا إِلَى كُونِهِ وَجُودًا مَلْكُوتِيًّا، كَمَا جَاءَ فِي تَعْبِيرِ صَحِيحَةِ أَبِي بَصِيرِ الْمَتَّقِدِّمَةِ.

وَيَرِدُ عَلَى هَذَا الْاحْتِتمَالِ أَنَّهُ حَتَّى لَوْ صَحَّ إِلْطَاقُ مَفْرَدَةِ الْمَلَكِ عَلَى رُوحِ الْقَدْسِ الَّذِي هُوَ غَيْرُ جَبَرِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَكُونُ القُولُ بِأَنَّهُ الْمَسْدُدُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

منذ أن كان فطيمًا، وذلك لأنه إنما ينزل على النبي حال نبوته، لا قبل ذلك، ويidel عليه قول الله عز وجل: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِعْيَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ تَشَاءُ مِنْ عِبَادَنَا»^(٥٢).

هذا مضافاً إلى أنه نفسه ينتقل من إمام إلى إمام، حال قيام الإمام بالأمر، لا قبل ذلك، وباتصاله يتعرف الإمام عند قيامه بالأمر على ما لم يكن يعرفه قبلاً، فعن عبيد ابن زراة وجماعة معه قالوا: سمعنا أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ يقول: «يعرف الذي بعد الإمام علم من كان قبله في آخر دقيقة تبقى من روحه»^(٥٣).

ويجتمع روح القدس حال انتقاله إلى الإمام القائم بالأمر مع العمود النوري، وهذا الاجتماع يمكن استفادته مما ورد عن أبي الحسن الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ أنه قال: «أنَّ الإمام مؤيد بروح القدس، وبينه وبين الله عمود من نور، يرى فيه أعمال العباد، وكلما احتاج إليه للدلالة اطلع عليه»^(٥٤).

فالحاصل أن الإمام قبل قيامه بالأمر ليس عنده إلا العمود النوري فحسب، وهذا ما يستفاد من مجموعة من الأخبار أيضاً، فعن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ قال: «إن الإمام يسمع الصوت في بطنه أمه فإذا بلغ أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن وتمت الكلمة ربك صدق وعدل لا مبدل لكلماته فإذا وضعته سطع له نور ما بين السماء والأرض، فإذا درج(أي مشى) رفع له عمود من نور يرى به ما بين المشرق والمغرب»^(٥٥).

وعن الفضيل بن يسار، قال: قال عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ: «إن الإمام منا يسمع الكلام في بطنه أمه، فإذا وقع على الأرض سطع له نور من السماء إلى الأرض، فإذا درج رفع له عمود من نور يرى به ما بين المشرق والمغرب»^(٥٦).

وعن أبي حمزة الشمالي قال: قال أبو جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ: «إن الإمام منا ليس بسمع الكلام في بطنه أمه، حتى إذا سقط على الأرض أتاها ملك فيكتب على عضده الأيمن: «وَتَمَّتْ

كَلِمَتُ رَبِّكَ صَدِقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(٥٧)، حَتَّى إِذَا شَبَّ رَفِعَ اللَّهُ لَهُ عَمُودًا مِنْ نُورٍ، يُرَى فِيهِ الدِّينُ وَمَا فِيهَا، لَا يَسْتَرُ عَنْهُ مِنْهَا شَيْءٌ»^(٥٨).
هذه احتمالات ثلاثة في بيان المسدد له عليه وآله.

ب) هل يعتبر هذا التسديد من مقامات النبوة؟

❖ بسم الله الرحمن الرحيم. الجواب ينقسم بحسب الاحتمالات السالفة الذكر، فإن قلنا بأن المسدد هو جبرئيل عليه السلام، فهذا الاحتمال خاص بمقام النبوة بنحو المعاينة، وأعم منه بشموله لمقام الحجج والولاية وغير معاينة، ويُسمى الحجّة عندها بالمحّدث، فعن زرارة في صحيحته قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ رَسُولًا تَبِيًّا﴾^(٥٩)، ما الرسول وما النبي؟ قال عليه السلام: «النبي الذي يرى في منامه، ويسمع الصوت، ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع ويرى في المنام ويعاين الملك، قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا تَبِي﴾^(٦٠)، ولا محدث^(٦١).

وإن قلنا بأن المسدد هو ملك معين، فهو ليس من مختصات النبوة، بل يشمل حتى المؤمنين فضلاً عن أوصياء الأنبياء، ففي صحيحه سليمان ابن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرًا، نَكَّتْ فِي قَلْبِهِ نَكَّةً مِنْ نُورٍ، وَفَتَحَ مَسَامَ قَلْبِهِ، وَوَكَّلَ بِهِ مَلَكًا يَسْدِدُهُ، وَإِذَا أَرَادَ بَعْدَ سُوءًا، نَكَّتْ فِي قَلْبِهِ نَكَّةً سُوْدَاءً، وَسَدَّ مَسَامَ قَلْبِهِ، وَوَكَّلَ بِهِ شَيْطَانًا يَضْلِلُهُ، ثُمَّ تَلَّاهُ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾^(٦٢).

فهنا قد وكل الله تعالى به ملكاً يسدده بإلهام الحق والصواب والخير، نعم الأملاء تتفاوت في طبيعة المهام الموكلة إليها.

وإن قلنا بأن المسدد هو روح القدس الملكوتى، فلا يكون من مختصات

النبوة، بل يشمل الإمامة، ويدل عليه مثل: خبر أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: "جعلت فداك، أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^(٦٤) قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا أبا محمد، خلق والله أعظم من جبرائيل ومكائيل، وقد كان مع رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يخبره ويسده، وهو مع الأئمة يخبرهم ويسدهم»^(٦٥).

وعن زرار، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٦٦) قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لقد أنزل الله عز وجل ذلك الروح على نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ وما صعد إلى السماء منذ أنزل، وإن له فيها»^(٦٧).

فهذا النصان الصحيحان، كافيان في بيان عدم اختصاص هذا النمط من التسديد بمقام النبوة.

✿ في هذا الإطار يمكن فتح نافذة لإثارة تساؤل عن إمكانية تواجد هذا النور الملكي في نبيين في زمان واحد، أو فينبي ونبي في زمان واحد، أو في ولدين في زمان واحد.

❖ الناظر في النصوص يجد في الوهلة الأولى أنه لا يوجد في شخصين، وفي آن واحد معاً وإنما ينتقل من واحد إلى آخر.

وقال العلامة المازندراني قائلـ: "والمراد بانتقالها -أي: انتقال روح القدس-: انتقال مثلها لا نفسها إلا أن تحمل على الملك وهو بعيد هنا".^(٦٨)

ولكن قد يقال أن انتقال المثل بعيد، لأن ظاهر النصوص هو النفس لا المثل، سيمـا كما في صحيحـة زرارـة المتقدمةـ، حيث قال فيها: إن الروحـ منذـ أنـزلـ لمـ

يُصعد إلى السماء، وإنما هو نفسه الذي أخذ ينتقل في الأئمة عليهم السلام واحداً تلو الآخر، وهذا يعني بأنه نفسه لا مثله، وإنما لو كان مثله لصعد ما في النبي صلوات الله عليه وآله إلى السماء.

كما يمكن فتح نافذة أخرى للبحث حول كون ما نزل على النبي صلوات الله عليه وآله وانتقل إلى الأئمة عليهم السلام، هل هو نفسه ما نزل على الأنبياء عليهم السلام أم ليس كذلك؟ وجهان يردان إلى الذهن:

الوجه الأول: أنه نفسه، وذلك بدلالة صحيحة جابر الجعفي المتقدمة، حيث ذكر اختصاص الرسول بروح القدس، وهذا يعني بأنه ينتقل من نبي إلى آخر حتى وصل إلى نبينا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وآله.

الوجه الثاني: أنه ليس نفسه، بدليل خبر الحسن بن الجهم المتقدم، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيْدِنَا بِرُوحٍ مِّنْهُ مَقْدُسَةٌ مَطْهُرَةٌ، لَيْسَ بِمَلْكٍ، لَمْ تَكُنْ مَعَ أَحَدٍ مِّنْ مَضِي إِلَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامٍ، وَهِيَ مَعَ الْأَئِمَّةِ مَنَا تَسْدِدُهُمْ وَتَوْفِيقُهُمْ، وَهُوَ عَمُودُ مِنْ نُورٍ يَبْنَا وَبَنِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٦٩).

إلا أنه تقدمت الإشارة إلى أن الروح المقدسة الخاصة بالنبي صلوات الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، هي عمود نوري، وهو ما ذكر في هذا النص أيضاً، وهي غير روح القدس الذي هو ملك، وهو في الأنبياء، وانتقل منهم إلى النبي صلوات الله عليه وآله، ومن بعده إلى أوصيائه.

إن قلت: إن نزوله على النبي صلوات الله عليه وآله فيه دلالة على أنه ليس هو من كان في الأنبياء؟

قلت: ليس فيه دلالة على ذلك، وكونه نازلاً من السماء، لعله إشارة لمفارقته النبي الله عيسى بن مريم عليه السلام، الذي هو في السماء كما قال تعالى: «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبَّهَ لَهُمْ

وَإِنَّ الَّذِينَ احْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧٠﴾.

وقد كان عيسى عليه السلام مؤيداً بروح القدس بنص القرآن، كما قال تعالى:
 ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ﴾ ﴿٧١﴾.

ومن هذا الانتقال نقترب من فهم معنى كون نبي الله عيسى بن مرريم (صلوات الله عليه) يُصلي خلف قائم آل محمد (صلى الله عليهم أجمعين)، فتأمل.
 ولكن صححة أبي بصير تبيّن اختصاص روح القدس الملكوت الأعظم
 بالنبي عليه السلام وبأهل بيته عليهما السلام، ولم يكن عند من مضى من الأنبياء، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ﴿٧٢﴾، قال:
 «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد من مضى غير محمد عليهما السلام، وهو مع الأئمة يسددهم، وليس كل ما طلب وجده» ﴿٧٣﴾.

● في قبال ذلك نجد في بعض كتب السيرة ما ينافي ذلك من قبيل ما ينقله ابن أبي الحديد عن تاريخ الطبراني عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي عليهما السلام قال: سمعت رسول الله عليهما السلام يقول: ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله تعالى بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمی حتى أدخل مكة فأسمراها كما يسمى الشباب، فخرجت أريد ذلك حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدف والمزمير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا فلان تزوج ابنة فلان، فجلست أنظر إليهم فضرب الله على أذني فنمت بما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبى، فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما صنعت شيئاً، ثم أخبرته الخبر، ثم قلت له ليلة أخرى: مثل

ذلك، فقال: أفعل، فخرجت فسمعت حين دخلت مكة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليلة فجلست أنظر فضرب الله على أذني فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبِي فأخبرته الخبر ثم ما همت بعدها بسوء حتى أكرمني الله برسالته.

وكذا ما رواه عن محمد بن حبيب في أماليه قال: قال رسول الله ﷺ: أذكر وأنا غلام ابن سبع سنين وقد بنى ابن جدعان دارا له بمكة فجئت مع الغلام نأخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله فملأت حجري تربا فانكشفت عورتي فسمعت نداء من فوق رأسي يا محمد أرخ إزارك فجعلت أرفع رأسي فلا أرى شيئاً إلا أني أسمع الصوت فتماسكت ولم أرخه فكان إنسانا ضربني على ظهري فخررت لوجهه وانحل إزاري فسترني وسقط التراب إلى الأرض فقمت إلى دار أبي طالب عمي ولم أعد.

أ. ما حقيقة مثل هذه النقولات؟؟

❖ بسم الله الرحمن الرحيم. وردت هذه المرويات في بعض المصادر الإسلامية، واستشهد بها بعض الكتاب، معتبراً إياها من مصاديق التسديد الإلهي للنبي ﷺ، إلا أنّ في سيرة الأنبياء وأوصيائهم عليهما السلام، ما يجعل النبي ﷺ أقل شأناً منهم، والحال أنه من الثواب عند الجميع أن نبينا ﷺ أعظمهم!!، وأكتفي بذكر شاهدين يبيبان عدم موافقة هذه النقولات وأمثالها لمقام النبي الكريم ﷺ:

الشاهد الأول: قصة النبي يحيى عليه السلام، فقد روى عن العسكري عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٧٤)، آنه قال: «ومن ذلك الحكم أنه كان صبياً، فقال له الصبيان: هلْ نلعب. فقال: أوه، والله ما للعب خلقنا، وإنما خلقنا للجد لأمر عظيم»^(٧٥).

و”روي عن عمر: أن الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا نلعب؟ فقال: ما للعب

خُلقت، فأنزل الله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٧٦).

و"عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه -والله - وسلم): قال الغلامان ليحيى بن زكرياء: اذهب بنا نلعب، فقال يحيى: ما للعب خلقنا، اذهبوا نصلبي، فهو قول الله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٧٧).

الشاهد الثاني: قصة الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، فقد روي أنّ بهلوول "رأه وهو صبي يبكي، والصبيان يلعبون، فظنّ أنه يتسرّع على ما في أيديهم، فقال: أشتري لك ما تلعب به؟ فقال عليه السلام: «يا قليل العقل، ما للعب خلقنا». فقال له: فلماذا خلقنا؟ قال: «للعلم والعبادة». فقال له من أين لك هذا؟ قال: «من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَّادًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٧٨). ثم سأله أن يعظه، فوعظه بأبيات، ثم خرّ الحسن عليه السلام مغشياً عليه. فلما أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك؟ فقال: «إليك عنّي يا بهلوول، إنني رأيت والدتي توقد النار بالخطب الكبار، فلا تقدر إلا بالصغر، وإنني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم»^(٧٩).

وبهذين الشاهدين يتجلّى عدم صوابية همه أو لعبه عليه السلام.

ب. وما هو السر في الإصرار على نقلها وتدوتها؟

❖ بسم الله الرحمن الرحيم. النقل راجع إلى مسلك الناظر في طبيعة تنزية النبي عليه السلام، فمن نقلها لم يجد فيها ما يُسيء إليه عليه السلام، بل اعتبرها من مصاديق عناية الله به، وتستدده بالملك الموكل به، سيما في مثل النقل الثاني، قد يعتبره أمراً مقبولاً، ولا يتنافي مع النبي عليه السلام، والأمر ليس كذلك، إذ كيف يصدر شيء مهين من وصفه أبو عبد الله عليه السلام بقوله: «مهذب لا يدانى، هاشمى لا يوازى، أبطحى لا يسامى، شيمته الحباء، وطبيعته السخاء، مجبول على أوقار النبوة وأخلاقها، مطبوع على أوصاف الرسالة وأحلامها، إلى أن انتهت به أسباب مقادير الله إلى

أوقاتها»^(٨٠).

وهناك من السيرة الكثير ما يكفيها لبيان تسديد الرب لنبيه صغيراً وكبيراً، بلا حاجة للاستشهاد بما يُسيء إليه عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طرف خفي أو جلي.

✿ بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سن الأربعين، ماذا تعني في نفسها؟ وما هي الدلائل التي يستضيدها السائرون على نهجه في تبليغ رسالته؟

❖ بسم الله الرحمن الرحيم. يكن النظر إلى أسرار البعثة الأربعينية من جهتين: من جهة النبي نفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن جهة أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبل الإشارة إلى هاتين الجهتين، ينبغي التنويه إلى أنّ النبي محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أول الأنبياء وأخرهم وجوداً، فعن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ أتَهُ قال في وصفه: «تَبَشَّرُ بِهِ كُلُّ أُمَّةٍ مِّنْ بَعْدِهِ» فـ«لَا قَدْرَ اللَّهِ تَعَالَى النَّبُوَةُ وَالرِّسَالَةُ، وَهِيَ لِهِ أَسْبَابُهَا، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْطَّينِ»^(٨١)، وأعلم بذلك الأنبياء وسائر الخلق، وجعله أميراً لهم جميعاً، ثم قدمهم في عالم الأبدان الذي هو مقام المواجهة مع النفس والشيطان، كتقديم المقدمة على الأمير، فصار يبشر كل أمة من بعده بموكبه وظهوره، ويوصيهم بمتابعته وموافقته وترك معاندته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٨٢). ولذا فليس في سبق النبوة زماناً دنيوياً دلالة في الفضل والكمال على من لم يسبق في ذلك.

والجهتان التي يكن الإشارة إليهما، هما كما يلي:

الجهة الأولى: النبي نفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيمكن القول بأنّ البعثة في هذا السنّ ناظرة إلى اكتمال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موارد منظورة عند الله، وهذا ما يمكن استفادته مما رواه إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ أتَهُ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَدْبَرَ نَبِيَّهُ عَلَى أَدْبِهِ، فَلَمَّا اتَّهَى بِهِ إِلَى مَا أَرَادَ، قَالَ لَهُ: «وَإِنَّكَ لَعَلَى حُكْمٍ عَظِيمٍ»، فَفَوْضَ إِلَيْهِ دِينَهُ فَقَالَ: «مَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»^(٨٣).

وهذا النص أشار إلى وجود حكمة في إيصاله تعالى نبيه إلى ما يريد، والظاهر أن لا علاقة لسن الأربعين في شيء - بما هي أربعين -، ويفيد ما ورد عن علي بن أسباط قال: "رأيت أبا جعفر عليه السلام قد خرج عليّ، فأحددت النظر إليه، وإلى رأسه، وإلى رجله، لأصف قامته لأصحابنا بصر، فخر ساجداً فقال: «إن الله احتاج في الإمامة مثل ما احتاج في النبوة. قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، وقال: فـ﴿لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾، وبلغ أربعين سنة، فقد يجوز أن يوتى الحكم وهو صبي، ويجوز أن يوتى وهو ابن أربعين سنة^(٨٤).

طبعاً لا يعني هذا، نفي ما للرقم الأربعيني من أسرار، "فإن خاصية الأربعين في ظهور الفعلية وبروز القابلية والقوة وحصول الملكة، أمرٌ مصريّ به في الآيات والأخبار، ومبرّب لدى أهل الباطن والأسرار"^(٨٥).

الجهة الثانية: أمة النبي صلوات الله عليه وآله، فيمكن القول بأنّ من أسرار بعثته صلوات الله عليه وآله في سن الأربعين هو الآتي:

أولاً: أن الله تعالى عالم بصلاحة الناس، وأنهم وصلوا إلى مرحلة لها قابلية الكمال عبر الرسالة الحمدية.

ثانياً: أن تأثير سن الأربعين أكبر في الساحة المكية والقرشية، فدعوته صلوات الله عليه وآله في هذا السن أكثر مقبولية منه ما لو كان أقل، ويمكن الاستئناس بسيرة قريش، إذ "كان لا يدخل دار الندوة -إذا حزب أمر- إلا ابن الأربعين وصاعداً"^(٨٦).

أما الجواب عن الشق الثاني من سؤالكم، وهي الدلائل المستفادة من بعثته صلوات الله عليه وآله في مثل هذا السن، يمكن تلخيصها بدراسة الظروف والفتات المستهدفة لاختيار الأشخاص المناسبين، الأقدر في التأثير والعطاء، والأكثر مقبولية.

❖ ما هي أهمية يوم المبعث الشريف للMuslimين كافة؟ وماذا يمثل لهم؟

❖ بسم الله الرحمن الرحيم. إن بعثة النبي صلوات الله عليه وآله، هي إرشاد الناس في أمور دينهم

ودنياهم، وهدايتهم إلى طريق الصواب وأحكام الشريعة. وإذا كانت كذلك، فهي ذكرى الإعان المُطهر من الشرك..

ذكرى الصلاة المزهدة عن الكبر.

ذكرى الزكاة المزكية للنفس، والمنمية للرزق.

ذكرى الصيام المثبت للإخلاص.

ذكرى الحج المشيد للدين.

ذكرى العدل المن曦 للقلوب.

ذكرى الطاعة المنظمة للملة.

ذكرى الإمامة المؤمنة من الفرقة.

ذكرى الجهاد المعز للدين.

ذكرى الصبر المعين على استيصال الأجر.

ذكرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المصلح للمجتمع.

ذكرى البر بالوالدين الواقي من السخط.

ذكرى صلة الأرحام المطيلة في العمر والمنمية للعدد.

ذكرى القصاص الحاقن للدماء.

ذكرى الوفاء بالنذر المعرض للمغفرة.

ذكرى الوفاء بالمحايل والموازين الصائن للبخس.

ذكرى النهي عن شرب الخمر المزه عن الرّجس.

ذكرى اجتناب قذف الحصنات حجاً عن اللعنة.

ذكرى ترك السرقة إيجاباً للعفة.

ذكرى تحريم الشرك إخلاصاً لله في الربوبية.

فإذا كانت البعثة تثل ذكرى ذلك كله، وهو ما علمتنا إياه فاطمة الزهراء (روحها

لآلامها الفداء)، فأهمية التنزيه عن الكبر، وزكاة النفس، وغاء الرزق، وثبات الإخلاص، وتشييد الدين، وتناسق القلوب، ونظام الملة، والأمان من الفرقة، وعز الدين، والأجر، وإصلاح العامة، الوقاية من السخط، الزيادة في العمر والنمو في العدد، حقن الدماء، والتعرض للمغفرة، وحماية الحقوق، والتنزيه عن الرجس، وحجب اللعن، وتحصيل العفة، والإخلاص في الربوبية.

وهذه الأهمية تجعلها محطة للتأمل، والاعتبار، ومراجعة المنجزات والعطاءات، ودراسة الواقع والطموح وتحديد الموقف.

﴿ حِيَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْثَتِهِ .. إِنذارُ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ .. إِنذارُ أَهْلِ مَكَّةِ .. الْهِجْرَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ .. تَأْسِيسُ الدُّولَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .. الْغَزَوَاتِ .. الْفَتوَحَاتِ .. أَمْ مَا هِيَ أَهْمَ الدُّرُوسِ الَّتِي نَسْتَخْلِصُهَا مِنْ سِيرَتِهِ الْعَطَرَةَ؟؟﴾

❖ بسم الله الرحمن الرحيم. إن الدروس كثيرة، وتنوع بتنوع سيرته (صلوات الله عليه). وأركز على ضرورة الاستمداد منه ﴿عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ مسؤولية الدعوة إلى الحق عزّ وجلّ، والتعلم منه الطريق إلى إحقاق الحق وتحرير الإنسان، وبناء القدرة على البلاغ المُبين.

والطريق إلى الحذا حذا الرسول ﴿عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾، هو أن نقف ملياً مع كتاب الله تعالى، لنقرأ قراءة نشعر بها بمسؤوليتنا تجاه رسالة الله تعالى التي تخضب الدماء في سبيل نشرها وتأصيلها وإيقانها. نقف مع القرآن لنسمع خطاب: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾^(٨٧).

وخطاب: ﴿الَّذِينَ يُبَلَّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٨٨).

وخطاب: ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظًا الْقَلْبَ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٨٩).

وغير ذلك من الآيات التي ترسم طريقاً واضحاً في تحمل مسؤولية الأنبياء (صلى الله عليهم أجمعين).

بـ. كيف تقرأون هذا التدرج في نشر الدعوة؟

❖ بسم الله الرحمن الرحيم. القراءة الأولى هي التدرج في البلاغ، حتى تأخذ الدعوة مسارها في الواقع دون ردود فعل قاتلة، إلا أنّ الموضوع يحتاج إلى تأمل وقراءة تساهمن في فهم معنى التدرج ومدارجه، فقد يأخذ الموقف المتدرج طابعاً زلزالياً أو ثورياً، فمن يقف -مثلاً- مع قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٩٠)، فقد يقرأه فيه الأسلوب الهدائى في طريق التحول التدريجى، إلا أنه زلزال اجتماعي وإداري، إلا أنّ إجراءات الموقف -أى: الدعوة إلى الطعام وطريقة تقديمها- ساهمت في امتصاص تداعيات هذا الزلزال، وقد بدت آثاره في استهزائهم.

فالبلاغ التدريجى إيداع زمني ومكاني وأفعالي وأقوالى، قد يخرج عن دائرة المرغوب، ويواجهه الواقع مهما كانت النتائج، ويمكن التمثيل بتعيين الخليفة، فرغم النقلة الكبرى التي حققها النبي العظيم ﷺ، إلا أنه خشي من تكذيب قومه في تعيينه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب علیه السلام ولیاً وإماماً وهادياً، وقد سأل ربه العصمة من الناس حين تبليغه بذلك، وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٩١).

❖ لا يسعنا في نهاية المطاف إلا تقديم الشكر الجزيل لكم سماحة الشيخ على ما تفضلتم به من وقتكم الثمين، سائلين الله تعالى أن يوفقكم لخدمة دينه إنه سميع مجيب.



❖ والشكر موصول لكم، وفي رعاية المولى وتسديده. والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

- (١) ساحة الشيخ عادل الشعلة من علماء البحرين، درس في حوزة قم المقدّسة، ثم رجع منها إلى أرض البحرين سنة ١٩٩٢م ليشتغل بالتبليغ، وكان عضواً في الهيئة المركزية في المجلس الإسلامي العلمائي في البحرين في دورته الأولى، وله حالياً نشاطات تبليغية كثيرة.
- (٢) من خطبة له عليه السلام يقرر فضيلة الرسول الكريم عليه السلام ٩٥.
- (٣) فصلت: ٤-٥.
- (٤) الأحزاب: ٥٧.
- (٥) الصافات: ٣٦.
- (٦) التوبية: ١٠١.
- (٧) الحجرات: ٢.
- (٨) النور: ٦٣.
- (٩) الحجرات: ١.
- (١٠) الشعراء: ٢١٤.
- (١١) الفرقان: ٥٦.
- (١٢) الحجر: ٩٤.
- (١٣) البينة: ٢-٣.
- (١٤) آل عمران: ١٦٤.
- (١٥) الكهف: ٦.
- (١٦) النحل: ١٢٧.
- (١٧) التوبية: ٦١.
- (١٨) التوبية: ١٢٨.
- (١٩) آل عمران: ١٥٩.
- (٢٠) القلم: ٤.



- .٢١) الأحزاب: ٢١.
- .١٥٧) الأعراف: ٢٢.)
- .٦٥) الأنفال: ٢٣.)
- .٢٩) الفتح: ٢٤.)
- .٧٣) التوبية: ٢٥.)
- .١٥٣) آل عمران: ٢٦.)
- .٦٤) النساء: ٢٧.)
- .٦٧) المائدة: ٢٨.)
- .١٩٢) من خطبة له عليه السلام تسمى الفاسحة .٢٩)
- .٢٢-١٩) التكوير: ٣٠.)
- .١١٠) المائدة: ٣١.)
- .٢٧) الجن: ٣٣.)
- .٢٠٧ / ١٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٤)
- .١٣٠) الاختصاص للمفید: ٣٥)
- (٣٦) الشعبي -فتح الشين-: عامر بن شراحيل التابعي الحميري المتوفى في سنة (١٠٣)، من علماء العامة.
- .١١٠ / ٢) تاريخ الطبری للطبری: ٣٧)
- .٨٥) الإسراء: ٣٨)
- .٢٧٣ ح ٣) الكافی للکلینی: ١ / ٣٩)
- .٥٣) الشوری: ٤٠)
- (٤١) الكافی للکلینی.
- .٢١٧، ج ١، ص ٢١٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام،
- .١١-٧) الواقعة: ٤٣)
- .٢٧١ ح ١) الكافی للکلینی: ٤٤)
- .٢) النحل: ٤٥)

- (٤٦) هكذا في المصدر، وفي الحاشية: وفي نسخة بدلـه ، توفيقهم.
- (٤٧) بصائر الدرجات للصفار: ٤٨٣ ح .١
- (٤٨) التبيان للطوسي: ٥١٥ / ٦
- (٤٩) روضة الوعظين للنيسابوري: ٤٩٢
- (٥٠) النبأ: ٣٨
- (٥١) بحار الأنوار للمجلسي: ٧ / ٩٠
- (٥٢) الشورى: ٥٣
- (٥٣) الكافي للكليني: ١ / ٢٧٤ ح .٢
- (٥٤) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ الْمُصَدِّقُ للصدوق: ٢ / ١٩٣ ح .٢
- (٥٥) بصائر الدرجات للصفار: ٤٥٤ ح .١
- (٥٦) بصائر الدرجات للصفار: ٤٥٥ ح .٢
- (٥٧) الأنعام: ١١٥
- (٥٨) بصائر الدرجات للصفار: ٤٥٥ ح .٣
- (٥٩) مريم: ٥١
- (٦٠) الحج: ٥٢
- (٦١) الكافي، ج ١، ص ١٧٦
- (٦٢) الأنعام: ١٢٥
- (٦٣) الكافي للكليني: ١ / ١٦٦ ح .٢
- (٦٤) الشورى: ٥٣-٥٣
- (٦٥) بصائر الدرجات للصفار: ٤٧٥ ح .١
- (٦٦) الشورى: ٥٣
- (٦٧) مختصر البصائر لابن سليمان: ٦٥ ح .٧
- (٦٨) شرح أصول الكافي للمازندراني: ٦ / ٧٣
- (٦٩) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ الْمُصَدِّقُ للصدوق: ١ / ٢١٦ ح .١
- (٧٠) النساء: ١٥٨-١٥٧
- (٧١) البقرة: ٨٧



- (٧٢) الإسراء: ٨٥.
- (٧٣) الكافي للكليني: ١ / ٢٧٣ ح ٤.
- (٧٤) مريم: ١٢.
- (٧٥) تفسير الإمام العسكري المنسوب للعسكري عليه السلام: ٦٦١.
- (٧٦) البيان للطوسي: ٧ / ١١١.
- (٧٧) الدر المنشور للسيوطى: ٤ / ٢٦٠.
- (٧٨) المؤمنون: ١١٥.
- (٧٩) مناقب أهل البيت (ع) للشيرازي: ٣٩٣.
- (٨٠) الكافي للكليني: ١ / ٤٤٤ ح ١٧.
- (٨١) عوالى الثائى لابن أبي جمهور: ٤ / ١٢١ ح ٢٠٠.
- (٨٢) شرح أصول الكافي للمازندرانى: ٧ / ١٦٣.
- (٨٣) بصائر الدرجات للصفار: ٣٩٩ ح ٤.
- (٨٤) بصائر الدرجات، ص ٢٥٨.
- (٨٥) رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم: ٣٧.
- (٨٦) الحد الفاصل للراهنر مزي: ٣٥٣ رقم: ٢٨٨.
- (٨٧) الغاشية: ٢١.
- (٨٨) الأحزاب: ٣٩.
- (٨٩) آل عمران: ١٥٩.
- (٩٠) الشعراء: ٢١٤.
- (٩١) المائدة: ٦٧.



المبعث أم الإسراء والمعراج

فاضل عبد الجليل الزكّي

في كل عام تقام الاحتفالات في البحرين وغيرها من البلدان الإسلامية في يوم السابع والعشرين من رجب، ولكن السؤال المهم هو بأي مناسبة نحتفل ذلك اليوم؟

وهذا السؤال إذا ما طرحته في المجتمع تواجهك ثلاثة

إجابات مختلفة:

- ١ - نحتفل بمناسبة المبعث النبوى.
- ٢ - نحتفل بمناسبة الإسراء والمعراج.
- ٣ - نحتفل بكلتا المناسبتين.

لَا شَكَ فِي أَنَّ الْمُشْهُورَ عَلَى الْأَلْسُنِ عِنْدَ عَامَةِ النَّاسِ فِي الْبَحْرَيْنِ أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمَعْرَاجَ حَصَلَ فِي لَيْلَةِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَأَمَّا الْمَبْعَثُ فَمِنَ الْمُفْرَضِ - حَسْبَ رَأْيِهِمْ - أَنَّهُ حَصَلَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمَبْارَكِ ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ كَمَا تَنَصُّ الْآيَاتُ الشَّرِيفَةُ، وَهَذَا نَجْدُ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ فِي الْبَحْرَيْنِ خَلَالَ احْتِفالِهِمْ بِهَذِهِ الْمَنَاسِبَ يَشِيرُونَ إِلَى الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجَ مِنْ دُونِ تَعرُّضٍ لِلْمَبْعَثِ النَّبِيِّيِّ أَصْلًاً.

هَذَا وَلَكِنَّ الْمُتَتَبعَ لِرَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ وَلِعَبَائِرِ عَلْمَائِنَا الْأَعْلَامِ يَجِدُ تَأْكِيدًا وَاضْحَىًّا عَلَى أَنَّ يَوْمَ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي بُعْثِثَ فِيهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامٌ، وَفِي الْمُقَابِلِ لَا يَجِدُ الْبَاحِثُ وَلَا رَوَايَةً وَاحِدَةً عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ تَشِيرُ إِلَى حَوْصُولِ حادِثَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وَلِتَوضِيحِ الْحَالِ نَسْتَعْرُضُ جَمِيلَةً مِنَ النَّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي الْمَقَامِ:

الروایات التي تحدد يوم المبعث

هُنَاكَ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ ذُكِرَتْ بِأَنَّ يَوْمَ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ هُوَ يَوْمُ الْمَبْعَثِ الشَّرِيفِ، فَمِنْ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ:

١ - مَا رَوَاهُ الشَّيخُ الْكَلِيْنِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ أَنَّهُ قَالَ: «يَوْمُ سَبْعَةِ وَعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ نُبِعِي فِي رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامٌ، مَنْ صَلَّى فِيهِ أَيَّّ وَقْتٍ شَاءَ ثَنَقَ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةِ ...»^(١).

٢ - وَمَا رَوَاهُ الشَّيخُ الْكَلِيْنِيُّ أَيْضًا بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي الْحَسْنِ الْكَاظِمِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ أَنَّهُ قَالَ: «بَعَثَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) مُحَمَّدًا عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامٌ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فِي سَبْعَةِ وَعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، فَمَنْ صَامَ ذَلِكَ الْيَوْمَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ صِيَامَ سَتِينِ شَهْرًا؛ وَفِي خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَضَعَ الْبَيْتُ وَهُوَ أَوَّلُ رَحْمَةٍ وَضَعَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَجَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا،

فمن صام ذلك اليوم كتب الله له صيام ستين شهراً، وفي أول يوم من ذي الحجة ولد إبراهيم خليل الرحمن، فمن صام ذلك اليوم كتب الله له صيام ستين شهراً»^(٢).

٣ - ما رواه الشيخ الصدوق (بسند معتبر) عن الحسن بن راشد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في حديث طويل: «ولا تدع صيام يوم سبعة وعشرين من رجب فإنه هو اليوم الذي أنزلت فيه النبوة على محمد عليهما السلام وثوابه مثل ستين شهراً لكم»^(٣).

٤ - ما رواه الشيخ الصدوق عن والده عن سعد بن عبد الله الأشعري القمي عن أحمد بن الحسين بن الصقر عن أبي الطاهر محمد بن حمزة بن اليسع عن الحسن بن بكار الصيقيل عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «بعث الله محمداً عليهما السلام ثلاثة ليالٍ مضيين من رجب، فصوم ذلك اليوم كصوم سبعين عاماً» قال سعد بن عبد الله: كان مشايختنا يقولون: إن ذلك غلطٌ من الكاتب، وذلك أنه ثلاثة ليالٍ بقي من رجب»^(٤).

٥ - ما رواه الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد عن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال: «إن في رجب لليلة خيرٌ مما طلعت عليه الشمس، وهي ليلة سبع وعشرين من رجب، فيها نبأ رسول الله عليهما السلام في صحيحتها، وإن للعامل فيها من شيعتنا أجر عمل ستين سنة، قيل له: وما العمل فيها أصلحك الله؟ قال: إذا صليت العشاء الآخرة وأخذت مضمحةك ثم استيقظت...»^(٥).

٦ - ما رواه الشيخ الطوسي في أماليه بإسناده عن كثير النوا عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وفي اليوم السابع والعشرين منه -يعني من رجب- نزلت النبوة على رسول الله عليهما السلام من صام هذا اليوم كان ثوابه ثواب من صام ستين شهراً»^(٦).

٧ - ما رواه الشيخ النوري في مستدركه عن نوادر السيد فضل الله الرواندي بإسناده عن ابن عباس عن رسول الله عليهما السلام أنه قال: «في سابع وعشرين من رجب

، بعث الله محمداً ﷺ ، فمن صام ذلك اليوم كان كفارة ستين، ويعصمه الله تعالى من إبليس وجنوده، فإن مات في يومه أو في ليلته مات شهيداً...»^(٧).

٨ - ما رواه الشيخ النوري في مستدركه عن نوادر السيد فضل الله الرواندي بإسناده عن ابن عباس أنه كان يقول: "في سبع وعشرين ليلة خلت من رجب بعث الله تعالى محمداً ﷺ ، فمن صلى تلك الليلة اشتى عشرة ركعة، فإذا فرغ من صلاته قرأ فاتحة الكتاب سبع مرات، ثم صام ذلك اليوم، كان كفارة ستين سنة"^(٨).

٩ - ومنها ما رواه قطب الدين الرواندي بإسناده عن إسحاق بن عبد الله العلوي العربي قال: "أختلف أبي وعمومتي في الأربعة الأيام التي تصام في السنة، فركبوا إلى أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام وهو مقيم بـ(صربيا) قبل مسيره إلى سر من رأي). فقال لهم: «جئتم تسألوني عن الأيام التي تصام في السنة؟ فقالوا: ما جئناك إلا لهذا» فقال: «الاليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول، وهو اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ ، والاليوم السابع والعشرون من رجب، وهو اليوم الذي بُعث فيه رسول الله ﷺ ، والاليوم الخامس والعشرين من ذي القعدة، وهو اليوم الذي دحيت فيه الأرض من تحت الكعبة، والاليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو يوم الغدير»^(٩).

كلمات العلماء في تحديد يوم المبعث

وأما كلمات العلماء في كتبهم الفقهية فهي كثيرة جداً بحيث يعسر إحصاؤها، وهي تؤكد على استحباب صومه وعلى أنه يوم المبعث ولم يشر أحد منهم إلى أنه يوم الإسراء والمعراج، ومن أكده على ذلك من علمائنا أبو الصلاح الحلبي وابن البراج وابن زهرة والحق الحلبي والعلامة الحلبي والشهيد الأول والحق الكركي والمقدس الأرديبيلي والفارض الهندي وصاحب الجواهر وصاحب العروة والإمام الخميني والسيد الخوئي^(١٠).

وقد تعرض علماء البحرين لهذه المسألة ونصوا على أن يوم السابع والعشرين من رجب هو يوم المبعث، فممن ذكر ذلك صاحب المدائق وصاحب السداد وصاحب المعتمد والشيخ زين الدين رحمه الله^(١١).

تاريخ الإسراء والمعراج في مصادرنا

بحسب التتبع لم نجد في روایاتنا ما يشير إلى تعيين يوم الإسراء والمعراج على أنه في شهر رجب ولا في غيره، هذا بالنسبة للروايات، ولكن وردت بعض التواریخ في کتب علمائنا، ومن أقدم من أشار إلى تعيین يوم الإسراء هو الشیخ علی بن یوسف الحلی (وهو الأخ الأکبر للعلامة الحلی) حيث قال في کتابه (العدد القویة) ما لفظه: "وَفِي لَيْلَةِ إِحْدَى وَعُشْرَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسْتَةِ أَشْهُرٍ كَانَ الإِسْرَاءَ بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ، وقيل: في السابعة عشر من شهر رمضان ليلة السبت. وقيل: ليلة الاثنين من شهر ربيع الأول بعد النبوة بستين^(١٢)، ولكنه عاد في نفس الكتاب ونقل عن کتاب التذكرة: "وَفِي لَيْلَةِ السَّابِعِ وَالْعُشْرَيْنِ مِنْ رَجَبِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ كَانَ الإِسْرَاءُ"^(١٣).

وجاء بعده العلامة الجلسي فنقل عنه عین هذا الكلام^(١٤).

والظاهر أن كتاب التذكرة المشار إليه هو (التذكرة من کلام الرسول وآله والصحابة والتبعين) ومؤلفه محمد بن الحسن بن حمدون وهو من علماء العامة توفي سنة ٥٢٦ هـ.

وأما مصادر العامة

الباحث في المصادر القدیمة للعامة یجدهم قد اختلفوا في تحديد يوم المبعث كما اختلفوا أيضاً في تحديد يوم الإسراء والمعراج.

والمعروف عندهم أنَّ البعثة حصلت في شهر رمضان، لأنَّ القرآن نزل فيه، ولكن مع ذلك لديهم بعض الروايات الأخرى في هذا المجال، وبعضها ذكر يوم السابع والعشرين من رجب على أنه يوم المبعث، فمثلاً:

١ - روى البيهقي في (فضائل الأوقات)، عن سلمان الفارسي قال: "قال رسول الله ﷺ: في رجب يوم وليلة من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان كمن صام من الدبر مائة سنة وقام مائة سنة، وهو ثلث بقين من رجب، وفيه بُعثَتْ محمد ﷺ" (١٥).

٢ - روى الخطيب البغدادي بسنده عن أبي هريرة أنه قال في حديث طويل: "ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب، كتب له صيام ستين شهراً، وهو أول يوم نزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بالرسالة" (١).

٣ - وأورد الحلي في (السيرة الحلبية) عن الدمياطي في سيرته عن أبي هريرة قال: "من صام يوم سبع وعشرين من رجب، كتب الله تعالى له صيام ستين شهراً، وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل عليه السلام على النبي ﷺ بالرسالة، وأول يوم هبط فيه جبريل عليه السلام" (١٧).

روايات العامة في الإسراء

المتابع لمصادر العامة يجدها مختلفة في تعين يوم الإسراء والمعراج، وقد أشار إلى هذا الاختلاف أبو الفرج ابن الجوزي (توفي سنة ٥٩٧هـ) حيث قال ما نصه: "الباب الثالث والثلاثون: قال الواقدi عن رجاله: كان المسْرَى ليلة السبت لسبعين عشرة ليلة خلت من رمضان في السنة الثانية عشرة من المبعث، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً. وروى أيضاً عن أشياخ له قالوا: أُسرِي برسول الله ﷺ ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة وهذا قول ابن عباس وعائشة، وسمعتُ شيخنا أبا الفضل بن ناصر يقول: قال قوم: كان الإسراء قبل الهجرة بسنة، وقال آخرون: قبل



الهجرة بستة أشهر فمن قال لِسَنَةٍ فِي كُونِ ذَلِكَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَمَن قَالَ لِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ فِي كُونِ ذَلِكَ فِي رَجَبٍ، وَمَن قَالَ لِسَتَةِ أَشْهُرٍ فِي كُونِ ذَلِكَ فِي رَمَضَانَ، قَلْتُ: وَقَدْ كَانَ فِي لِيَلَةِ سَبْعِ وَعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ^(١٨).

كما أشار إلى هذا الاختلاف ابن كثير الدمشقي (توفي ٧٧٤هـ) بقوله:

"فَعَلَى قَوْلِ السَّدِيقِ يَكُونُ الإِسْرَاءُ فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَعَلَى قَوْلِ الزَّهْرِيِّ وَعَرْوَةِ يَكُونُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مِنْبَرٍ عَنْ جَابِرٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَا: وَلَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَيلِ يَوْمَ الْاثْتِينِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَفِيهِ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفِيهِ هَاجَرَ، وَفِيهِ مَاتَ. فِيهِ انْقِطَاعٌ (أَيْ سَنْدَهُ مَنْقُطَعُ، غَيْرُ تَامٍ لِالسَّنْدِ). وَقَدْ اخْتَارَهُ الْحَافِظُ عَبْدُ الْفَنِيِّ بْنُ سَرْوَرِ الْمَقْدِسِيِّ فِي سِيرَتِهِ وَقَدْ أَوْرَدَ حَدِيثًا لَا يَصْحُ سَنْدُهُ ذَكْرُنَا فِي فَضَائِلِ شَهْرِ رَجَبٍ أَنَّ الإِسْرَاءَ كَانَ لِيَلَةَ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الإِسْرَاءَ كَانَ أَوَّلَ لِيَلَةَ جُمُوعَةَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ^(١٩).

ويتضمن العبارتين المتقدمتين أن مصادر العامة غير متفقة على حدوث الإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين من رجب، فتعيينهم له كيوم لإحياء ذكرى الإسراء والمعراج لا يبني على أساس متين، والشهرة الحاصلة عندهم في هذه الأعصار وما قاربها ناتجة عن قلة التحقيق ليس إلا، ولعل مما ساعد على اشتهرار ذلك بينهم مؤخرًا قيام العديد من الدول بإعلان ذلك اليوم عطلة رسمية.

المبعث في شهر رمضان أم في شهر رجب؟

تبين من خلال الروايات المتقدمة من طرقنا أن يوم المبعث هو السابع والعشرين من رجب، ولكن يبقى في البين تساؤل مهم حول كيفية الجمع بين هذه الروايات وبين بعض الآيات التي تدلّ على نزول القرآن الكريم في ليلة القدر من شهر رمضان، مثل:

١ - قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^(٢٠).

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٢١).

٣ - قوله تعالى: ﴿حَمْ * وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أُمَّرِ حَكِيمٌ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾^(٢٢).

وقد ذُكرت في المقام ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الوحي له مراتب وكيفيات متعددة، فمنها ما يكون بالرؤيا، ومنها ما يكون بالنداء الذي يسمع الصوت ولا يرى شيئاً، ومنها أن ينزل الملك من عند الله فيخاطب النبي ﷺ فيسمعه ويراه، ويذهب البعض إلى أن جميع هذه المراتب حصلت للنبي ﷺ:

١ - فأول ما حصل هو الرؤيا الصادقة التي رأها رسول الله ﷺ.

٢ - ثم حصلت المرتبة الثانية حيث تشير بعض المصادر إلى سماعه ﷺ للنداء السماوي من دون وساطة ملك.

٣ - ثم حصلت المرتبة الثالثة وهي نزول الوحي الإلهي عبر الملك، حيث كان الرسول ﷺ يبصر جبرائيل عليه السلام ويراه، ويتلقي منه الوحي والآيات القرآنية. ويقول هؤلاء بأن النبي ﷺ سمع النداء في يوم السابع والعشرين من رجب ولم ينزل عليه شيء من القرآن، ثم بعد ذلك بعده ابتدأ نزول القرآن عليه في شهر رمضان.

القول الثاني: أن للقرآن نزولين:

النَّزُولُ الْأَوَّلُ: مِنَ الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْوُرِ.

النَّزُولُ الثَّانِيُّ: مِنَ الْبَيْتِ الْمَعْوُرِ إِلَى قَلْبِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ خَلَالِ نَزْوْلِ جَبَرِيلٍ.

والآيات التي تتكلم عن نزول القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان تتكلم عن نزوله من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور، ولكن نزول الآيات الأولى من سورة العلق على قلب الرسول ﷺ كان في شهر رجب.

القول الثالث: وهو القول الذي تبناه العلامة الطباطبائي في الميزان، وحاصله: أن للقرآن نحوين من النزول:

الأول - النزول الدفعي: حيث إن ظاهر قوله تعالى: **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾**، وقوله تعالى: **﴿حَمٌ * وَالْكِتَابُ الْمُبِينٌ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾**، أن كل القرآن وبأجمعه قد نزل في ليلة القدر من شهر رمضان، لأن بعض آياته هي التي نزلت في ليلة القدر، وهذا عبرت الآية بـ(الإنزال) الظاهر في الإنزال دفعة واحدة، ولم تعبر بـ(التنزيل) الظاهر في النزول التدريجي.

الثاني - النزول التدريجي: وهو المستفاد من آيات أخرى أشارت لما هو المعروف من النزول التدريجي خلال ثلات وعشرين سنة من عمر الدعوة الإسلامية، مثل قوله تعالى: **﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾**^(٢٣)، وقوله تعالى: **﴿وَقَرَأْنَا فَرْقَنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾**^(٢٤). فالقرآن بناء على هذا القول الثالث - نزل نزولا تدريجياً بحسب المناسبات خلال فترة الدعوة وكان ابتداء نزوله في يوم المبعث النبوي في شهر رجب، ونزل نزولا آخر دفعة واحدة على قلب الرسول ﷺ في ليلة القدر.

الهوامش:

(١) الكافي ٣: ٤٧٠.

(٢) الكافي ٤: ١٤٩.

(٣) فضائل الأشهر الثلاثة: ٢٠، ومن لا يحضره الفقيه ٢: ٩٠، وثواب الأعمال: ٧٤.

(٤) فضائل الأشهر الثلاثة: ٢١.

- (٥) مصباح المتهجد: ٨١٣.
- (٦) أمالى الشیخ الطوسي: ٤٥.
- (٧) مستدرک الوسائل ٧: ٥١٨ ، الباب ١٢ من أبواب الصوم المنذوب، الحديث ١.
نوادر الرواندي: ٢٦٦.
- (٨) مستدرک الوسائل ٧: ٥١٩ ، الباب ١٢ من أبواب الصوم المنذوب، الحديث ٢.
نوادر الرواندي: ٢٦٧.
- (٩) الخرائج والجرائح ٢: ٧٦٠.
- (١٠) انظر المصادر مرتبة: الكافي للحليبي: ١٦٠ ، المذهب لابن البراج ١: ١٤٨ ، غنية النزوع: ١٠٨ ، المعتبر ٢: ٣٧٤ ، تذكرة الفقهاء ٢: ٢٨٧ ، ذكرى الشيعة ٤: ٢٨٣ ، جامع المقاصد ١: ٧٥:
مجمع الفائدة والبرهان ٥: ١٨٤ ، كشف اللثام ١: ١٤١ ، جواهر الكلام ٥: ٣٦ ، العروة الوثقى ٢:
١٥١ (في الأغسال المستحبة)، تحرير الوسيلة ١: ٩٨ ، منهاج الصالحين ١: ٩٩.
- (١١) انظر المصادر مرتبة: الحدائق الناضرة ٤: ٢٣٥ ، سداد العباد: ٢٥ ، معتمد السائل: ١١١ (في
الصوم المستحب)، كلمة التقوى ٢: ٩٧.
- (١٢) العدد القوية: ٢٣٤.
- (١٣) العدد القوية: ٣٤٤.
- (١٤) بحار الأنوار ١٨: ٣١٩.
- (١٥) فضائل الأوقات للبيهقي: ٩٦.
- (١٦) تاريخ بغداد ٨: ٢٨٤.
- (١٧) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٣٨٤.
- (١٨) الوفا بتعريف فضائل المصطفى ١: ١٦١.
- (١٩) البداية والنهاية ٣: ١٣٥.
- (٢٠) سورة البقرة: ٢٨٥.
- (٢١) سورة القدر: ١.
- (٢٢) سورة الدخان: ٣.
- (٢٣) السجدة، ٢.
- (٢٤) الإسراء، ١٠٣.



البعثة النبوية الشريفة وملامحها

السيد ياسين السيد قاسم الموسوي

بسم الله والصلوة والسلام على خير خلق الله العبد المؤيد
الرسول المسدّد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتَوَلَّهُمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

موضوع هذا البحث "البعثة النبوية المباركة" وبحث كل ما دار
قبلها من مقتضياته -إذ لا يتضح دورها إلا بمعرفة المناخ الذي ولدت
فيه - فالباحث إذن في مقامين:

المقام الأول: ما قبل البعثة وفيه نقاط

أولاً: الجاهلية قبل الإسلام

إن طبيعة البحث حول موضوع البعثة يحتم علينا ملاحظة ما قبلها من الجو والمناخ الذي ولدت فيه، لنعرف ملابساتها وتداعياتها وما جرى عند ولادتها من أحداث، وذلك من خلال دراسة ماهية ذلك العصر من عادات أهله ومعتقداتهم، وسنعرضها كخصائص له بشيءٍ من التوسيع والبساط.

خصائص العصر الجاهلي وما يعني اصطلاح الجاهلية:

إنما سمي هذا العصر -العصر المتصل بظهور الإسلام- بالجاهلي، لأنّ الحاكم فيه هو الجهل لا العلم، والمسيطر عليه يومئذ هو الباطل لا الحق فلذا سمي بذلك وعرف بعضُهم^(٢) الجاهلية اصطلاحاً أتها: مجموعة الأفكار والعواطف والأعمال والمواقف أو السلوكيات المضادة لشريعة الإسلام والحضارة الإنسانية بشكل عام، وعرفها بعض آخر^(٣) أنها: عدم العلم وفقدان المعرفة، وخصائص الجاهلية العربية قبل البعثة على مستويات منها:

المستوى العقائدي: كانت عقائده منحرفة كعبادة الأوثان والأصنام والاستسقاء بإشعال النيران في أذناب البقر بعد حزمها مع أشجار سريعة الاحتراق^(٤) الخ، ولذا وصفهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة بقوله: «وأنتم معاشر العرب على شر دين وفي شر دار... الأصنام فيكم منصوبة والآثام فيكم معصوبة»^(٥).

مستوى العادات والتقاليد: فقد كانت متمحضة في الجهل المدقع؛ الذي أورث لهم عادات يقتها الطبع الإنساني كمثل وأد البنات وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة «وإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُتِّلتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِّلتْ»^(٦)، وكذلك قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «في بلاء أزل وإطباقي جهل: من بنات موردة وأصنام معبدة وأرحام مقطوعة وغارات



مشنونة»^(٧)، وبغضهم أن يبشر أحدهم بالأنى وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأَنَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوَّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ»^(٨)، وإذا خاف بعضهم عند نزول القحط والجذب الإلماق فإنهم يقتلون أولادهم وهذا ما تبينه الآية المباركة «وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْبًا كَبِيرًا»^(٩) وانتشار أنواع الزيجات الخاطئة الفاحشة واستحقار المرأة إلى درجة الحيوان، حتى جاء الإسلام ليغير مكاييل وموازين الإنسانية «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَئْتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^(١٠)، و«أَتَيْ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ»^(١١) وأوصاهم بالزواج بالشكل الصحيح كما في قوله تعالى: «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ»^(١٢)، ومن عاداتهم الحرافية الكثير أيضاً نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، مثلاً: نهيق الرجل إذا أراد دخول القرية وهو خائف من وبائها، تصفيق الضال في الصحراء ليهتدى، وشقّ الرجل برقع المرأة وشقها ردائها يوجب الحب المقابل الدائم وإلا فلا^(١٣)، وما إلى ذلك مما ينبئ عن ما كانوا عليه من جهل وتخلف.

المستوى الاقتصادي: فقد كانت عمليتا الربا والاحتياط رائجتين وقد نتج عنهما ومثيلاتها الطبقية الاجتماعية الفاحشة والرق، كذلك القمار والظلم في المواريث كعدم الإرث للمرأة بل إنها مما يورث وعدم تحديد أصل الإرث بحدود وضوابط.

المستوى الاجتماعي: فمن سماته البارزة الواضحة وهي من مقتضيات البداوة والتخلف والطبيعة العربية آنذاك انتشار التعصب القبلي الذي أدى إلى حروب طاحنة وهذا ما يوضحه لنا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصفه لهم: «وَالْأَحْوَالُ مُضْطَرْبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكُثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ... وَغَارَاتٌ مُشْنُونَةٌ»، والنتيجة الطبيعية لهذا هو

التفكك الاجتماعي الناشئ من حروبها وعصبيتها ومن التفككات الأسرية الناجمة من العبث الجنسي والانحلال الخلقي والأخلاقي.

دفع تعارض يتوهم:

ألفتني كلمتان مباركتان لسيد البلغاء والمتكلمين أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِين قد يتوهم البعض منها التعارض، والكلمتان هما قوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِين في إحدى خطبه عند وصفه للعرب قبلبعثة: «وأتم عشر العرب على شر دين وشر دار» وفي خطبة أخرى «في خير دار وشر جيران»، فكيف نوفق بين «شر دار» و«خير دار»؟ أقول أولاً: لا بد أن ننظر إلى سياق الحديث في كليهما على حدة؛ حتى نتعرف على ما يدور حولهما وما يفهم من سياق الحدثين اللذين وقعا فيه لرفع التعارض المتصوّر.

ثانياً: من خلال النظر والتدقيق يظهر من سياقهما عدم التعارض، حيث إن اللحاظين اللذين على أساسهما قسم عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِين الدار تارة إلى شر وتارة إلى خير مختلفان، فإن اللحاظ في المقطع الأول هو النظر لأحوال الناس وسلوكياتهم حينذاك وما تحمله من مخالفات إنسانية وأخلاقية، وهذا ما يظهر من سياق كلامه عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِين في نفس الفقرة من الخطبة وهو قوله: «.. وتسفكون دماءكم، وتقطعنون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآلام بكم معصوبة»، وقد تكون من باب (تسمية الشيء باسم لازمه) كما إذا قلت "الزّمن غدار" فالزمن بما هو أوقات وأحيان -وبما هو أمر اعتباري - ليس من قابلاته الغدر وإنما وصف باسم لازمه ألا وهم الناس الموجودين فيه.

وأما الثاني فلحاظه المكان الجغرافي، وأتها منطقه خير، وما يدلل على هذا التوجيه ما عطف عليه من قوله «وشر جيران» مكانياً، وما يدلل على هذا أيضاً -أنها جغرافياً دار خير - اعتبارات عده:

- منها: احتضانها للكعبة المشرفة وهي من خير بقاع الأرض وهي بيت الله الحرام.

- ومنها: احتواها السلالة الطاهرة للأنبياء والأوصياء التي جاء من صلبها نبينا عليهما السلام وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

- ومنها: تقع بعض أهلها بعض مكارم الأخلاق، كما يذكر لنا التاريخ.

- ومنها: أنها قتلت مركزاً تجاريًّاً وثقافياًً ودينياًً فكان يجتمع فيها حجاج بيت الله الحرام وأصحاب الفنون والطقوس والوجاهة وغيرهم.

وما يُثبت من جهة أخرى أن لحظتها جغرافياً هو أنّ جيرانها حقاً «شرجيران» كما يقول بعضهم عن هذه الحيثية:

”كانت العرب يومئذ تجاور في جنوبها الحبشة وهي نصرانية، وفي مغربها أمبراطورية الروم وهي نصرانية أيضاً، وفي شمالها الفرس وهم مجوس، وفي غير ذلك مصر والهند وثيتان، وفي أرضهم طوائف من اليهود، وهم وثنيون يعيش أكثرهم عيشة القبائل، وهذا كله هو الذي أوجد لهم اجتماعاً همجياً بدويأً فيه أخلاق من رسوم اليهودية والنصرانية والمجوسية، وهم سكارى في جهالتهم“^(١٤).

ثانياً: مولد النبي عليهما السلام وما رافقه من كرامات

بما أنّ مولد النبي الأكرم عليهما السلام مدخلية في مسألة البعثة النبوية من جهة أنه كان من المهدات المهمة لتبسيط أمر البعثة والإسلام، وقد يطرح سؤال في المقام، ما المدف من وقوع بعض الحوادث عند ولادة نبينا عليهما السلام؟ ويجاب أنه يتلخص الهدف من ذلك في أمرين:

الأول: إنّها تدفع الجبارية والوثنيّين وعبدة الأصنام إلى التفكير فيما هي كهزّة تذكيرية).

الثاني: إنّ هذه الحوادث جاءت لتبرهن وتدلّل على جلاله شأن المولود

وعظمته.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا وقبل الدخول للمبعث الشريف بعض ما صاحب وواكب ميلاد خير البشر من حوادث وعلامات وكرامات:

- ١- انطفاء نيران فارس التي بقيت ولم تنطفئ لعشرات السنين وهي تُعبد.
- ٢- ارتجاج إيوان كسرى وسقوط أربعة عشر شرفةً منه.
- ٣- تساقط الأصنام المنصوبة في الكعبة على جوهاها، وتنكست كل أصنام الدنيا.
- ٤- جفاف بحيرة ساوة.
- ٥- رؤية أنوشيروان (ملك الفرس) ومؤيدوه رؤيا مخيفة.
- ٦- أن إيليس رن (صوت بحزن وكآبة) أربع رنات: رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ والرنّة الرابعة يوم مبعث النبي ﷺ (١٥).

ثالثاً: نفحات من تاريخ شباب النبي ﷺ

طلياً لشيء من تاريخ حياته ﷺ نتجاوز تاريخ طفولته حتى صيامه، مختصرتين عرض الأحداث وصولاً لمبتغانا وهي فترة البعثة وما رافقها، والكلام - فعلاً - في أهم الأحداث التي مررت به في فترة شبابه قبل بعثته ﷺ مباشرة.

نحن نعلم من حيث المبدأ أن قادة المجتمع يجب أن يكونوا أقوياء شجعان، ومتميزين في كل أبعاد شخصيتهم، بحيث يتلذون قوةً روحيةً كبرى، ويتمتعون بصدر رحب، وإرادة قوية، فإنّ لعظمة القائد الروحية ولقواه البدنية والنفسية تأثيراً عظيماً على أتباعه وأنصاره؛ ولقد كانت شخصية عزيز قريش نبينا محمد ﷺ تتميّز في شتى أبعادها بالبطولية والمثالية ومن هذا أمثلة كثيرة في شبابه قبل البعثة، وبعد شبابه - قبل وبعد البعثة - نذكر منها:

ما روی عن مشاركته مع قريش في حرب الفجار - قبل البعثة - مع قبيلة

هو ازن، على الاختلاف الدائر في صحة ذلك وعدمه، ولكن إن كان صحيناً فإنه في مثل الرواية المروية عن الحادثة قد بين أنّ الحرب كانت نوع من إنصاف المظلوم على الظالم، ومحل شاهدنا: هو إنْ صحَّ الرواية على أنه شارك ولم يتجاوز عمره العشرين فهذا دليل واضح على شجاعته وقوته وجرأته قبلبعثة.

أمّا بعدبعثة فالأدلة على ذلك كثيرة ولكن لسنا بصددها ولكن نذكر رواية جميلة عن أمير المؤمنين عليهما السلام كمثال واحدٍ وهو قوله عليهما السلام: «كُنَا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسَ اتَّقِنَا بِرَسُولَ اللَّهِ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِّنْنَا أَقْرَبَ إِلَى الْعُدُوِّ مِنْهُ»^(١). مشاركته عليهما السلام في حلف الفضول:

وهو حلف شريف حميد كان يفضي إلى نصرة المظلوم والنهي عن المنكر، وقد عقد في دار أبي جدعان بغمس أيدي المجتمعين في ماء زمزم وقد أثني عليه عليهما السلام بعد نبوته وأمضاه بقوله: «مَا أَحَبَّ أَنْ لِي بِحَلْفٍ حَضُورَتِهِ فِي دَارِ أَبِي جَدِيعَ حَمْرَ النَّعْمَ، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ أَوْ لَمْ تَلْأِمْنِي^(١٧)».

رعاية عليهما السلام للأغنام:

وفي هذا ورد في الخبر عنه عليهما السلام: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ»، قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: «أَنَا رَعَيْتُهَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْقَرَارِيْطِ»^(١٨).

عمله في التجارة:

بعد أن اشتهر النبي عليهما السلام بالصادق الأمين، بلغ خديجة ذلك وكانت آنذاك صاحبة رصيد مالي كبير وكانت تحركه في التجارة عن طريق المضاربة - وهي دفع أحد الطرفين مالاً وتحريك شخص آخر لهذا المال بالعمل ويسمى (عامل) لتكون الأرباح بينهما بالنسبة المتفقة والخسارة على صاحب المال - فبعثت إليه فوراً قائلة: «إِنِّي دَعَانِي إِلَيْكَ مَا بَلَغْنِي مِنْ صَدْقٍ حَدِيثٍ وَعَظِيمٍ أَمَانَتْكِ

وَكَرَمُ أَخْلَاقِكَ، وَأَنَا أُعْطِيَتُكَ ضُعْفًا مَا أُعْطَيَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِكَ، وَأَبْعَثُ مَعَكَ غَلَامِينَ يَأْتِرُانَ بِأَمْرِكَ فِي هَذَا السَّفَرِ»^(١٩). وَكَانَتْ هَذِهِ عَبَارَةً عَنْ مُضَارَبَةٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْوَالِ خَدِيجَةَ وَلَيْسَ إِجَارَةُ النَّبِيِّ لِخَدِيجَةَ، لَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ أَجِيرًا لِأَحَدٍ قَطْ.

زَوْاجُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السَّيْدَةِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خَالِدٍ:

بَعْدَ أَنْ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الزَّوْاجِ وَأَقْدَمَ عَلَى زَوْاجِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خَوَلِيدٍ تَلْكَ الْمَرْأَةِ الْثَّرِيَّةِ الْمُعْرُوفَةِ بِكَثْرَةِ مَالِهَا؛ وَالَّتِي رَفَضَتْ كُلَّ طَلَبَاتِ الزَّوْاجِ وَمِنْ أَكْبَرِ الشَّخْصِيَّاتِ ثَرَاءً آنذاكَ مِنْ أَمْثَالِ: أَبِي جَهَلِ بْنِ هَشَامٍ وَأَبِي سَفِيَّانَ، وَلَكِنَّ الْغَيْبِ يَخْفِي عَنَّا السَّرَّ فِي قَبُولِهَا لِهِ مَعَ الْفَارَقِ الشَّاسِعِ بَيْنِ وَضْعِهِمَا الْمَعِيشِيِّ، وَبَعْضُ الْمُؤْرِخِينَ يَصْرَحُ بِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي عَرَضَتْ نَفْسَهَا لِلزَّوْاجِ مِنْهُ، بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَهَبَتْ كُلَّ مَا تَمْلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ فَدَاءً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا شَكَ أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْفَدَاءِ وَالْتَّفَانِي لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِوُجُودِ إِيمَانٍ بِفَكِّرِهِ، وَمُعْتَقَدُهُ لِهِ جُذُورٌ قَوِيهَةٌ فِي نَفْسِ خَدِيجَةَ تَجَاهَ عَزِيزِ قَرِيسِ الْأَمِينِ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا سِيمَا وَأَنَّ هَذَا لَيْسَ أَمْرًا مَأْلُوفًا -عَلَى الْأَقْلَى- فِي تَلْكَ الْفَتَرَةِ وَفِي ذَلِكَ الْمُجَمَّعِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ.

رَابِعًاً: مَاذَا كَانَ دِينُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ؟

مَا يَشْبِهُ الْمُعْتَقَدُ الإِمامِيُّ أَنَّ النَّبُوَّةَ ثَابِتَةٌ لِشَخْصِ الْأَنْبِيَاءِ وَعَصْمَتُهُمْ كَذَلِكَ مِنْ وَلَاتِهِمْ، وَإِنَّا الْفَعْلِيَّةَ لِلْبَعْثَةِ أَوِ الرَّسَالَةِ تَتَفَاوتُ بِالنِّسْبَةِ لِكُلِّ نَبِيٍّ، وَنَحْنُ هُنَّا لَسْنَا بِصَدْدِ إِثْبَاتِ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ بِالْدَّقَّةِ، وَإِنَّا لِإِثْبَاتِ أَمْرٍ مُتَعَلِّقٍ بِهَا بِشَكْلٍ وَثَيْقٍ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدِينِ إِلَهِيَّ تَوْحِيدِيَّ وَعَنْ طَرِيقِ دَلِيلِ نَبُوَّتِهِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ يَكْنَنَا إِثْبَاتَ مَرَادِنَا، وَلَكِنَّا سُوفَ نَذَكِرُ أَدْلَةً أُخْرَى:

الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ: وَيَحْتَاجُ لِمَقْدَمَتِينِ.

-المُقْدَمةُ الْأُولَى: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوْتَى الْفَضَائِلِ وَالْكَرَامَاتِ الَّتِي هِيَ لِجَمِلَةِ

الأنبياء السابقين عليهم السلام بدليل قول أحد الأئمة عليهم السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُعْطِ نَبِيًّا فَضْلَةً وَلَا كَرَامَةً وَلَا مَعْجِزَةً إِلَّا أَعْطَاهَا نَبِيًّا حَمْدًا عليه وآله»^(٢٠).

-المقدمة الثانية: ورد أنَّ يحيى ويعيسى عليهم السلام كانوا حاجتين وهما صغيران بدليل قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذْ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

-النتيجة: أنَّ الله -وبشكل طبيعي- ما دام قد أعطى فضيلة وكرامة ومعجزة الحُكم والكتاب والنبوة لنبيلين من أنبيائه فهي للنبي محمد صلوات الله عليه وآله لصدق الحديث الشريف في المقدمة الأولى.

الدليل الثاني: إنَّ بغضه عليه وآله للأصنام وتجنبه عن الأوثان واضح من الروايات الصحيحة المعترضة والمعتمدة وإليك بعض أمثلتها:

- جاء في حديثٍ طويلٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله لَمَّا تَمَّ لَهُ ثَلَاثُ سَنِينَ، قَالَ لِأَمْمَهُ (مرضعته) حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةَ: «مَا لِي لَا أَرَى أخْوَيِّ بِالنَّهَارِ؟» قَالَتْ لَهُ: يَا بُنْيَّ إِنَّهُمَا يَرْعِيَانِ غُنَيمَاتٍ، قَالَ: «فَمَا لِي لَا أَخْرُجُ مَعَهُمَا؟»، قَالَتْ لَهُ: أَتَحْبُّ ذَلِكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُحَمَّدًا دَهْنَتْهُ -وَالكلامُ لِحَلِيمَةَ- وَكَحَّلَتْهُ وَعَلَقَتْ فِي عَنْقِهِ خِيطًا فِيهِ جُزْعٌ يَمَانِيٌّ -كَحْرَزٌ-، فَتَرَعَهُ ثُمَّ قَالَ لِأَمْمَهُ: «مَهَلَّا يَا أَمَّاهُ فَإِنَّ مَعِيَ مَنْ يَحْفَظُنِي»^(٢١).

-رويَ أَنَّهُ وقعَ بينَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وَبَيْنَ رَجُلٍ اخْتَلَافٍ فِي سُفْرَتِهِ الثَّانِيَةِ إِلَى الشَّامِ لِلتِّجَارَةِ بِأَمْوَالِ خَدِيجَةَ مَعَ غَلامَهَا (مِيسِرَةً) بَعْدَ أَنْ بَاعَ صلوات الله عليه وآله سُلْعَتَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: احْلِفْ بِاللَّاتِ وَالْعَزِيزِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله: «مَا حَلَفْتُ بِهِمَا قَطُّ، وَإِنِّي لِأُمُّرُ فَأُعْرِضُ»، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «إِلَيْكَ عَنِّي ثَكْلَتَكَ أُمُّكَ فَمَا تَكَلَّمْتُ الْعَرَبَ بِكَلْمَةٍ أَنْقَلَ عَلَيَّ مِنْ هَذِهِ الْكَلْمَةِ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: الْقَوْلُ قَوْلُكَ. ثُمَّ قَالَ مِيسِرَةً: هَذَا نَبِيٌّ^(٢٢).

أَمّا مَا هُوَ الدِّينُ الَّذِي كَانَ يَدِينُ بِهِ، هُلْ كَانَتِ الْمَسِيحِيَّةُ الَّتِي سَبَقَتِ رسَالَتِهِ

مباشرة؟ وهذا ما لم يحدثنا التاريخ به، أما لماذا لم يحدثنا التاريخ به رغم أن المفروض أنه اتبع الدين الذي سبقه، بل وأخبرنا التاريخ بأنه كان ملتزماً بدین إبراهيم الحنيف عليه السلام، وهذا قد يُطرح كإشكال في المقام ولكن قد يحاب عليه: بأن جميع الأنبياء والمرسلين يتتفقون في الدعوة لمضامين واحدة من: وجود الله واحد لا شريك له ولا نظير، والمحث على الخير والإحسان ومحاربة البغي والعدوان، ونحو ذلك مما يعود على الناس جميعاً بالخير.

المقام الثاني: البعثة النبوية الشريفة

البعثة لغة: بَعَثَ بَعْثاً، تبعاً: أرسله وحده^(٢٣)، أما اصطلاحاً: هي إرسال نبي الإسلام محمد بن عبد الله عليهما السلام أو فعليه نبوة ورسالة خاتم الأنبياء والمرسلين عليهما وآله وآلهمة.

والبحث في جهات:

الجهة الأولى: متى بُعثت النبي عليهما السلام؟

أما بالنسبة لليوم والشهر لبدء البعثة الشريف قد اختلف المؤرخون في تحديدهما فقال اليعقوبي: كان مبعثه في شهر ربيع الأول، وقيل: في رمضان، ومن شهور العجم: في شباط. قال: أتاه جبرائيل ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين^(٢٤). وقال غيره غير ما ذهب إليه، ولكن الصحيح عندنا - الشيعة الإمامية - هو ما ورد لنا في روایات أهل بيت العصمة والطهارة عليهما السلام تعيين يوم البعث الشريف: أنه في يوم السابع والعشرين من شهر ربّع الأصف فعن الإمام الصادق عليه السلام: «في اليوم السابع والعشرين من ربّع صيام يوم سبع رسول الله عليهما السلام»، فأصبح هذا يوم مبارك وفضيل عند الشيعة، فيستحب فيه الصيام والقيام بآداب وعبادات تخصه وعنه أيضاً عليه السلام: «لا تدع صيام يوم سبع وعشرين من ربّع فإنه اليوم الذي نزلت فيه النبوة على محمد عليهما السلام»، لأننا نعتقد بأن

أبواب الرحمة والبركة تفتح لأهل الأرض عامة، لأن النبي **بُعثَ رحمة للعالمين**
أجمعين^(٢٥).

وأما بالنسبة لسنة البعثة فقال بعضهم: أنها كانت بعد بناء الكعبة بخمسين عاماً، وعلى رأس عشرين سنة مضين من ملك كسرى أبرويزي بن هرمز بن أنوشروان، وعلى رأس مائتي عام من يوم التحالف بالربذة، وكانت في سنة ٦٠٩ من تاريخ ميلاد المسيح عليه السلام، أي بعد ميلاده عليه السلام بأربعين سنة على رواية ميلاده في عام الفيل سنة ٥٧٠ بعد ميلاد المسيح عليه السلام.

الجهة الثانية: كيف بدأت البعثة:

أما حول كيفية بدء البعثة والنبوة لنبينا عليهما السلام فقد كانت عن طريق الوحي، والتي بها تحركت عجلة تاريخ الإسلام الحمدي، كان ذلك في غار "حراء" الواقع في شمال "مكة"، فقد كان عليهما السلام ولدة طويلة يقضي كثيراً من وقته فيه بالعبادة ومناجاة ربه، وبالخلوة بنفسه بعيداً عن أنظار الناس.

الجهة الثالثة: كيف عرف النبي أنه نبي؟ وكيف عرف الوحي وحيآ؟

كان لرسول عليهما السلام قبل فعليه نبوته المباركة أمارات وعلامات واضحة على أنه نبي ومرسل من الله تعالى، ولم يكن الأمر خفيّاً أو جديداً على النبي عليهما السلام بنزول جبرئيل بالوحي في غار حراء فيصطدم بذلك الحدث فيخاف فيلتتجأ إلى زوجته خديجة حتى تستعين هي بورقة بن نوفل وما إلى ذلك مما تقوله البعض في حرقه عليهما السلام، فمن الأمارات والعلامات التي يذكرها لنا التاريخ ما نقله الشيخ الجليلثقة علي بن إبراهيم القمي: "أن النبي عليهما السلام لما أتى له سبع وثلاثون سنة، كان يرى في منامه كأن آتياً يأتيه فيقول: يا رسول الله! ومضت برهة من الزمان وهو على ذلك يكتمه، وإذا هو في بعض الأيام يرعى غنماً لأبي طالب عليه السلام في شعب الجبال، إذ رأى شخصاً يقول له: يا رسول الله! فقال له: من أنت؟ قال: أنا جبرائيل،

أرسلني الله إليك ليتّخذك رسولاً، فجعل يعلّمه الوضوء والصلاه. ذلك عندما تمّ له أربعون سنة".^(٢٦)

وفي تاريخ الطبرى: "كان رسول ﷺ من قبل أن يظهر له جبرائيل عليه السلام برسالة الله إليه، يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار من يريد الله إكرامه وختصاصه بفضله".^(٢٧)

الجهة الرابعة: محاكمة ما ورد في بداية البعثة:

في هذه الجهة نقف وقفه نظام تجاه ما دون من تاريخ حياة الرسول ﷺ بشكل عام، وفترة بعثته الشريفة بشكل خاص، فمن خلال قراءتي لهذا الشطر المهم في حياته ﷺ وحياة الإسلام الحنيف، استوقفتني -كما استوقفت أرباب التاريخ من علمائنا الإمامية- مجموعة من الروايات والمؤرخات التي يخجل الإنسان المؤمن من قراءتها فضلاً عن قبوها في حق أشرف الأنبياء وأفضلهم ﷺ ولا يقبلها لا العقل ولا النقل، ولا مقام النبوة والرسالة الشامخ، فمن هنا نقف قليلاً مع بعضها محاولين الرد عليها بما يرتبط بزمن البعثة:

الرواية الأولى: والتي تروى في أول نزول الوحي عليه ﷺ وملخصها: أنه ﷺ عندما كان مختلياً بنفسه في حراء سمع هاتفاً يدعوه فرفع رأسه فإذا به يرى صورة رهيبة، ففزع فرعاً شديداً وامتلىء قلبه رعباً وهلعاً، حتى عاد إلى خديجة وأخبرها فآوته، وهدأت من روعه وثبتت قلبه وطمأنته بحديثها المرهب له، بعدها جاءه مثل من جاءه سابقاً فقامت بتهدئته مرة أخرى، وقالت له اجلس فجلس وتحسّرت وألقت حمارها، فذهب فعرفت أنه ملك وليس شيطاناً، فقالت: يا ابن عم ابشر واثبت، فو الله إنه ملك وما هو بشيطان. كذلك وتوكيداً لتجربة خديجة، انطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وهو نصراني قارئ إلى الكتب،

فقصدت عليه ما جرى على النبي ﷺ فقال ورقة: لئن كنت صدقتنى يا خديجة، فقد جاءه الناموس الأكبر الذى جاء موسى. فقولى له: فليثبت، وأنه لنبي هذه الأمة، فعادت وأخبرت الرسول ﷺ بما قال ورقة، فعند ذلك اطمأن باله، وذهبت روعته، وأيقن أنه نبىٰ ^(٢٨). ويرد على هذه الرواية إبرادات عدة، أمّا من ناحية سند الرواية فهو عامي محض، فلم يروها لنا إمامي أصلًا.

وأمّا من ناحية متن ودلالة الرواية فيؤخذ عليها مأخذ متعددة فمنها: التفاوت والتهافت في عبارتها خصوصاً فيما يتعلق ب موضوع ورقة، ففي بعضها: انطلقت خديجة لوحدها له، وفي أخرى: انطلقت بي إلى ورقة، وفي ثالثة: لقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالبيت، وفي رابعة: أن نوفل هو الذي بدأ الحديث عن ما ينزل على الرسول ﷺ، وفي خامسة: أن أبا بكر دخل على خديجة، فقالت: انطلق بحمد إلى ورقة، وفي هذا وضوح إلى عدم الالتئام بين النقولات.

ومنها: كيف يمكن أن نفضل عقلية امرأة (وإن كانت عظيمة) على عقلية إنسان كامل قد بلغ القمة التي أهلته لحمل رسالة الله، ثم تقوم بتجربتها التي يجهلها النبي وتطمئنها.

ومنها: كيف يعتمد النبي ﷺ على قول رجل (ورقة بن نوفل) لمجرد أنه كان يقرأ كتاباً لا يُضمن عدم تحريفها، وما الذي وجده ﷺ في قول فكان منشأ اطمئنانه؟، ولم يجده في الحق النازل عليه.

ومنها: إن في دس هذه الرواية يد إسرائيلية أخطأت في الوضع؛ لأنّ ورقة كان مسيحياً وهذا مقطوع به، ولكنه حين أراد أن يزيل عن النبي ﷺ الشك والاضطراب ذكر نبوة موسى، ألا يدلّ هذا على أنّه يداً إسرائيلية وراء هذه الرواية هي التي صاغت هذه القصة واختلقتها في غفلة كما يدين به ورقة بطل القصة.

ومنها: إِنَّه لَوْ صَحَّتْ هَذِهِ الرَّوَايَةُ فَلِمَذَا لَمْ يُؤْمِنْ وَرْقَةُ بِالنَّبِيِّ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ بِحَالِ نَبُوَتِهِ.

ومنها: إِنَّ الرَّوَايَةَ فِيهَا شَيْءٌ مَا يُسْتَقْبِحُ ذِكْرُهُ خَارِجَ إِطَارِ الزَّوْجِيَّةِ، وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوهُ دَلِيلًا عَلَى نَبِيَّةٍ أَعْظَمُ الْخَلْقِ وَأَشَرَّفُهُمْ، وَهَذَا مَا يَوْضِحُ لَنَا صَحَّةَ دَسَّهُ وَتَزْوِيرِهِ وَافْتَرَائِهِ وَكَذْبِهِ.

وَأَمَّا مِنَ النَّاحِيَةِ الْعَقْلَانِيَّةِ: فَإِنَّا لِتَقْيِيمِ هَذِهِ الْمَرَاعِمِ يَجِبُ أَنْ نَلْقِي نَظَرَةً فَاحِصَّةً لِتَارِيخِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَاضِينَ وَسِيرِهِمْ. فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ قَصَّ عَلَيْنَا قَصَّاِيَاهُمْ وَسِيرَهُمْ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا وَرَدَ مِنْ رَوَايَاتٍ وَأَخْبَارٍ كَثِيرَةٍ فِي هَذَا الْمَحَالِ، وَإِنَّا لَا نَجِدُ أَيَّ أُثْرٍ مُلْثَلٍ هَذِهِ الْقَصَصُ الْمُشَيْنَةُ فِي حَيَاةِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَقْصُّ عَلَيْنَا قَصَّةً بَدَءَ نَزْوُلَ (الْوَحْيِ) عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَكْلٍ كَامِلٍ وَيَبْيَنُ جَمِيعَ التَّفَاصِيلِ فِي قَصْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا يَذْكُرُ فِيهَا أَيُّ نُوْعٍ مِنَ الْخُوفِ وَالْأَرْتَعَشِ وَالْوَحْشَةِ وَالْفَزَعِ، بِحِيثُ يَتَمَنَّى الْمَوْتُ أَوْ مَا شَابَهُ ذَلِكَ، مَعَ أَنَّ أَرْضِيَةَ الْخُوفِ وَالْفَزَعِ فِي قَصَّةِ مُوسَى كَانَتْ مُتَوْفَرَّةً أَكْثَرَ، لَأَنَّهُ سَمِعَ فِي لَيْلَةِ ظُلْمَاءِ وَهُوَ فِي صَحْرَاءِ خَالِيَّةٍ؛ نَدَاءَ مِنَ الشَّجَرَةِ يَخْبِرُهُ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ مَرْسُولٌ.

وَلَكِنَّ مُوسَى - كَمَا يَصْرَحُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ - حَفَظَ عَلَى هَدوئِهِ وَسُكُونِهِ، حَتَّى أَنَّ خَوْفَهُ عِنْدَمَا أَلْقَى الْعَصَمَ مِنْ جَهَّةِ أَهْمَّهَا تَبَدَّلَ إِلَى ثَعْبَانَ لَا مِنْ جَهَّةِ الْإِيَّاهِ إِلَيْهِ.

فَهُلْ يَكُنُ، أَوْ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقُولُ: كَانَ مُوسَى لِحَظَةِ الْوَحْيِ مُطمِئِنًا هَادِئًا سَاكِنًا بَيْنَمَا يَفْزَعُ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَيَضْطَرُّبُ عَنْدَ سَاعَةِ كَلَامِ الْمَلَكِ إِلَى درَجَةِ غَرِيبَةٍ؟ وَوَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ، فَهُلْ هَذَا كَلَامٌ مُعْقُولٌ؟

الرَّوَايَةُ الثَّانِيَّةُ: رَوَايَةُ كَسَابِقَتِهِ فِيهَا اسْتِنْقَاصٌ وَاضْحَى لِقَامِ النَّبُوَةِ وَالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَطْلَانُهَا وَاضْحَى مَرْدُودٌ، وَهِيَ رَوَايَةُ "الْغَرَانِيقَ" وَمَفَادُهَا: أَنَّ

النبي ﷺ كان في حشدٍ من مشركي قريش، ببناء الكعبة، أو في نادٍ من أندائهم وكانت تساوره نفسه لو يأتيه شيءٌ من القرآن يقارب بيته وبين قومه الألداء؛ إذ كان يتآلم من مباعدتهم، فعند نزول سورة النجم أخذ يتلوها حتى إذا بلغ: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعَزَّى، وَمَنَّاةَ الْثَالِثَةِ الْأُخْرَى»^(٢٩)، حتى ألقى عليه الشيطان وجعله يقول: (تلك الفرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فحسبها وحياً، وقد قرأها في ملأٍ من قريش، ثم مضى وقرأ بقية السورة، حتى أكملاها فسجد وسجد المسلمون، وسجد المشركون، تقديرًا لما وافقهم محمد ﷺ في تعظيم آهاتهم ورجاء شفاعتهم^(٣٠). ويلاحظ على هذه الرواية عدة ملاحظات تثبت زورها، وأنها مفتعلة صنعتها قرائح القصاصين ومن هذه الملاحظات:

على صعيد السندي: لم يتصل تسلسل سند هذه الرواية إلى صحابي إطلاقاً، وعليه فهي مرسلة وغير موصولة السندي إلى من شاهد القضية، وأماماً أنهم رووها عن ابن عباس فهذا الأكثر حماقة من قطع السندي، إذ أنّ ولادة ابن عباس كانت في السنة الثالثة قبل الهجرة، فلم يشهد القصة بتاتاً.

وأمّا على صعيد المدلول: فإن مضمونها باطل على كل التقادير: (أولاً) مناقضته الصريحة مع كثير من النصوص القرآنية المباركة والتي تقتل المقياس والميزان لصحة الروايات وعدمها، ومن الآيات الصريحة التي تبطل هذه الرواية، قوله تعالى في بداية سورة النجم التي يفترون الإدخال فيها: «وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَمٌ شَدِيدُ الْقُوَى»^(٣١)، وكذلك فقد ضمن الباري رحمه الله حفظ وسلامة القرآن الكريم من تلاعب أيدي المبطلين وذلك في قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^(٣٢). (ثانياً) منافاته لمقام العصمة، فالعصمة مما اتفق المسلمين جميعاً عليها -على الأقل- في حدود التبليغ، وعدمها فيه نقض لغرض المولى من بعثه،

ولولا العصمة الملحوظة في أداء رسالة الله، لزالت الثقة فيما بينهما وعدتها في التبليغ مخالف لمقتضى بعثهم، ولأخذت الشكوك تتوارد في جميع الأحكام والتكاليف والتشريعات التي يبلغها النبي ﷺ عن الله سبحانه وتعالى، وفي هذا تجرء على ساحة الحق سبحانه وتعالى أن يبعث من يعجز عن إبلاغ ما يريد أو - والعياذ بالله - لا يحسن بعث من يناسب وبالمواصفات المناسبة.

وأماماً على الصعيد العقلائي: فإن ظاهر الكلام بعيد الالئام، ومتناقض الأقسام، ممترج المدح والذم، متخاذل التأليف، فهل يعقل أن النبي ﷺ ومن بحضرته في ذلك الموقف من مسلمين ومرشكيـن -وهم من اتسع باب بيانهم ومعرفتهم فضيـح الكلام وغيره- أن يخفـي عليهم ذلك والذي لا يخفـي على أدـنى متـأـمل بسيـطـ، أم كـيف يقتـنـعـ المـشـرـكـونـ -وـهـمـ كـمـاـ قـلـنـاـ أـهـلـ نـقـدـ وـفـصـاحـةـ- بـتـلـكـ المحـاـملـةـ المـفـضـوـحةـ: الـتـيـ اـقـتـرـنـ فـيـهاـ مدـحـ مشـكـوكـ، معـ ذـلـكـ الـقـدـحـ الصـارـمـ؛ ليـأـخـذـوهـ تقـارـباـ مـبـدـئـياـ بـيـنـ شـرـكـهـمـ وـدـعـوـتـهـ ﷺـ، وـالـتـيـ قـامـتـ عـلـىـ مـحـقـ الشـرـكـ وـالـإـلـاـخـالــ معـ تـلـكـ الـأـكـذـوـبـةـ: (إـنـ شـفـاعـتـهـنـ لـتـرـجـيـ)؟!ـ وـيـأـخـذـ عـلـىـ هـذـهـ الـرـوـاـيـةـ أـيـضاـ كـثـيرـاـ منـ الـمـآـخـذـ وـلـكـنـاـ اـخـتـصـارـاـ نـكـتـفـيـ بـذـلـكـ.

الخاتمة

إن هذا المقال لا يمكنه أن يفي ويحتوي على أفضل وأعظم يوم أو فترة مررت على الإنسانية أجمع، لأننا سوء قيمنا الأيام بما تشتمل عليه من أحداث أو بما تتمخض عنه من نتائج، فإن هذا اليوم - يوم البعثة المباركة - هو اليوم الأول في تاريخ الإنسانية، وهذا يرجع لأسباب عديدة يفترض أنها اتضحت منه - أو لا أقل اتضاح شيء منها - أيضاً لأنّه اليوم الذي استطاع فيه الإنسان أن يبلغ الذروة

التي رشّحه لها عشرات الآلاف من الرسالات والنبوات فأصبح قاب قوسين أو أدنى، وهذا الإنسان أو أعظم البشرية على الإطلاق هو شخص النبي محمد ﷺ. كذلك إذا لاحظنا ما ت الخض عنه هذا اليوم العظيم، يمكننا أن نتصور المقدار العظيم من الطاعات والعبادات والأعمال الصالحة النبيلة؛ الراخرة بكل معاني النبل والأخلاق، التي ظهرت بعد هذا اليوم، ويمكننا أن نتصور مما ت الخض منه العروش التي حُطمت والجبارية الذين قُضي عليهم، وعهود الظلم والطغيان، التي قوشت بعد هذا اليوم.

فهذا يجعلنا نقف وتقف عقولنا وأقلامنا حائرة، ومعترفة بعجزها أمام الفائض الكمي والكيفي لهذا اليوم وما ت الخض عنه وما جرى فيه وبعد... ولا يسعنا في نهاية هذا البحث المتواضع إلا أن نحمد الله ونشكره عليه أولاً وأخيراً أن وفقنا لترتيبه وجمعه، ونسأله سبحانه أن يوفقنا لما يحبّ ويرضى بحق محمد وآلـه علـيـهـ الـسـلـامـ، وصلى الله عليهـمـ أـجـمـعـينـ.

الهوامش:

(١) آل عمران: ١٦٤.

(٢) الشيخ المالكي في كتابه تاريخ ما قبلبعثة ص ١٠.

(٣) الشيخ يوسف الغروي في كتابه موسوعة التاريخ الإسلامي ص ٧٥.

(٤) سيد المرسلين علـيـهـ الـسـلـامـ: ج ١ ص ٧٢.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٩١.

(٦) سورة التكوير: ٩-٨.

(٧) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٥.

(٨) سورة النحل: ٥٧.

(٩) سورة الإسراء: ٣١.

(١٠) سورة الحجرات: ١٣.



- (١١) سورة آل عمران: ١٩٥.
- (١٢) سورة النساء: ٢٥.
- (١٣) كتاب سيد المرسلين ﷺ: ص ٧٤-٧٧.
- (١٤) موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفى، ص ٧٠.
- (١٥) تاريخ ما قبل البعثة: في درس (الحوادث التي رافقت مولد النبي ﷺ).
- (١٦) نهج البلاغة: فصل غريب كلامه رقم (٩).
- (١٧) تاريخ ما قبل البعثة: ص ٣١٩.
- (١٨) المصدر السابق: ص ٣٢٦.
- (١٩) المصدر السابق: ص ٣٣٤.
- (٢٠) تاريخ ما قبل البعثة: ص ٣٨٨.
- (٢١) سيد المرسلين ﷺ: ج ١ ص ٢٩٣.
- (٢٢) نفس المصدر السابق.
- (٢٣) قاموس المنجد: ص ٤٢.
- (٢٤) التاريخ البغوي: ج ٢ ص ٢٢.
- (٢٥) التمهيد في علوم القرآن: ج ١ ص ١٠٦.
- (٢٦) التمهيد في علوم القرآن: ج ١ ص ١٠٢.
- (٢٧) المصدر السابق.
- (٢٨) التمهيد في علوم القرآن: ج ١ ص ٧٨.
- (٢٩) سورة النجم: ٢٠-١٩.
- (٣٠) التمهيد في علوم القرآن: ج ١ ص ٨٦.
- (٣١) سورة النجم: ٥-١.
- (٣٢) سورة الحجر: ٩.
- (٣٣) سورة النجم: ٢٦.



إشعاعات البعثة النبوية الشريفة

عماد علی الشدة

مقدمة

البعثة هي ثورة عارمة ضد الجهل والضلال والفساد، البعثة هي ميلاد للنور وموت للظلماء، البعثة ذكرى للقرآن الكريم والقرآن الكريم ذكرى للبعثة، البعثة عيد للمسلمين، البعثة هي اللطف الإلهي الأعظم على الوجود، البعثة لا يأس معها ولا يأس مع البعثة، البعثة هي نفتح زهرة الرحمة وإنبعث عطرها الفواح، البعثة هي إشعال السراج المنير.

مفهوم البعثة

أ- استعمالات القرآن الكريم للجذر بعثَ:

١- بعث الشخص: أرسله، قال تعالى: ﴿فَبَعَثْتَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيرِيهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾^(١). وقال عز وجل في آية أخرى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾^(٢).

٢- بعثه من النوم: أيقظه. قال عز وجل: ﴿وَكَذِلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾^(٣).

٣- بعث الله الخلق: أي أحياهم بعد موتهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٤). وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾^(٥).

وهناك استعمالات لغوية أخرى لم ينطرق لها القرآن الكريم ولذلك نتركها،
إذاً البعثة متضمنة لمعنى الإرسال والإيقاظ والإحياء.

ب- البعثة تتكون من العناصر التالية:

- ١- الباعث (الله عز وجل).
- ٢- المبعوث (الرسول الأعظم ﷺ).
- ٣- المبعوث به (الرسالة العالمية الخالدة - القرآن الكريم).
- ٤- المبعوث له (الجن والإنس).
- ٥- المبعوث لأجله (المهدية).

تساؤلات حول البعثة

لماذا تم اختيار الرسول محمد ﷺ ليبعث بهذه الرسالة الخاتمة؟

الجواب: بما أنّ رسالتة الإسلام هي الرسالة العالمية الخلدة المسيطرة والمهيمنة على كلّ الديانات السماوية السابقة، فإنّها تحتاج إلى شخصيّة فذّة تليق بها وقدرة على القيام بتبلیغها، والدعوة لها على أكمل وجه، وتحتاج إلى شخصيّة حائزة على كمالات عالية.

ولا يوجد في هذا الوجود من هو أكثر لياقة وأفضل وأناسب لهذه المهمة العظيمة والخطيرة غير الرسول الأعظم محمد عليهما السلام، لذلك وقع عليه الاختيار كرسول لهذه الرسالة وكخاتم للرسل.

لماذا تم اختيار ذلك الزمان والمكان؟

قبل الإجابة نجيب على سؤال آخر للتمهيد للإجابة على هذا السؤال، وهو متى يبعث الله الرسل بشكل عام؟

يجيبنا الإمام علي عليهما السلام «لَمَا بَدَلَ أَكْثُرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهَلُوا حَقَّهُ، وَأَتَخَذُوا أَلَّا نَدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالُوهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْطَعُوهُمُ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَّرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِياءً»^(٦).

ولكن بعثة الرسول الأعظم محمد عليهما السلام تختلف من حيث الكم فكان في زمان ومكان بعثته الأوضاع أكثر اخراجاً وفساداً على المستوى العقدي وعلى المستوى الأخلاقي، وأشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليهما السلام في خطب له في نوح البلاغة حيث قال: «وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِّلْ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُتَشَّرِّبةٌ، وَطَرَائِقٌ مُتَشَّتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُنْحَدِّرٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشَبِّهِ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ (الرسول) مِنَ الضَّلَالِ، وَأَنْقَذُهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ»^(٧).

وقال عليهما السلام في خطبة أخرى: «أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ قَرْةِ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولَ هَجَّةِهِ مِنَ الْأَمَمِ، وَاعْتَزَّامَ مِنَ الْفَتَنِ، وَاتِّشَارَ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَنَظُّ مِنَ الْحُرُوبِ، وَالْدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرْقِهَا، وَلِيَسِ مِنْ ثَمَرِهَا، وَأَغْوَارَارِ مِنْ

مَا تَهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهَّمَةٌ لِأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرَهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِثارُهَا السَّيْفُ»^(٨).

وقد بين أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك في كثير من خطبه، ولمن أراد والاستزادة عليه الرجوع لنهج البلاغة:

١- ج ١: الخطبة: ٤٤ ص ٤٧-٤٩، والخطبة: ٢٦ ص ٨٨-٨٩، والخطبة: ٢٦ ص ٢٦ ص ٣٠٠-١٨٥ ص ٩٤، والخطبة: ١٤٨ ص ٢١٤، والخطبة: ٨٨ ص ٤٠١.

٢- ج ٢ الخطبة: ١٦٤ ص ٣٣٩، والخطبة: ١٨٩ ص ٣٩١، والخطبة: ١٩٠ ص ٤٢٨، والخطبة: ١٩٦ ص ٤٢٣، والخطبة: ١٩٤ ص ٤٢٣.

أهداف البعثة: (لماذا بعث الله عَزَّوجَلَّ الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ برسالة الإسلام؟)

الأهداف العامة من بعثة كل الأنبياء والرسل:

١- التوحيد العبادي والصفاتي والأفعالي:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٩).

٢- الشهادة:

قال عَزَّوجَلَّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجَئْنَا بِكَ عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(١٠). وفي آية أخرى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١١).

٣- التأكيد والتذكير - بالله عَزَّوجَلَّ وبنعمه وأيامه:-

قال عَزَّوجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(١٢). وقال أيضاً:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيِيْنَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(١٣). وفي نهج البلاغة: «وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَ نِعْمَتِهِ»^(١٤).

٤- إتمام الحجة:

قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١٥). ويقول علي عليه السلام: «ويتحجّوا عليهم بالتبليغ»^(١)، ويقول عليه السلام أيضًا: «بَعَثَ اللَّهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيٍ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ. لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ»^(١٧).

٥- التبيين والتوضيح والهداية والإرشاد:

يقول عز من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١٨). ويقول أيضًا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٩).

٦- التبشير والإنذار:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٢٠).

٧- إظهار لقدرة الله تعالى:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وَرُوِّهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ»^(٢١).

٨- القيادة في المجالات الاجتماعية والسياسية والقضائية:

قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ.....﴾^(٢٢). قوله أيضًا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ.....﴾^(٢٣).

٩- تبليغ الرسالة:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا * إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ...﴾^(٢٤). وفي النهج يقول عليه السلام: «أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أماناتهم»^(٢٥).

١٠- واسطة الفيض الإلهي:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢٦).

وتقول الزهراء عليها السلام في خطبتها: «إنفاذًا لمقادير أمره»^(٢٧)، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «فَإِنْ قَالَ قَاتِلُ: فَلِمَ وَجَبَ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَةُ الرُّسُلِ وَالْإِفْرَارُ بِهِمْ وَالْإِذْعَانُ لَهُمْ بِالطَّاعَةِ؟ قَيْلَ: لِأَنَّهُ لَمَّا أَنْ لَمْ يَكُنْ فِي خَلْقِهِمْ، وَقَوَاهُمْ مَا يُكْحِلُونَ بِهِ مَصَاحِحُهُمْ وَكَانَ الصَّانِعُ مُتَعَالِيًّا عَنْ أَنْ يُرَى، وَكَانَ ضَعْفُهُمْ وَعَجْزُهُمْ عَنْ إِدْرَاكِهِ ظَاهِرًا، لَمْ يَكُنْ بِدُّهُمْ مِنْ رَسُولٍ يَبَيِّنُهُ وَيَنْهَا مَعْصَومٌ، يُؤَدِّي إِلَيْهِمْ أَمْرَهُ وَنَهِيهَ وَآدَبَهُ، وَيَقْفِهُمْ عَلَى مَا يَكُونُ بِهِ اجْتِرَارُ مَنَافِعِهِمْ وَمَضَارِهِمْ»^(٢٨).

١١- إحياء القيم:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُخْيِيكُمْ﴾^(٢٩). وهذه الآية لا تخصيصها بالرسول الأعظم محمد عليه السلام وإن كان هو مقصودها لما سبق من معنى البعثة فتشملهم لأنهم أيضاً مبعوثون.

١٢- تلاوة الآيات:

يقول سبحانه: ﴿إِنْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتَلَوَنَ عَلَيْكُمْ آيَاتٍ رَبِّكُمْ﴾^(٣٠)، ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَّمٌ لَتَتَلَوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(٣١).

١٣- إقامة القسط:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٣٢)، وفي آية أخرى: ﴿وَكُلُّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٣٣).

❖ الأهداف من بعثة الرسول الأعظم محمد ﷺ بشكل خاص

رحمة للعالمين:

والآية الكريمة تصرح: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣٤).

خاتم النبین:

وهو من ضروريات الدين: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ
رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾^(٣٥).

إتمام مكارم الأخلاق ومحاسنها:

يقول تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣٦)، ويقول ﷺ: «إِنَّمَا بُعْثِتَ لِأَتْقِمُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٣٧)، ويقول ﷺ في حديث آخر: «بعثت
بكارم الأخلاق ومحاسنها واستتمماً المعروف أفضل من ابتدائه»^(٣٨)، ويقول الإمام
الصادق علیه السلام: «عَلَيْكُمْ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ بَعْثَتِي بِهَا»^(٣٩)، وفي رواية أخرى:
«بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً... يَأْمُرُ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ»^(٤٠).

إتمام النعمة:

جاء في التوقيع المبارك لصاحب الزمان ع: «ثُمَّ بَعَثَ مُحَمَّداً رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ، وَتَمَّ بِهِ نِعْمَتُه»^(٤١).

للتربيّة والتزكية:

جاء في الكتاب الكريم ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ في ثلاث آيات^(٤٢)، و﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾^(٤٣). ويقول تعالى مخاطبا الناس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوهَ حَسَنَةٌ﴾^(٤٤)، وكل هذه الآيات المقصود منها الرسول الأعظم محمد ﷺ، بل لم أجد ما يشير إلى الأنبياء والرسل، وإن كانت هذه وظيفة كل الأنبياء والرسل.

تعليم الكتاب والحكمة:

يقول تعالى في ثلاث آيات كريات: ﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٤٥)، وفي آية أخرى: ﴿وَيَعْلَمُكُمُ الْكِتَابَ﴾^(٤٦).

أيضا أدوات التعليم نستطيع أن نقتبسها من القرآن الكريم وهي: سورة القلم، والقرآن الكريم كتاب، معنى القرآن في الأصل هو القراءة، وأول الآية نزلت (إقرأ)، والتلاوة.

إظهار الدين:

قال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٤٧).

رسولا لكافة الناس:

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٤٨). وفي التوضيح المبارك للإمام عز وجل: «وختم به أنبياءه ورسله إلى الناس كافة»^(٤٩).

إنما لوعد الله تعالى:

تقول الزهراء البتوول عز وجل في خطبتها: «ابتعثه الله إنما لأمره»^(٥٠)، ويقول أمير المؤمنين عز وجل: «إلى أن بعث الله سبحانه محمدا رسول الله عز وجل لإنجاز عدته وإنعام نبوته مأخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده»^(٥١)؛ إذ أن الله عز وجل

وعد بإرسال الرسول الأعظم محمد ﷺ على لسان أنبيائه السابقين الذين أخذ الله عز وجل عليهم ميشاقه بتعظيمه والتبشير به.

للقیام بمهام الرسالة العالمية الخالدة المهيمنة على كل الأديان للياقته التي كان يتمتع بها:

تبين ذلك فاطمة الزهراء عليها السلام فتقول في خطبتها: «اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه واتتجبه، وأصطفاه قبل أن ابعثه، إذ الخالق بالغيب مكتونة، وبستر الأهوال مصنونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بما يلي الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بموقع الأمور»^(٥٢).

المن على المؤمنين:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٥٣).

إضاءاء لحكمة الله تعالى:

تقول الزهراء عليها السلام: «ابعثه الله إماماً لأمره وعزيزه على إضاءء حكمه»^(٥٤).

البعثة وتغيير خط التاريخ

قبل البعثة: من المعلوم أنّ الرسول الأعظم محمد ﷺ لم يبعث في أول عمره الشريف المبارك وذلك ليس لقصور فيه بل لتهيئة المقدمات للناس حتى يتقبلوا الرسالة بسلامة^(٥٥).

بداية البعثة:

أ- متى بدأت بعثة الرسول الأعظم محمد ﷺ؟

المعروف والجمع والاتفاق عليه عند الشيعة الاثني عشرية أنها كانت في السابع والعشرين من رجب الأصب لوجود جملة من الروايات الواردة في تعين



تاریخ البعثة وما فيه من أعمال مستحبة مثل الصيام وغيرها.

منها: ما رواه الشيخ الصدوق (بسند معتبر) عن الحسن بن راشد عن الإمام الصادق عليهما السلام أنه قال في حديث طويل: «لا تدع صيام يوم سبعة وعشرين من رجب، فإنه اليوم الذي نزلت فيه النبوة على محمد عليهما السلام، وثوابه مثل ستين شهراً لكم»^(٥).

أمّا عند أهل السنة فيوجد بينهم خلاف كثير والأقوال هي:

في ٢٧ من رجب الأصب: ولديهم روایات في ذلك، منها: ما أورده الحلبي في سيرته عن الدمياطي في سيرته عن أبي هريرة قال: «من صام يوم سبع وعشرين من رجب، كتب الله تعالى له صيام ستين شهراً، وهو اليوم الذي نزل فيه جبرئيل على النبي بالرسالة، وأول يوم هبط فيه جبرئيل»^(٥٧).

في شهر رمضان: واختلفوا فيما بينهم على هذه الأيام: ١٧-١٨-١٩-٢٠-٢٤، وهو بسبب الخلاف بينهم في ليلة القدر ظنّاً منهم أنّ نزول القرآن الكريم في ليلة القدر هو بداية البعثة بدليل الآية ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ولا يخفى أنّ النزول الدفعي كان في ليلة القدر على قلب الرسول الأعظم محمد عليهما السلام، وأنّ النزول التدريجي هو بداية البعثة.

في شهر ربيع الأول: واختلفوا بما بينهم على هذه الأيام: ٣ - ٨ - ١٠ - ١٢، ولا أعلم الوجه في ذلك.

ب- مكان البعثة:

يحدثنا التاريخ أنّ بداية البعثة هي عندما كان الرسول الأعظم محمد عليهما السلام في خلواته مع الله تعالى وفي الأربعين من عمره المبارك وفي غار في جبل حراء، جبل من جبال شمال مكة، (وبعد ذلك سمى الجبل بجبل النور، والغار بغار حراء).

جـ- كيف كانت بدايةبعثة؟ (أول الآيات النازلة)

لقد تلزمت البعثة مع نزول آيات من القرآن الكريم، بل كان نزول هذه الآيات عالمة على بداية البعثة، ولكن يوجد هناك آراء مختلفة في أول الآيات نزولاً، والأقوال هي عبارة عن:

- ١ـ **أول خمس آيات سورة العلق:** هو ما عليه جملة من المؤرخين: المسعودي - ابن هشام - ابن الأثير - الطبرى - العقوبى. ومن المفسرين الشيعة: التبيان - مجمع البيان - الميزان - الأمثل. ومن المفسرين السنة: الطبرى - الدر المنثور - أنوار التزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوى) - تفسير القرآن العظيم. ومن علماء القرآن والحديث: الإتقان - التمهيد في علوم القرآن - البرهان.

وأهم دليل على ذلك ما رواه الكليني عن الصادق ع عليهما السلام قال: «أول ما نزل على رسول الله ﷺ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ... ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَالْفَتْحُ...﴾»^(٥٨). ولعل المراد نزول آيات خمس من أوّلها لا جميع السورة.

٢ـ سورة الفاتحة (يعتبر أ نها فاتحة الكتاب). ٣ـ سورة المدثر.

بعد البعثة:

في الماضي: عن أمير المؤمنين ع عليهما السلام في خطبته القاصعة: «ولقد قرَنَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ من لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلَكًا مِنْ مَلَاتِكَهُ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتَ وَاحِدٍ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشْمَمْ رِيحَ النُّبُوَّةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَتَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الرَّتَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعْ وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ، وَإِنَّكَ

لعلى خير، ولقد كُنْتُ مَعَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أتاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدْ
 ادْعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدْعُهُ آباؤكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ
 وَأَرِيتَنَا عِلْمًا أَنْكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عِلْمًا أَنْكَ سَاحِرٌ كَذَابٌ، فَقَالَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُونَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقْفَى بَيْنَ يَدَيْكَ،
 فَقَالَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشَهِّدُونَ
 بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَلَئِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفْيُؤُونَ إِلَى خَيْرٍ،
 وَلَئِنْ فِيْكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ
 إِنْ كُنْتُ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكَ حَتَّى
 تَقْفَى بَيْنَ يَدَيِّي بِإِذْنِ اللَّهِ، فَوَالَّذِي بَعْثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوْيٌ
 شَدِيدٌ، وَقَصَفَ كَقَصْفِ أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيِّي رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْفَقةً،
 وَأَلْقَتْ بِغُصِّنَاهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِعَضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ
 يَمِينِهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عَلَّوْا وَاسْتَكْبَارًا: فَمُرِّهَا فَلَيَأْتِكَ نَصْفُهَا وَيَقْنِي
 نَصْفُهَا، فَأَمْرَهَا بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نَصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدَّ دَوْيًا، فَكَادَتْ تَلْفُ
 بِرَسُولِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا كُفَّرَا وَعُتُّوا: فَمُرِّهَا فَلَيَرْجِعَ إِلَى نَصْفِهِ كَمَا كَانَ،
 فَأَمْرَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ
 مَنْ أَقْرَأَ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقًا بِنُبُوتِكَ، وَاجْلَالًا لِكَلْمَتِكَ،
 فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ
 إِلَّا مِثْلُ هَذَا؟! (يَعْنُونِي) (٥٩).

في الحاضر: من يلاحظ الأعمال المستحبة في يوم المبعث من كل سنة
 والثواب الجزييل عليها يتيقن بأنَّ الله تبارك وتعالى أراد لنا الارتباط بالبعثة حيث
 أنها أعظم نعمة من الله عز وجل من بها على الوجود (نعمه البعثة متكونة من نعمة
 المعرفة بالله تعالى ونعمه الرسول الأعظم عليه وسالم ونعمه أهل البيت عليه السلام ونعمه
 القرآن الكريم)، وأراد لنا الله عز وجل أن نتفكر في ما بعث به، ونستشعر ذلك بقلوبنا
 وعقولنا، ونواصل المسير جيلاً بعد جيل.

والحمد لله له وحده لا شريك له، وصلى الله على رسوله والأئمة الميامين من

آل بيته.

الهوامش:

- (١) سورة المائدة: ٣١.
(٢) سورة الإسراء: ٥.
(٣) سورة الكهف: ١٩.
(٤) سورة البقرة: ٥٦.
(٥) سورة هود: ٧.
(٦) نهج البلاغة ج ١ الخطبة ١ ص ٤٣.
(٧) نهج البلاغة ج ١ الخطبة ١ ص ٤٤.
(٨) نهج البلاغة ج ١ الخطبة ٨٨ ص ١٨٤.
(٩) الأنبياء: ٢٥.
(١٠) النساء: ٤١.
(١١) التوبية: ١٠٥.
(١٢) إبراهيم: ٥.
(١٣) إبراهيم: ٦.
(١٤) نهج البلاغة ج ١ الخطبة ١ ص ٤٣.
(١٥) النساء: ١٦٥.
(١٦) نهج البلاغة ج ١ الخطبة ١ ص ٤٣.
(١٧) نهج البلاغة ج ٢ الخطبة ١٤٢ ص ٢٩٢.
(١٨) إبراهيم: ٤.
(١٩) الروم: ٤٧.
(٢٠) البقرة: ٢١٣.
(٢١) نهج البلاغة ج ١ الخطبة ١ ص ٤٣.

- .٢١٣) البقرة: ٢٢.
.٨٨) النساء: ٢٣.
.٤٨) الشورى: ٢٤.
.٧) سورة هود: ٢٥.
.٣٥) المائدة: ٢٦.
.١٠٨) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٠٨.
.٤٠) بحار الأنوار ج ١١ ص ٤٠.
.٢٤) الأنفال: ٢٩.
.٧١) الزمر: ٣٠.
.٣٠) الرعد: ٣١.
.٢٥) الحديد: ٣٢.
.٤٧) يونس: ٣٣.
.١٠٧) الأنبياء: ٣٤.
.٤٠) الأحزاب: ٣٥.
.٤) القلم: ٣٦.
.٣٨٢) بحار الأنوار ج ١٦، ص ٢١٠، ج ٧١، ص ٣٨٢.
.٤٠٥) بحار الأنوار ج ٦٩، ص ٦٩.
.٤٢٠) بحار الأنوار ج ٦٩، ص ٣٧٥ و ج ٧١، ص ٤٢٠.
.١٣٨) بحار الأنوار ج ١٧، ص ١٣٨.
.١٦٢) الاحتجاج ص ١٦٢.
.١٢٩) الجمعة: ٢، آل عمران: ١٦٤، البقرة: ١٢٩.
.١٥١) البقرة ٤٣.
.٢١) الأحزاب ٤٤.
.٢) البقرة: ١٢٩، آل عمران ١٦٤، الجمعة: ٢.
.١٥١) البقرة: ٤٦.
.٩) الصاف: ٤٧.

- (٤٨) سبأ: ٢٨.
- (٤٩) الاحتجاج ص ١٦٢.
- (٥٠) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٠٨.
- (٥١) نهج البلاغة ج ١ الخطبة ١ ص ٤٤.
- (٥٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٠٨.
- (٥٣) آل عمران: ١٦٤.
- (٥٤) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٠٨.
- (٥٥) انظر إلى ما سبق تحت عنوان: تساؤلات حول البعثة: لماذا تم اختيار ذلك الزمان والمكان؟
- (٥٦) فضائل الأشهر الثلاثة ص ٣٥، وللمزيد راجع الوسائل الجزء ٧.
- (٥٧) السيرة الحلبية ١: ٣٨٤ وفي آخره دعم لدعوى الشعبي.
- (٥٨) أصول الكافي ج ٢ ص ٦٢٨.
- (٥٩) نهج البلاغة ج ٢ الخطبة ١٩٢ ص ٤١١ - ٤١٣.



روايات بداية البعثة

(مناقشة ونقد)

عزيز حسن الخشنان

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على محمد وآل محمد.

البعث النبوي الشريف كان بداية الرحمة الخاصة بهذه الأمة، حيث اختار الله لها أفضل وأشرف خلقه، والصفوة من أنبيائه ورسله، والمبشر على لسان كلّ الرسّل^(١) خاتم الأنبياء محمد ﷺ، فكان يوم المبعث من أشرف الأيام وأهمّها في الإسلام، ولذلك يستحب صومه ل الكبير عظمته عند الله، عن أبي الحسن الأول الإمام الكاظم عليهما السلام قال: «بعث الله عز وجل محمدًا عليهما السلام رحمة للعالمين في

سبعين من رجب، فمن صام ذلك اليوم كتب الله له صيام ستين شهراً)، وفي بعض الروايات «كتب الله له صيام سبعين سنة»^(٢).

ولكن يأبى أعداء الله وأعداء الدين إلا محاربة الإسلام في كل مفردة من مفرداته، ومنها ما يتعلق ببداية البعثة ونزول الوحي، وتصرف النبي ﷺ مع أول آيات نزلت عليه، والهدف من ذلك تشويه مقام النبوة المقدسة، وتصوير النبي ﷺ على أنه كبقية البشر لا يختلف عنهم بشيء، بل -والعياذ بالله- دون مستوى كثير من الناس.

والغريب في الأمر هو قبول فئة كبيرة من المسلمين مثل هذه الروايات التي يلوح الكذب منها بشكل واضح.

وحرى بأصحاب الغيرة على رسول الله ﷺ أن ينقوّوا تلك الروايات المدسوسة، ليروا هل أنها تنسجم مع مقامه ﷺ أو لا؟

خير البشر

من الضروريات التي لا شك فيها أن النبي ﷺ هو خير البشر، بل خير المخلوقات أجمع، فلم يخلق الله خلقا أكرم عليه من حبيبه محمد ﷺ، وحينئذ لا يمكن أن تكون هناك فضيلة أو كرامة ثبتت لأحد من الأنبياء إلا وهي ثابتة وبشكل أشد للنبي ﷺ، ولا يمكن أن ننسب أي فعل أو قول له ﷺ يُنقصه عن مقام غيره من الأنبياء فضلا عن أن يحطّ من قدره عند عامة الناس.

ولكن في الوقت الذي يُجري الله سبحانه العاجز عند ولادة النبي ﷺ لبيان كرامته عنده^(٣)، نرى من يسعى إلى الحطّ من كرامته ﷺ عند بعثته.

وقبل الخوض في مناقشة الأمور التي ذكرت فيما يتعلق بالبعثة، لا بأس بذكر بعض من كان يعلم ببعثة النبي ﷺ كتمهيد للبحث:

من كان يعلم بنبوة النبي ﷺ قبل بعثته

عند البحث عن سيرة النبي ﷺ قبلبعثة، نجد مجموعةً من الناس كانوا يعلمون بنبوته إما إجمالاً أو تفصيلاً، فاليهود الذين استوطنوا المدينة المنورة كانوا يعلمون بقدومه ﷺ لما ذكر ذلك في التوراة، وكذلك بعض النصارى، وهناك من علم بنبوته تفصيلاً ذكر منهم:

١- جده عبد المطلب:

ذكر ابن شهر آشوب، أن حليمة السعدية فقدت النبي ﷺ، فلما علم عبد المطلب غضب، ”وكان إذا غضب خاف الناس منه فنادى: يا بني هاشم ويا بني غالب اركبوا فقدَ محمدُ، وحلف أن لا أنزل حتى أجد مهداً أو أقتل ألفَ عربي ومائةَ قرشي، وكان يطوف حول الكعبة وينشد أشعاراً منها:

يا رب رد راكبي محمداً رد إلى واتخذ عندي يداً

يا رب ان محمدا لن يوجدأ تصبح قريش كلهم مبدداً

فسمع نداء: ان الله لا يضيع محمداً، فقال: أين هو؟ قال: في وادي فلان تحت شجرة أم غيلان. قال ابن مسعود: فأتينا الوادي فرأيناه يأكل الرطب من أم غيلان وحوله شابان فلما قربنا منه ذهب الشابان وكانا جبرائيل وميكائيل ﷺ فسألناه من أنت وماذا تصنع؟ قال: «أنا ابن عبد الله بن عبد المطلب»^(٤).

وأوضح من ذلك ما رأته أمه آمنة ؑ، وعلم به عبد المطلب، فإليك ذلك:

٢- أمه آمنة بنت وهب ؑ:

فقد رأت من معاجزه عند ولادته ما علمت بنبوته ﷺ، ففي حديث الأمير ؑ «محمد ﷺ سقط من بطنه أمه واضعاً يده اليسرى على الأرض، ورافعاً يده اليمنى إلى السماء، يحرك شفتيه بالتوحيد وبداً من فيه نورٌ رأى أهلُ مكةً منه: قصور

بصري من الشام وما يليها، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيضاء من اسطخر وما يليها، ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبي ﷺ حتى فرعت الجن والإنس والشياطين»^(٥).

وذكر الشيخ الصدوق في الأمالي أنَّ أمَّه آمنة قالت: «إِنَّ ابْنِي وَاللَّهُ سَقْطٌ فَاقْتَلَى الْأَرْضَ بِيَدِهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَقَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ لِهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَسَمِعْتُ فِي الضُّوءِ قَائِلاً يَقُولُ: إِنَّكَ قَدْ وَلَدْتَ سَيِّدَ النَّاسِ، فَسَمِيَّهُ مُحَمَّداً، وَأُتْيَ بِهِ عَبْدُ الْمُطَلَّبِ لِيُنَظِّرَ إِلَيْهِ وَقَدْ بَلَغَهُ مَا قَالَتْ أُمُّهُ، فَأَخْذَ فَوْضُعَهُ فِي حَجَرٍ، ثُمَّ قَالَ:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأرдан

قد ساد في المهد على الغلمان

ثم عوده بأركان الكعبة، وقال: فيه أشعاراً»^(٦).

٣- عمُّه أبو طالب عَلَيْهِ الْمُصَلَّى، وفاطمة بنت أسد عَلَيْهِ الْمُصَلَّى:

ذكر القطب الرواندي عن فاطمة بنت أسد: «وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونِي الْأُمَّ، قَالَتْ: وَكَانَ فِي بَسْطَانِ دَارِنَا نَخْلَاتٌ، وَكَانَ أَوَّلُ إِدْرَاكِ الرَّطْبِ، وَكَانَ أَرْبَعُونَ صَبَّيَا مِنْ أَتْرَابِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُونَ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ فِي الْبَسْطَانِ وَيَلْتَقِطُونَ مَا يَسْقُطُ فَمَا رَأَيْتُ قَطُّ مُحَمَّداً أَخْذَ رَطْبَةً مِنْ يَدِ صَبَّيٍّ سَبَقَ إِلَيْهَا، وَالآخْرُونَ يَخْتَلِسُونَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَكَنْتُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْتَقَطُ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَفْنَةً فَمَا فَوْقَهَا، وَكَذَلِكَ جَارِيَتِي، فَاتَّقَقَ يَوْمًا أَنِّي نَسِيَتُ أَنْ أَلْتَقَطَ لِهِ شَيْئًا وَنَسِيَتُ جَارِيَتِي، وَكَانَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَائِمًا وَدَخَلَ الصَّبَّيَانُ وَأَخْذُوا كُلَّ مَا سَقُطَ مِنَ الرَّطْبِ وَانْصَرَفُوا، فَقَمَتْ فَوْضُعَتِ الْكَمَ عَلَى وَجْهِي حَيَاءً مِنْ مُحَمَّدٍ إِذَا انتَبهَ، قَالَتْ: فَانْتَبِهِ مُحَمَّدٌ وَدَخَلَ الْبَسْطَانَ، فَلَمْ يَرِرْ رَطْبَةً عَلَى الْأَرْضِ فَانْصَرَفَ، فَقَالَتْ لِهِ الْجَارِيَةُ: إِنَا نَسِيَنَا أَنْ نَلْتَقَطَ شَيْئًا وَالصَّبَّيَانُ دَخَلُوا وَأَكَلُوا جَمِيعَ مَا كَانَ قَدْ سَقُطَ، قَالَتْ: فَانْصَرَفَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْبَسْطَانِ وَأَشَارَ إِلَى نَخْلَةٍ، وَقَالَ:

«أيتها الشجرة أنا جائع»، قالت: فرأيت الشجرة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب حتى أكل منها محمد ﷺ ما أراد، ثم ارتفعت إلى موضعها. قالت فاطمة: فتعجبت، وكان أبو طالب قد خرج من الدار، وكل يوم إذا رجع وقع الباب كنت أقول للجارية حتى تفتح الباب، فقرع أبو طالب، فعدوت حافية إليه وفتحت الباب وحكت له ما رأيت، فقال: هو إنما يكوننبياً، وأنت تلدين وزيره بعد ثلاثين. فولدت علياً عليه السلام كما قال^(٧).

وقال أبو طالب في ضمن خطبته لما أراد تزويج النبي ﷺ بخديجة: " وهو والله بعد هذا له نباً عظيم وخطر جليل"^(٨).

وهذا ليس غريباً على أبي طالب الذي يقال بأنه وصي من الأووصياء، وأيضاً ما ورد في قصة بحيري الراهن، حيث كان أبو طالب حاضراً.

٤- بحيري الراهن:

وقصته مشهورة جداً لا ينكرها أحد، يقول الرazi: "اعلم أن العجائب المروية في حقه(النبي ﷺ) من حديث بحيري الراهن وغيره مشهورة"^(٩).

ومن ضمن ما جاء في كلمات بحيري لما رأى الرسول ﷺ وما صاحبه من المعجز في رواية الصدوق عليه السلام التي ينقلها على لسان إبي طالب عليه السلام - وهي طويلة ومفصلة -: "فلما نظر إلى النبي ﷺ عرفه فسمعته يقول: إن كان أحد فأنت أنت" ، وجاء فيها: " وبحيري قائم على رأس رسول الله ﷺ يذب عنه ويتعجب من كثرة الرجال وقلة الطعام، وفي كل ساعة يقبل رأسه ويافوه، ويقول: هو هو رب المسيح، والناس لا يفهون، فقال له رجل من الركب: إن لك لشانا، قد كنا نمر بك قبل اليوم فلا تفعل بنا هذا البر؟ فقال بحيري: والله إن لي لشانا وشانا، وإنني لأرى ما لا ترون، وأعلم ما لا تعلمون، وإن تحت هذه الشجرة لفلاما لو أنت علمون منه ما أعلم لحملتموه على أعناقكم حتى تردوه إلى وطنه".

ثم سأله جحیرى النبي ﷺ عن نومه ويقظته، فأخبره عن نومه ويقظته وأموره وجميع شأنه، فوافق ذلك ما عنده من صفتة التي عنده، فانكب عليه "قبل رجليه وقال: يا بني ما أطيبك وأطيب ريحك، يا أكثر النبیین اتباعاً، يا من بهاء نور الدنیا من نوره، يا من بذکرہ تعمر المساجد،...لئن أدرکت زمانک لأضرین بين يديک بالسیف ضرب الزند بالزند، أنت سید ولد آدم، وسید المرسلین، وامام المتقین، وخاتم النبیین، والله لقد ضحکت الأرض يوم ولدت فھی ضاحکة إلى يوم القيمة فرحا بك، والله لقد بكت البیع والأصنام والشیاطین فھی باکیة إلى يوم القيمة، أنت دعوة إبراهیم وبشري عیسی، أنت المقدس المطهر من أنجاس الجahلیة، ثم التفت إلى أبي طالب وقال:.... فإنه ما بقى على ظهر الأرض یهودي ولا نصراني ولا صاحب كتاب إلا وقد علم بولادة هذا الفلام، ولئن رأوه وعرفوا منه ما قد عرفنا أنا منه لیبغینه شرا وأكثر ذلك هؤلاء اليهود، فقال أبو طالب: ولم ذلك؟ قال: لأنك كائن لابن أخيك هذه النبوة والرسالة و يأتيه الناموس الأکبر الذي كان يأتي موسى وعیسی، فقال أبو طالب: كلا إن شاء الله لم يكن الله ليضیعه، ثم خرجنا به إلى الشام فلما قربنا من الشام رأیت والله قصور الشامات كلها قد اهتزت وعلا منها نور أعظم من نور الشمس، فلما توسطنا الشام ما قدرنا أن نجوز سوق الشام من كثرة ما ازدحموا الناس وينظرون إلى وجه رسول الله ﷺ، وذهب الخبر في جميع الشامات حتى ما بقى فيها حبر ولا راهب إلا اجتمع عليه، فجاء حبر عظيم كان اسمه نسطورا فجلس حذاه ينظر إليه ولا يكلمه بشيء حتى فعل ذلك ثلاثة أيام متوالیة فلما كانت الليلة الثالثة لم يصبر حتى قام إليه فدار خلفه كأنه يتمنس منه شيئاً فقلت له: يا راهب كأنك تريدين منه شيئاً؟ فقال: أجل إني أريد منه شيئاً ما اسمه؟ قلت: محمد بن عبد الله فتغير والله لونه، ثم قال: فترى أن تأمره أن يكشف لي عن ظهره لأنظر إليه، فكشف عن ظهره، فلما رأى الخاتم انكب عليه يقبله ويبكي.

ثم قال: يا هذا أسرع برد هذا الغلام إلى موضعه الذي ولد فيه فإنك لو تدرى كم
عدو له في أرضنا لم تكن بالذى تقدمه معك، فلم يزل يتعاهده في كل يوم ويحمل إليه
الطعام،.... وعجلت به حتى رددته إلى مكة، فوالله ما بقي بمكة يومئذ امرأة ولا كهل
ولا شاب ولا صغير ولا كبير إلا استقبلوه شوقا إليه ما خلا أبو جهل -لعنه الله- فإنه
كان فاتكا ماجنا قد ثمل من السكر".^(١٠)

وفي روایة عن النبي ﷺ أنَّ بحيرى كان من الأوصياء^(١١).

بعد هذا التمهيد فلننظر إلى ما نسب للرسول ﷺ من افتراءات فيما يتعلق
ببعثته المباركة:

روایات العامة فيما يتعلق ببداية البعثة

كثرت الروایات من طرق العامة فيما يتعلق بتلقي النبي ﷺ الوحي ونزول
جبرئيل عليه في غار حراء، وهي عندهم من الروایات المشهورة وكأنه لا نقاش
في مضمونها، خصوصا وأنها موجودة في كتبهم المعتبرة عندهم، فإليك بعض
ذلك:

١- عدم علم النبي ﷺ بنبوته وشكه فيها:

أول ما نلاحظه في روایات البعثة عند العامة هو أنَّ النبي ﷺ لم يكن يعلم
بأنَّهنبيُّ مرسلٌ من عند الله عز وجل، ولم يعلم بذلك إلا بعد عناه طويلاً وموافقاً
مختلفة بينه وبين جبرئيل وخدیجة ﷺ وورقة بن نوفل.
ونحن لا نحتاج إلى روایة خاصة لاستدلالها على علم النبي ﷺ بنبوته
سواء قبل البعثة أم بعدها، وذلك لما تقدم من معرفة مجموعة كبيرة من الناس
بنبوته ﷺ لما رأوه من معاجز وكرامات، خصوصاً ما تقدم عن بحيرى الراہب،
وهل يعقل أن يعلم كلُّ من حضر الحادثة بنبوته ﷺ، بينما يجهل هو ذلك؟

ثم ألم يعلم عليه صلوات الله عليه وآله أنه إنسان طاهر وصاحب روح قدسية، وأن له مقاماً عظيماً عند الله عزة وجل؟ وإذا لم يكن يعلم بنفسه التي بين جنبيه، فعلى أي أساس اختاره الله تعالى وفضله على جميع المرسلين؟ فهل اختيار الله له تلك المنزلة قبل وصوله لمقام النبوة أم بعد وصوله؟ لا شك أن ذلك من تقدمه من الأنبياء عليهم السلام؟! يجهل مقام نفسه، خصوصاً بعد أن بشر بنبوته كل من تقدمه من الأنبياء عليهم السلام؟! ولكن نرى الروايات المدسوسة تصوّر بشكل صلف جداً أن النبي صلوات الله عليه وآله كان يعيش الجهل بما يحدث ويجري من حوله.

ولنا نريد هنا استعراض كل الروايات وذكر كل المناقشات اختصاراً، ونكتفي بما سيأتي من عناوين قادمة، ولكن نذكر هذا المقطع من رواية البخاري عن عائشة "أنها قالت: أول ما بدأ به رسول الله صلوات الله عليه وآله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بغار حراء فتحجنت فيه - وهو التعبد الليلي ذوات العدد - قبل أن يترعرع إلى أهله ويتوارد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود مثلاً حتى جاءه العق".^(١٢)

وكذلك ما ذكره ابن كثير "أن رسول الله صلوات الله عليه وآله حين أراد الله كرامته وابتداه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى تحرس عنه البيوت، ويفضي إلى شباب مكة وبطون أوديتها، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، قال: فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة. فمكث [رسول الله صلوات الله عليه وآله] كذلك يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل صلوات الله عليه وآله بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء".^(١٣)

من يقرأ هذين المقطعين وغيرهما يتصور بأن تكملاً الرواية سيكون مفادها استبشار النبي صلوات الله عليه وآله بنزول الوحي عليه، وتصديقه به فوراً، إذ المفروض أن الوحي عن طريق الرؤيا الصادقة يدل لوحده على النبوة، وكذلك سلام كل شيء

عليه بالرسالة (السلام عليك يا رسول الله)، ولكن يتواجه المرء من تكلمة هذه الرواية كما سيأتي.

بدء نبوته ﷺ:

ولا يمكن أن نوفق بين ما يروى عن جهل النبي ﷺ بنبوته وبين ما جاء عنه ﷺ «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، وقد جاء مضمون هذا الحديث في كتب العامة، ونكتفي بما ذكره ابن حجر في مجمع الزوائد:

”عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طيته وسانبكم بأول ذلك دعوة إبراهيم، وبشري عيسى، ورؤيا أمي التي رأيت»،... عن ميسرة العجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كتبت نبيا، قال: وآدم بين الروح والجسد، رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح.... وعن أبي مرريم قال: أقبل أعرابي حتى أتى النبي ﷺ وعنه خلق من الناس، فقال: ألا تعطيني شيئاً أتعلم منه واحمله ويفعني ولا يضرك، فقال الناس: مه اجلس، فقال النبي ﷺ: «دعوه فإنما يسأل الرجل ليعلم»، فأفرجوا له حتى جلس، فقال: أي شيء كان أول نبوتك، قال: أخذ الميثاق كما أخذ من النبيين، ثم تلا ﴿وَإِذْ أَخْذَنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنَ مَرِيمٍ وَأَخْذَنَا مِنْهُمْ مِثَاقًا غَلِظًا﴾ وبشري المسيح عيسى بن مرريم، ورأت أم رسول الله ﷺ في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام... رواه الطبراني ورجاله وثقوا^(١٤).

فكيف نوفق بين مضمون هذه الرواية التي تدل على نبوته قبل خلق آدم ﷺ، وفي عالم ميثاق الأنبياء ﷺ وبين تلك الروايات؟

وهل يمكن أن يكون شخص جاهم إلى هذا المستوى (والعياذ بالله) مؤهلاً للقيام بمسؤولية الرسالة التي أهم أهدافها قوله تعالى: ﴿يَتَّلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١٥).

٢- تعامل جبرئيل عليه السلام مع النبي عليه السلام:

الأمر الآخر مما يلاحظ في روايات البعثة، هو التعامل السيء وغير المبرر بين أمين الوحي عليه السلام وبين النبي عليه السلام، ولا ننسى أننا نتكلم عن تعامل أفضل الملائكة مع أفضل النبئين، فنرى رواية البخاري المتقدمة تقول: "فأخذني ففطبني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: أقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني ففطبني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: أقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني ففطبني الثالثة، ثم أرسلني" ^(١).

وفي رواية أخرى: "فقال: أقرأ فقلت: ما أقرأ، قال: ففتني به ظننت أنّه الموت ثم أرسلني، قال: أقرأ قال: قلت: ما أقرأ، قال: ففتني به حتى ظننت أنّه الموت، ثم أرسلني فقال: أقرأ، قال: قلت: ماذا أقرأ، قال: ففتني به حتى ظننت أنّه الموت، ثم أرسلني، فقال: أقرأ، فقلت: ماذا أقرأ، ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود بمثل ما صنع" ^(١٧).

ويعني هذا أن جبرئيل عليه السلام فعل ذلك إلى أن كاد أن يقتل رسول الله عليه السلام (فتنت أنه الموت)، وكلما أردنا أن نفهم هذا الفعل من جبرئيل لم نصل لنتيجته، وهل يجوز ذلك مجرد أن قال: «ما أنا بقارئ» أو سأله «ماذا أقرأ؟»! وهل كان هذا الفعل من جبرئيل عليه السلام بأمر من الله تعالى أم هو تصرف شخصي؟ وكلاهما مرفوض عقلاً.

وهل نقل عن جبرئيل عليه السلام أنه تعامل هذا التعامل الجاف مع أحد من الأنبياء، أم أن هذا من خصائص نبينا عليه السلام؟!
ولا نتعجب في تصوير ملك الوحي بهذه الطريقة بعد أن روى البخاري أنه:
"أُرسِلَ مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَرَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يَرِيدُ الْمَوْتَ" ^(١٨).

فهذه الروايات وأمثالها تصور التعامل الجاف بين الملائكة والأنبياء، فهل يمكن أن يقبلها مسلم؟

٣- خوف النبي ﷺ:

يقول الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّمَا لَا يَخَافُ لَدَيَ الْمُرْسَلُونَ﴾^(١٩)، ولكن نرى أن هناك تركيزاً في هذه الروايات على أنَّ النبي ﷺ كان خائفاً جداً إلى درجة الالتجاء بزوجته وأكثر من ذلك كما سنرى، وهذا الخوف والرعب لم يكن فقط عند أول لقاء مع جبرئيل عليهما السلام بل استمر طويلاً، وهذا كلَّه نتيجة التعامل السيء (والعياذ بالله) من أمين الوحي عليهما السلام مع النبي ﷺ.

ففي الرواية المتقدمة عن البخاري بعد أن غطَّ جبرئيلُ رسولَ الله ﷺ، ثم قرأ عليه الآيات "رجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خوبيل فقال: «زموني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع". فاستعمل الراوى هنا مصطلح (يرجف فؤاده)، ولم يذهب عنه الروع إلا بعد أن زملوه.

ويروي ابن عساكر: "فيَبِينَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرَاءِ يَتَمَشِّي إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ جَبَرِيلُ، فَدَنَّا مِنْهُ فَخَافَهُ نَبِيُّ اللَّهِ مَخَافَةً شَدِيدَةً، فَأَخَذَ جَبَرِيلُ فَوْضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَبَيْنَ كَتْفَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ احْطُطْ وَزْرَهُ، وَاشْرُحْ صَدْرَهُ، وَطَهُرْ قَلْبَهُ، يَا مُحَمَّدُ أَبْشِرْ فَإِنَّكَ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقْرَأْ، قَالَ لَهُ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَهُوَ خَائِفٌ يَرْعُدُ: مَا قَرَأْتَ كِتَابًا قَطّْ وَلَا أَحْسَنَهُ وَمَا أَكْتَبْ، وَمَا أَقْرَأْ؟ فَأَخَذَهُ جَبَرِيلُ فَفَتَّهُ شَدِيدًا"^(٢٠).

فهنا مجرد أن دنا جبرئيل عليهما السلام من النبي ﷺ "خافه مخافة شديدة" وقد كان "خائفاً يرعد"! فإلى هذا الحد كان جبرئيل عليهما السلام مخيفاً! ثم إنَّ النبي ﷺ كأنه لم يسمع أو يقتتنع بقول جبرئيل عليهما السلام "يَا مُحَمَّدُ أَبْشِرْ فَإِنَّكَ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ" الذي يدلُّ على أنه ملك مرسل من الله تعالى.

وفي رواية أخرى للبخاري عن النبي ﷺ: "بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ

السماء فرفعت بصرى فإذا الملك الذي جاءني بحراً جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُذْرِقُ فَأَنذِرْ إِلَى قَوْلِهِ وَالرَّجْزِ فَاهْجُرْ فَحْمِيَ الْوَحْيِ وَتَتَابِعْ تَابِعَهِ﴾^(٢١)، وفي رواية أخرى "فجئت"^(٢٢) منه رعباً فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروني"^(٢٣).

وكما نرى هنا من ظاهر الرواية أنَّ هذه الحادثة بعد مدة من اللقاء الأول في غار حراء، أي هي حادثة أخرى غير حادثة تلقي آيات الوحي، وهنا نجد أنَّ النبي ﷺ لا زال خائفاً يتذكر المواقف السابقة في غار حراء، وهذا يعني أنَّ الخوف والرعب قد سيطر على قلبه المبارك ﷺ.

وفي رواية يأتي ذكرها يقول ﷺ لورقة بن نوفل: "إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فأنطلق هارباً في الأرض"^(٢٤)، وفي رواية أخرى: "إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، فقد والله خشيت على نفسي"^(٢٥).

٤- النبي ﷺ يريد الانتحار!!!!

قد يتعجب القارئ من هذا العنوان المخيف، ولكنه الواقع الذي تذكره روايات القوم دون استنكار، فإنَّها تذكر أنَّ النبي ﷺ وصل به الخوف إلى حدٍ إرادة الانتحار، والأعجب من ذلك هو سبب إرادة الانتحار، فيا ترى لماذا يريد أشرف الكائنات الانتحار لمجرد أنَّ أراد الله تعالى أن يكرمه بالنبوة؟

سبب الانتحار:

الجواب سهل ويسير في رواياتهم، فحيث أنَّ النبي ﷺ لم يعلم أنَّ الذي جاءه جبريل، وكان لا يعلم ما هي القضية، والظاهر أنه لم يُدرِّ في خَلَدِه مسألة النبوة أصلاً، لذلك اعتقدَ (والعياذ بالله) أنَّه مجنون أو ساحر، فلكي يُذهب هذا العار عن نفسه أراد الانتحار، وانتهت القصة يا مسلمين!

وهذه التهمة هي نفس تهمة المشركين الذين كانوا يرددونها للنبي ﷺ ولمن

قبله من الأنبياء عليه السلام، يقول تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلِيأَنْتَنَا بِآيَةٍ كَمَا أَرْسَلْتَ الْأَوْلَوْنَ﴾^(٢٦)، وقال: ﴿فَذَكِرْ فَمَا أَنْتَ بِنَعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرْبَصُ بِهِ رَبِّ الْمَنَوْنَ﴾^(٢٧). وفي أخرى: ﴿إِنَّهُ لِقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تَؤْمِنُونَ﴾^(٢٨). ويقولون أَنَّا لَتَارِكُوا آهَاتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ^(٢٩). ﴿أَنِّي لَهُمُ الْذَّكْرِي وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْهُ عَنْهُ وَقَالُوا مَعْلُومٌ مَجْنُونٌ﴾^(٣٠). ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾^(٣١).

رواية الانتحار:

فبعد هذه الآيات هل يمكن أن يوجد مسلم ينسب لرسول الله عليه السلام هذا الأمر؟ للأسف نعم، فقد روى ابن اسحاق والطبراني وابن عساكر واللفظ للأخير، أنه عليه السلام لما قرأ عليه جبرئيل آيات ﴿اقرأ...﴾ قال عليه السلام: "فقرأتها كلها ثم انتهى فانصرف عني وهبته من نومي كأنما كتبت في قلبي كتاباً، قال: ولم يكن من خلق الله شيء أبغض إلى من شاعر أو مجنون، كنت لا أطيق أن أنظر إليهما، قال: قلت: إن الأبعد يعني نفسه لشاعر أو مجنون لا تحدثن قريش عني بهذا أبداً إلا عمدت إلى حلق من الجبل فألطخن نفسي فألقتلها فألاستريح قال: فخرجت أريد ذلك حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء وهو يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قد미ه إلى أفق السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، قال: فوقفت أنظر حتى شغلني ذلك عما أردت فيما أتقدم ما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية إلا وجدته كذلك، فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسليها في طليبي بلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني"^(٣٢).

رواية أخرى أدهى وأمر:

وَمَا فِي الْبَخَارِيِّ وَمُسْنَدِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا أَعْظَمُ مَا مَرَّ، فَإِنَّ الرَّوَايَةَ السَّالِفَةَ تَذَكَّرُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ الْانْتِهَارَ بَعْدَ أَخْذِهِ الْآيَاتِ، وَلَا سَمِعَ قَوْلَ جَبَرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جَبَرِيلُ»، اكْتَفَى بِذَلِكَ، وَلَكِنَّ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ أَنَّ حَادِثَةَ الْانْتِهَارِ كَانَتْ بَعْدَ أَنْ تَقَىَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُورْقَةَ بْنَ نُوفَّلَ، وَبَعْدَ أَنْ فَتَرَ الْوَحْيَ، وَقَدْ أَرَادَ الْانْتِهَارَ مَرَارًا.

فَقَدْ جَاءَ فِيهَا: "ثُمَّ لَمْ يَنْشُبْ وَرْقَةَ أَنْ تَوْفَى وَفَتَرَ الْوَحْيَ فَتَرَةً، حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا حَزَنًا غَدَا مِنْهُ مَرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رَؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجَبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذَرْوَةِ جَبَلٍ لَكِي يَلْقَى مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدِّي لَهُ جَبَرِيلٌ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولَ اللَّهِ حَقًا، فَيُسْكِنُ لَذَلِكَ جَأْشَهُ، وَتَقْرَبُ نَفْسَهُ فَيُرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتَرَةُ الْوَحْيِ غَدَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذَرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدِّي لَهُ جَبَرِيلٌ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ" (٣٣).

فَهَذِهِ الرَّوَايَةُ تَقُولُ بِأَنَّ النَّبِيَّ بَعْدَ كُلِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنْ جَبَرِيلٍ لَمْ يَصُدِّقْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِ بِهِ إِيَّاَنَ خَدِيجَةَ وَعَلِيِّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِعِجْرَدِ أَنَّ أَخْبَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَبْوَتِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُجْرِدُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوجَبًا لِلحُصُولِ الإِيَّانِ، بَيْنَمَا قَوْلُ رَسُولِ الْوَحْيِ وَتَأْكِيدُهُ الْمُتَكَرِّرُ لَا يَوْجِبُ الإِيَّانَ؟! بَلْ يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ الْانْتِهَارَ بَعْدَ عِلْمِهِ بِالنَّبُوَّةِ، وَبَعْدَ تَكْرَارِ جَبَرِيلٍ

قَوْلِهِ: "يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًا"!!

وَهَاتَيْنِ الرَّوَايَتَيْنِ فِي نَظَرِي مِنْ أَخْطَرِ رَوَايَاتِ الْبَعْثَةِ، فَبَعْدَ مَا حَصَلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَاحِبُ الرِّسَالَةِ أَلَا يَكُونُ الْآخِرُونَ مَعْذُورُونَ عِنْ إِصْرَارِهِمْ عَلَى عَدَمِ تَصْدِيقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

وَأَلَا يَكُونُ اتِّهَامُ الْمُشْرِكِينَ لِهِ بِأَنَّهُ شَاعِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ الْقِبُولِ بَعْدَ أَنْ اعْتَقَدُ هُوَ نَفْسَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَأَرَادَ الْانْتِهَارَ مَرَارًا؟ وَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ صَحِيحًا

ألم يكن مستمسكاً للمشركين على النبي ﷺ، فلماذا لم يجاججه به؟
 ولكون ما ذكر عظيماً غير قابل للتصديق، حاول بعضهم مناقشة الرواية
 سندًاً مع أنها من روایات البخاري، مع أنّ غالب من ذكر هذه الرواية (وهم كثراً)
 لم يتعرض لمناقشتها، واكتفى بعضهم بالحلي في سيرته بعد نقلها عناقشة
 زمن انقطاع الوحي وهل هي أيام أم سنوات، وأطال في ذلك كثيراً^(٣٤).
 وعلق العيني في شرح البخاري على هذا المقطع بعد مناقشة السند بأنه: ”قد
 يحمل على أنه كان أول الأمر قبل رؤية جبريل عليه الصلاة والسلام كما جاء مبيناً
 عن ابن إسحاق عن بعضهم (وهذا خلاف صريح الرواية)، أو أنه فعل ذلك لما
 أخرجه تكذيب قومه كما قال تعالى ﴿فَلَعْلَكَ بَاخُرُ نَفْسَكَ﴾ (وهل الإحراب يجوز له
 الانتحار؟)، أو خاف أنّ الفترة لأمر أو سبب فخشى أن يكون عقوبة من ربه فعل
 ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فیعرض به، ونحو هذا فرار
 يونس عليه السلام حين تكذيب قومه والله أعلم“^(٣٥)، وهل يحتاج النبي ﷺ لنهي شرعي
 حتى يتنع عن الانتحار، وفرق بين فرار يونس عليه السلام وبين الانتحار.

٥- مع الطاهرة أم المؤمنين خديجة عليهما السلام:

الروايات تصور لنا دوراً مهما لأم المؤمنين السيدة خديجة عليهما السلام في ثبيت
 النبي ﷺ وجعله يطمئن بنبوته، ولو لاها لربما طال شكُّ النبي ﷺ وخوفه
 وعدم اطمئنانه، والمشكلة في هذه الروايات التي تدح السيدة خديجة عليهما السلام أنها تذمّر
 النبي ﷺ وتجعله أقلّ مقاماً من زوجته عليهما السلام، فإننا نسلم أنّ للسيدة خديجة دوراً
 مهما وكبيراً في نصرة النبي ﷺ، ولكن إيمانها ليس بأكثر من منه ﷺ، بل
 لولاه لما وصلت هي لهذا المقام العظيم.

فأول شيء نراه كما مرّ هو لجوء النبي ﷺ إليها، حيث كان خائفاً من عوبها،
 والرواية تقول عنه ﷺ: ”وانصرفت راجعاً حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها

مضيفاً إليها»، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت، فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا، إلى أن قال: «قلت لها: إن الأبعد لشاعر أو مجنون» قال: فقالت: أعيذك بالله يا أبا القاسم، ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما أعلم منك من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وحسن خلقك، وصلة رحمك، وما ذاك يا ابن عم، لعلك رأيت شيئاً، قال: «قلت لها: نعم» قال: «ثم حدثتها بالذى رأيت»، فقالت: أبشر يا ابن عم وأثبتت فوالذى نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة»^(٣٦).

فهنا النبي ﷺ وكما مرّ لا زال يعتقد نفسه الطاهرة (والعياذ بالله) شاعراً أو مجنوناً، بينما السيدة خديجة ؑ تقول: «فوالذى نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة».

وفي رواية أخرى يقول ﷺ: «لقد خشيت على نفسي»، بينما السيدة ؑ تقول: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً أنك لتصل الرحم»^(٣٧)، وفي رواية ثالثة يقول ﷺ: «إني إذا خلوت وحدى سمعت نداء، وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر». فترد عليه خديجة ؑ: «معاذ الله ما كان لي فعل ذلك بك فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث»^(٣٨).

وحتى تتأكد السيدة ؑ وتطمئن من أن الذي جاءه هو جبريل ؑ وليس بشيطان، طلبت طلباً من النبي ﷺ فقالت له: «اجلس إلى شقي الأيمن»، فتحول فجلس، فقالت: أتراء الآن؟ قال: «نعم»، قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول [رسول الله ﷺ] فجلس في حجرها فقالت: هل تراه الآن؟ قال: «نعم» فتحسرت رأسها فشالت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: «لا» قالت: ما هذا بشيطان، إن هذا ملك يا ابن عم فأثبت وأبشر، ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق»^(٣٩).

وفي رواية أخرى: «أنها أدخلت رسول الله بين جلدها ودرعها، وأخرجت رأسه



من جيبيها، فذهب جبرئيل عليه السلام عند ذلك. وفي رواية: أن ذلك كان بإشارة ورقة^(٤٠).

وهذه طريقة جديدة غير معهودة في التعرف على جبرئيل ملك الوحي عليه السلام! ألم يكن أسلوب أوضح وأحسن من هذا الأسلوب يوفره الله الحكيم لأشرف أنبيائه عليه السلام حتى يتعرف على ملك الوحي؟!

وفي رواية ابن عساكر وهي طويلة جداً، أنَّ النبي عليه السلام بعد أن جاءه جبرئيل تيقن بذلك فأتى خديجة عليه السلام، فأتت "غلاماً لعبدة بن ربعة يقال له عداس، نصراني من أهل نينوى، فقالت: يا عداس أذرك الله إلا حدثني هل عندك من جبريل علم؟"^(٤١). وكان هدفها الاطمئنان بأنَّ الذي جاء النبي عليه السلام هو جبرئيل وليس شيطاناً، وهذا يعني أنها تطمئن لقول نصراني أكثر من قول النبي عليه السلام، وهذا افتراء على أم المؤمنين عليه السلام.

وفي رواية أخرى لابن عساكر أيضاً: "فقالت خديجة: أبشر فوالله لقد كنتُ أعلم أنَّ الله لن يفعل بك إلا خيراً، وأشهد أنك نبي هذه الأمة الذي تتنتظره اليهود، قد أخبرني به قبل أن أتزوجك ناصح غلامي وبحيراً الراهب، وأمرني أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة"^(٤٢).

فخديجة عليه السلام كانت ومنذ زمن طويل تعلم بنبوة النبي عليه السلام اعتماداً على قول بحيراً الراهب، ولكن النبي عليه السلام لم يكن يعلم شيئاً!!

٦- مع القس النصراني ورقة بن نوفل:

عدة شخصيات ذكرت في روایات البعثة كان لها دور في معرفة نبوة النبي عليه السلام، منها بحيرى الراهب، وآخر يدعى عداس، ولكن نجد شخصية ورقة بن نوفل نالت الحظ الأوفر في تدعيم النبوة المحمدية، مع أنَّ الرجل نصراني لم يعلم أنه آمن به عليه السلام وإن نقل بعضهم أنه مات مسلماً.

على كل حال الروايات كثيرة ومتعددة في تفصيل ذلك، منها أنَّ السيدة

خدیجه علیہا ذہبت إلى ورقة لإخباره بما حصل لرسول الله ﷺ فقال ورقة: "قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن صدقتنی يا خدیجه لقد جاءه الناموس الأکبر الذي کان يأتي موسى، وأنه لنبي هذه الأمة، فقولي له فليثبت، فرجعت خدیجه إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال ورقة فسهل ذلك عنه بعض ما هو فيه من الهم بما جاءه، فلقيه ورقة بن نوفل وهو (الرسول ﷺ) يطوف بالکعبه فقال له: يا ابن أخي، أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله ﷺ، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأکبر الذي جاء موسى، ولتكذبه ولتؤذنه ولتخرجنه ولتقاتله ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرن الله نصراً يعلمها، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخي ثم انصرف رسول الله ﷺ وقد زاده ذلك من قول ورقة بن نوفل ثباتاً وخفف عنه بعض ما كان فيه من الغم" ^(٤٣) .. وفي رواية أخرى قال ورقة للنبي ﷺ: "أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به بن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنكنبي مرسل، وأنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا" ^(٤٤).

وفي رواية البخاري أن خدیجه علیہا أخذت النبي ﷺ فأتت به عند ورقة وقالت لورقة: "يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو خرجي هم؟ قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ قط بمثل ما جئت به الا عودي" ^(٤٥) .. وفي رواية غريبة أخرى أن أبو بكر "دخل على خدیجه وليس رسول الله ﷺ" عندها، ثم ذكرت خدیجه له ما رآه فقالت: يا عتیق، اذهب مع محمد إلى ورقة، فلما دخل ﷺ أخذ أبو بكر بيده فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: «ومن أخبرك؟»، فقال: خدیجه، فانطلقا إليه فقصاصا عليه، فقال (النبي ﷺ): «إذا خلوت وحدی سمعت

نداء خلفي يا محمد يا محمد، فأنطلق هاربا في الأرض» فقال له: لا تفعل، إذ أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم ائتنى فأخبرنى، فلما خلا ناداه: «يا محمد، قل: لا **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» حتى بلغ **وَلَا الضَّالِّينَ**، قل: لا **إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» فأتى ورقه، فذكر ذلك له، فقال له ورقه: أبشر ثم أبشر، فانا أشهد بأنك الذي بشر به عيسى ابن مريم وإنك على مثل ناموس موسى وإنكنبي مرسلا وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركني ذاك لأجاهدن معك فلما^(٤).

مناقشة هذه الروايات:

أولاً: بعد كل ما حصل لا زال النبي ﷺ لا يعرف حقيقة الأمر، وأنَّ الذي أتاه هل هو ملك الوحي أو شيء آخر، لذلك يسلِّم الأمر لزوجته، ويقبل بالذهب لنصراني حتى يطمئن قلبه!!

ثانياً: يفهم من هذا المقطع أنَّ النبي ﷺ لم يكن لديه أدنى معلومة عن الوحي والملائكة، وأما بطل القصة (ورقة بن نوفل النصراني) فلأنه قرأ الإنجيل، فإنه بمجرد أن سمع ما شرحه له النبي ﷺ جزم بأنَّ الذي أتاه هو نفسه الذي أتى النبي موسى عليه السلام!! ويعني ذلك أنَّ ورقه أعلم من النبي ﷺ براتب؛ فإنَّ النبي ﷺ سمع الوحي ورأه ولكنه لم يعرفه، وأماماً ورقه فبمجرد أن سمع الوصف عرف جبرئيل!!!

ثالثاً: كيف يكون إيان المرسل له (وهو ورقه) سابقاً على إيان الرسول(وهو النبي ﷺ)، بحيث كما تقول الرواية الأولى المتقدمة: " وقد زاده ذلك من قول ورقه بن نوفل ثباتاً، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الغم"؟! فلا أدرى من الرسول ومن المرسل إليه؟

رابعاً: كيف يقبل النبي ﷺ قول نصراني ويسلم له الأمر بهذه السرعة،

بينما يتمهل ويشك في أمين الوحي جبرئيل عليه السلام؟!

خامساً: كيف يكون ورقة أعلم بالنبي عليه السلام بمستقبله وبما سيجري له؟ فتارة يخبره بأنك "لتكتذبه ولتؤذنه ولتخرجنـه ولتقاتلـه"، وأخرى يقول له: "ولأنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا"، وثالثة يقول: "ليتنـي أكون حـيا إذ يخرجـك قـومك، فقال رسول الله عليه وآله: «أو مخرجـي هـم» قال: نـعم، لم يـأت رـجل قـط بمـثـل مـا جـئت به الا عـودـي؟"

ولعل ورقة كان يجب أن يكون هو أمين الوحي، ولكن لما كان بشراً وضع الله تعالى مكانه جبرئيل.

سادساً: إذا علم ورقة بأن النبي عليه وآله هو مـرسـل من الله، فـلـمـاـذا لمـيـؤـمنـ بهـ مـباـشرـةـ معـ أنـ النـبـيـ بدـأـتـ نـبـوـتـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ حـيـنـذـاكـ،ـ وـمـاـ نـقـلـ أـنـهـ مـاتـ مـسـلـمـاـ غـيرـ مـسـلـمـ عـنـ الجـمـيعـ.

سابعاً: الرواية الأخيرة تـرـيدـ أنـ تعـطـيـ أـبـاـ بـكـرـ دورـاـ فيـ النـبـوـةـ،ـ وـكـأـنـ الـرـوـاـيـةـ تـرـيدـ أـنـ تـخـلـقـ جـوـاـ منـ التـسـلـيمـ بـأـنـ أـبـاـ بـكـرـ كـانـ مـسـلـمـاـ فيـ ذـلـكـ الـوقـتـ،ـ وـكـانـ يـتـرـدـدـ عـلـىـ خـدـيـجـةـ،ـ بـلـ وـتـوـحـيـ الرـوـاـيـةـ أـنـهـ كـانـ مـطـمـئـنـاـ بـنـبـوـةـ النـبـيـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـهـ.

خلاصة ما تقدم:

أن هذه الروايات تـصـفـ النـبـيـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـهـ بـالـجـهـلـ بـنـبـوـتـهـ،ـ وـخـوـفـهـ الشـدـيدـ منـ جـبـرـئـيلـ عـلـيـهـ سـلـامـهـ حتىـ اـعـتـقـدـ بـأـنـهـ سـاحـرـ أوـ مـجـنـونـ(ـحـاشـاهـ شـمـ حـاشـاهـ)،ـ فـأـرـادـ الـانـتـهـارـ مـرـارـاـ حـتـىـ بـعـدـ الـعـلـمـ بـالـنـبـوـةـ،ـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ التـعـالـمـ السـيـءـ مـنـ قـبـلـ أـمـيـنـ الـوـحـيـ عـلـيـهـ سـلـامـهـ،ـ وـأـنـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـهـ لـمـ يـؤـمـنـ بـنـبـوـةـ نـفـسـهـ إـلـاـ بـعـدـ أـنـ استـعـانـ بـزـوـجـتـهـ خـدـيـجـةـ عـلـيـهـ سـلـامـهـ،ـ وـبـكـلامـ النـصـرـانـيـ وـرـقـةـ بـنـ نـوـفـلـ.

بعض الروايات صححة المضمون

هناك روايات يمكن القبول بضمونها، ويجب أن تكون هي المتداولة، وإن كانت هذه الروايات للأسف لا بدّ أن يشوبها شيء من الوضع، فجزء من المضمون يمكن قبوله والجزء الذي فيه محذور يضرب به عرض الحائط:

نكتفي بما رواه ابن عساكر أنّ ورقة بن نوفل قال للسيدة خديجة عليها السلام: "إني أخاف أن يكون غير جبريل، فإنّ بعض الشياطين يتشبه بغير صورته ليظل به بني آدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدلها مجنوناً، وأنا خائف على صاحبك أن يكون كذلك، فقامت من عند ورقة وهي واتقة بالله أن لا يفعل الله بصاحبها إلا خيراً، فرجعت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد نزل جبريل فأبأته بما تكلم به ورقة، ومن تخويف الشياطين، فأنزل الله عليه: ﴿نَّ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنْعَمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأْجَرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتَبْصِرُ وَيَبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾، المجنون وقد كانت قريش إذا سمعت بذكر محمد بما ذكر لهم الراهب وعداس قالوا: فلعله مجنون، وخاضوا في ذلك، فوافق ذلك قول ورقة بن نوفل، ففي ذلك أنزل الله ﴿فَسَتَبْصِرُ وَيَبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ فلما رجعت خديجة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرته بالذي ذكر لها ورقة، وقال لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلا، والذي اختصني بالنبوة ما بي جنون، وإنه جبريل أتاني فأخبرني بالذي خاضت فيه قريش ويقول ورقة» فاقترأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خديجة هذه الآيات، فقالت: الحمد لله كثيراً، قد زادني هذا يقيناً مع ما كنت فيه من اليقين، ثم قالت له: أحب أن تلقى ورقة فتبأنه الحديث^(٤٧).

بعض روايات المبعث عند أهل البيت عليهم السلام

المهم في البعثة النبوية الشريفة هو أهدافها المقدسة، وليس طريقة الوحي وما

ذكر من قصص وهمية، ولذلك نرى روایات أهل البيت علیهم السلام لا ترکز على ذلك كما هو حال القرآن الكريم، إلا إذا كان لغرض بيان عظمة النبي علیه السلام، ونكتفي هنا بعض روایاتهم علیهم السلام:

روایات أهل البيت علیهم السلام في تلقی الوحي:

روى ابن شهر آشوب: "أن جبرئيل أخرج قطعة ديباج فيه خط فقال: اقرأ، قلت: «كيف أقرأ ولست بقارئ؟»؟ إلى ثلاث مرات فقال في المرة الرابعة ﴿اقرأ باسم ربك﴾ إلى قوله ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، ثم أنزل الله جبرئيل وميكائيل عليهما السلام، ومع كل واحد منهما سبعون ألف ملك، وأتى بالكراسي ووضع تاج على رأس محمد علیه السلام وأعطى لواء الحمد بيده فقال: اصعد عليه وأحمد الله، فلما نزل عن الكرسي توجه إلى خديجة، فكان كل شيء يسجد له ويقول بلسان فضيحة: السلام عليك يا نبی الله، فلما دخل الدار صارت الدار منورة فقالت خديجة: وما هذا النور؟ قال: «هذا نور النبوة، قولي لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فقالت: طال ما قد عرفت ذلك، ثم أسلمت، فقال: «يا خديجة، إنی لأجد بربدا»، فدثرت عليه فنام فنودي ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدْتَر﴾ الآية، فقام وجعل إصبعه في أذنه وقال: «الله أكبر الله أكبر»، فكان كل موجود يسمعه يوافقه^(٤٨).

قس هذه الرواية مع ما تقدم من روایات وانظر الفرق الشاسع بينهما.

معرفة النبي علیه السلام لأمين الوحي علیهم السلام:

عن زراره بن أعين أنه سأله الإمام الصادق علیهم السلام: "كيف لم يخف رسول الله علیه السلام فيما يأتيه من قبل الله أن يكون مما يتزع به الشيطان؟" فقال: "إن الله إذا اتخذ عبدا رسولا أنزل عليه السكينة والوقار، فكان الذي يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه"^(٤٩).

اقتران الملك بالنبي ﷺ منذ طفولته:

عن الأمير عثيمين في نهج البلاغة: «ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليه ونهاره، ولقد كنتُ أتبعه اتباع الفضيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراً فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيٌ واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديمة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان أليس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لستبني، ولكنك وزير، وإنك على خير»^(٥٠).

نكتفي بهذا المقدار منعاً للإطالة، ولعلنا نوفق في مقالة أخرى لتفصيل ما ورد عن أئمة الهدى عثيمين فيما يتعلق بالبعثة النبوية الشريفة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وآلـه الطيبين الطاهرين.

الهوامش:

(١) ففي ضمن حديث عنه ﷺ: «وبشرني على لسان كل رسول بعثه الله إلى قومه» علل الشرائع، ج ١، ص ١٢٨.

(٢) راجع وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٤٨.

(٣) ففي حديث الإمام الصادق عثيمين عند ولادته النبي ﷺ: «وأصبحت الأصنام كلها صبيحة مولد النبي ﷺ ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه، وارتجمس في تلك الليلة إيوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشر شرفة، وغضبت بمحيرة ساوية، وفاض وادي السماوة، وخدمت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى المؤبدان في تلك الليلة في النام إيلا صعاباً تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة، وانسربت في بلادهم، وانقضت طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز، ثم استطار حتى بلغ المشرق، ولم يبق سرير الملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً». أمالى الصدوق عثيمين، ص ٣٦١-٣٦٠.

- (٤) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ١، ص ٣٣.
- (٥) الاحتجاج، ج ١، ص ٣٣١.
- (٦) أمالى الشيخ الصدوق عليه السلام، ص ٣٦١، وراجع المناقب لابن شهر آشوب، ج ١، ص ٢٩.
- (٧) الخرائج والجرائح لراوندي، ج ١، ص ١٣٩.
- (٨) تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٥، تفسير الألوسي، ج ١٨، ص ٥١، وإمتناع الأسماع للمقرizi، ج ٦، ص ٢٩، السيرة الحلبية، ج ١، ص ٢٢٦.
- (٩) التفسير الكبير للرازي، ج ٣١، ص ٢١٥.
- (١٠) كمال الدين للصدوق، ص ١٨٢-١٨٦.
- (١١) راجع كمال الدين للصدوق عليه السلام، ص ٢٢٧.
- (١٢) البخاري، ج ١، ص ٣.
- (١٣) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٣، ص ١٧-١٩.
- (١٤) مجمع الزوائد، ج ٨، ص ٢٢٣-٢٢٤.
- (١٥) آل عمران: ١٤٦.
- (١٦) البخاري، ج ١، ص ٤-٢، صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٧-٩٨، المستدرك للنيسابوري، ج ٣، ص ١٨٣-١٨٤.
- (١٧) تاريخ الطبرى، ج ٢، ص ٥٠، وسيرة ابن اسحاق، ج ٢، ص ١٠١-٣، وتاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، ج ٦٣، ص ١٦.
- (١٨) البخاري ج ٢، ص ٩٣، وج ٤، ص ١٣٠.
- (١٩) النمل: ١٠.
- (٢٠) مدينة دمشق لابن عساكر، ج ٦٣، ص ١٧.
- (٢١) صحيح البخاري، ج ١، ص ٤-٢.
- (٢٢) وجئـت فهو مجئـت أي مذعور.
- (٢٣) البخاري، ج ٦، ص ٧٦.
- (٢٤) عمدة القارى للعيني، ج ١، ص ٦٤.
- (٢٥) الإصابة لابن حجر، ج ٦، ص ٤٧٥.
- (٢٦) الأنبياء: ٥.

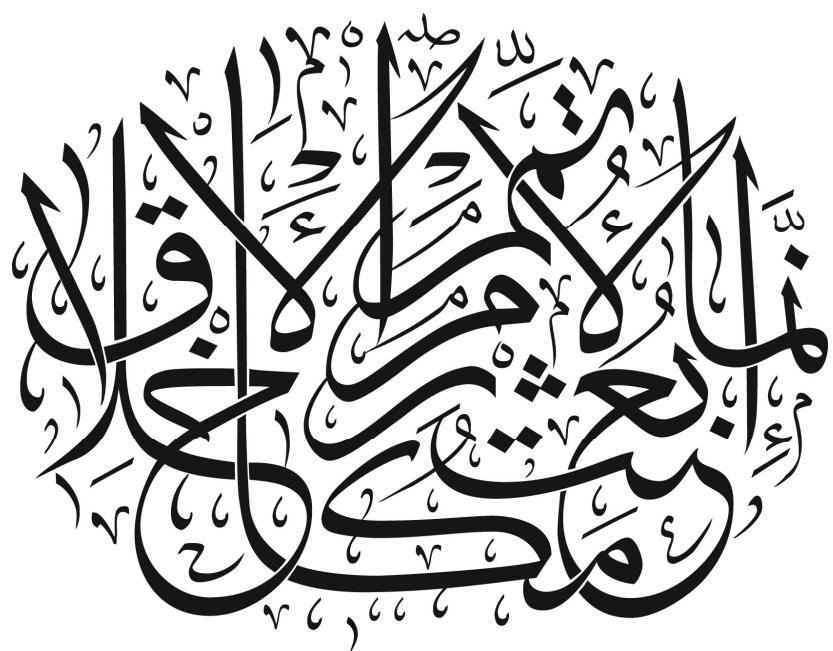


- (٢٧) الطور: ٣٠-٢٩.
- (٢٨) الحاقة: ٤١-٤٠.
- (٢٩) الصافات: ٣٦.
- (٣٠) الدخان: ١٤-١٣.
- (٣١) الذاريات: ٥٢.
- (٣٢) تاريخ الطبرى، ج ٢، ص ٥٠، وسيرة ابن اسحاق، ج ٢، ص ١٠١-٣، وتاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، ج ٦٣، ص ١٦.
- (٣٣) صحيح البخاري، ج ٨، ص ٦٧-٦٨، مسند ابن حنبل، ج ٦، ٢٣٣، صحيح ابن حبان، ج ١، ص ٢١٦، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٢٣.
- (٣٤) السيرة النبوية للحلبي، ج ١، ص ٤٢١.
- (٣٥) عمدة القاري للعييني، ج ١، ص ٥٥.
- (٣٦) تاريخ الطبرى، ج ٢، ص ٥٠، وسيرة ابن اسحاق، ج ٢، ص ١٠١-٣، وتاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، ج ٦٣، ص ١٦.
- (٣٧) صحيح البخاري، ج ١، ص ٣.
- (٣٨) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٣، ص ١٥، الإصابة لابن حجر، ج ٦، ص ٤٧٥.
- (٣٩) البداية والنهاية، ج ٣، ص ٢٢.
- (٤٠) الصحيح من سيرة النبي ﷺ، ج ٢، ص ٢٨٩.
- (٤١) تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٣، ص ٧-٩.
- (٤٢) نفس المصدر، ص ١٨.
- (٤٣) تاريخ الطبرى، ج ٢، ص ٥٠، وسيرة ابن اسحاق، ج ٢، ص ١٠١-٣، وتاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، ج ٦٣، ص ١٦.
- (٤٤) الإصابة لابن حجر، ج ٦، ص ٤٧٥.
- (٤٥) البخاري، ج ١، ص ٤-٣.
- (٤٦) عمدة القاري للعييني، ج ١، ص ٦٤، وراجع البداية والنهاية لابن كثير، ج ٣، ص ١٥.
- (٤٧) مدينة دمشق، ج ٦٣، ١٩-٢٠.
- (٤٨) المناقب لابن شهر آشوب، ج ١، ص ٤٣.



(٤٩) تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠١، وعنه في البحار، ج ١٨، ص ٢٦٢.

(٥٠) نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٥٧.





قبل وبعد البعثة ..

(من الخطبة الغراء لفاطمة الزهراء عليها السلام)

حسن حلال النزكي

بسم الله الرحمن الرحيم، لا ريب أن دراسة مراحل تبلیغ رسالة الإسلام للنبي المصطفى عليه السلام من الأمور الشديدة الأهمية لما لها من الآثار الكبيرة على حال المسلمين اليوم، وبالخصوص دراسة المفاصل المهمة فيها، والتي تبين مدى الجهد والعناية الكبيرين الذي بذلته أعظم شخصية على وجه الأرض ألا وهي شخصية النبي الأمي عليه السلام، إلى جانب ما قتله هذه الشخصية من الأنwoذج والقدوة على شتى مجالات الحياة التي منها الدعوة إلى توحيد الله تعالى إذ هو واجب على كل مسلم.

ومن تلك المراحل، مرحلة ما قبل البعثة، ومرحلة ما بعد البعثة، حيث إنها قتلان مرحليان من حياة هذا الدين الحنيف وتأسيسه وانتشاره في أنحاء العمورة مثلاً النور والهدى للإنسانية كل الإنسانية، بالإضافة إلى إرساء قواعد الدولة الإسلامية الكبرى.

ونحن في هذا البحث المتواضع، سنلقي نظرة عابرة على المرحلتين، وذلك بتحليل ما جاء في الخطبة المباركة لسيدة نساء العالمين عليها السلام بما يخص المرحلتين، حيث إن تلك الخطبة الغراء التي صدعت بها الصديقة الطاهرة عليها السلام في مسجد رسول الله عليها السلام كانت في أحلك الظروف التي مرت على الإسلام وعلى حماة الإسلام وهم أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ونحن في هذه السطور لا يسعنا أن نتكلم عن عظمة الزهراء عليها السلام وخطبتها الغراء والتي عبر عنها العلامة المحقق الإربيلي رحمه الله أنها "من محاسن الخطب وبداعيها، عليها مسحة من نور النبوة، وفيها عيقة من أرج الرسالة"^(١)، كما قال شيخ الإسلام العلامة المجلسي رحمه الله بأنها "تحير من العجب منها والإعجاب بها أحلام الفصحاء والبلغاء"^(٢).

كما نكتفي هنا بما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام بما يخص بيان مقام الزهراء "عليها صلوات المصليين": «نحن حجة الله على الخلق، وأمنا فاطمة حجة الله علينا»^(٣).

توصيف إلى المحاور الرئيسية لخطبة الزهراء عليها السلام

تناولت الخطبة الغراء للصادقة الزهراء عليها السلام عدة مواضيع جاءت بشكل لا يسع أي أحد إلا أن يشهد ببلاغتها وعظمتها، كما لا يسع أي مسلم إلا أن يصب الدمع الغزير على ما ألم بنته خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله وسلامه وما جرى على بيت الرسالة، وما أصاب الإسلام بعد رحيله صلوات الله عليه وآله وسلامه. وهذه هي أهم النقاط التي وردت فيها:



- ١- الحمد والثناء لله تعالى.
- ٢- بعثة الرسول الأكرم ﷺ ومسير الرسالة. (محل البحث)
- ٣- خطابها مع المهاجرين والأنصار.
- ٤- القرآن وأهل البيت ع.
- ٥- بيان أسرار أحكام الله.
- ٦- مطالبة الحق المغصوب.
- ٧- بيان السيرة الحمدية.
- ٨- أمير المؤمنين ع وإبلاغ الرسالة.
- ٩- ما أظهره الرناس بعد استشهاد صاحب الرسالة ع.
- ١٠- مسألة الإرث، وحديثها مع الأنصار.
- ١١- خذلان الناس وبعدهم عن الحق.

وإليك المحاور الرئيسية فيما يتعلق به بحثنا من خطبتها ع:

أولاً: حال الأمة قبل بعثة الرسول الأعظم ع

جاء في خطبتها ع: «ابتعثه الله تعالى إنما لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذًا لمقادير حتمه».

البعث والإرسال سنة إلهية:

في هذه الكلمات المباركة بينت الصديقة ع سنة إلهية عصية على التوقف والتغيير، حيث إن بعثة الرسول ع كانت امتداداً واستمراً إلى هذه السنة الإلهية، وبيانها أن الله سنتاً لا تختلف، وأن البعث والإرسال من تلك السنن.

أما الأول: أي دوام السنة فمستفاد من قوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسْتَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسْتَةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾؛ لأنها أحسن ما يمكن أن يكون، إذ لو كانت هناك سنة أحسن منها ولم يسنها الله سبحانه لكان ذلك إما بجهل أو عجز أو بخل وبالتالي بأسره ممتنع فالقدم مثله. والتعبير (فلن تجد...) لخصوصية المقام الذي يدل فيه عدم الوجود على عدم الوجود.

وأما الثاني: وهو كون البعث سنة إلهية لا تختلف فيها، فدلالة قوله سبحانه ﴿وَلَكُنَا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدِينَ تَنْثُلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكُنَا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾^(٤) ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾^(٥) إذ المستفاد من "كُنَّا" هو الدوام وعدم التخلف، وهذا غير التعبير بالفعل الماضي أو المضارع الحاضر، وهكذا قوله تعالى ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾^(٦)، لذا عبرت السيدة الزهراء سلام الله عليها بإيقام الأمر في أن يبتعد الله رسلاه وفقاً للسنن الحتمية، وذلك كله على وفق لطف الله ورحمته الواسعة بعباده، إضافة إلى ما يختص بالرسالة الإسلامية بكونها الرسالة الخاتمة لكل الأديان.

تقول الصديقة الطاهرة علیها السلام: «فَرَأَى الْأَمَمْ فِرَقًا فِي أَدِيَانِهَا، عَكَفَّا عَلَى نِيرِهَا، عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا، مُنْكِرَةً لِلَّهِ مَعَ عِرْفَانِهَا».

الواقع العقائدي:

في هذه الفقرة من الخطبة طرقت الصديقة الطاهرة علیها السلام إلى واقع الأمم قبل البعثة الحمدية، وذلك من جهة إنكارها لله تعالى مع انتشار الضلال بينهم، فكل أمة تعبد إله، وكل قبيلة تختر معبوداً لها، فكان من سمات تلك المجتمعات الشرك في العبادة، بعضهم يعبد الأصنام التي يصنعها بيده، وبعضهم يعبد النجوم، وبعضهم يعكف على عبادة النيران، إلى جانب ذلك كانت اليهودية والنصرانية

المسوختين هما المساحة في اعتقاد بعض الأقوام، وباختصار كان "الشرك" هو العنوان الذي يمكن أن تجمع الأقوام عليه.

والسيدة الزهراء ع تشير بكلماتها إلى هذا الواقع السيء في تلك الأزمة حيث أصبحت المخالفات هي السائدة، والمصالح الشخصية هي الأولى، كما أن كل فرقة ترى أن معبودها هو الأصح، فكلاً يتدخ ألهه بشعر ونشر، وتقوم على أثر ذلك الحروب والنزاعات.

وقول الصديقة «منكرة الله مع عرفانها» إنما هو لأنه "كان العرب في بادئ أمرهم موحدين ثم شابوا نزعتهم التوحيدية بالشرك لبعض الأسباب والدليل على هذا الأمر وجود أثر من دين إبراهيم بين الناس، وبعضها سنن بقية ماثلة، كما نقل الطبرسي عن الإمام الصادق ع أن دين العرب قبل الإسلام كان أفضل من دين الموسى بسبب بعض السنن الإبراهيمية كالختان والتوكفين والدفن وعدم نكاح المحارم وحج البيت وسنن أخرى غيرها... وباتساع رقة الانحرافات بين الناس أتى على دين إبراهيم شيئاً فشيئاً^(٨).

فهذه الأمم تعبد الأصنام وتعبد النجوم وبعضها يقدس أصنام الكعبة، إلا أنه كان في اعتقادهم أن هذه الأصنام هي التي تقر لهم إلى الله تعالى، فكانت محاججتهم إلى رسول الله ﷺ بهذه الحجة ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٩)، "فهذه الآية تبين منطق عبادة الأصنام، فأحد أسباب عبادة الأصنام هي أن مجموعة كانت تزعم أن الله سبحانه وتعالى أجل من أن يحيط به الإدراك الإنساني من عقل أو وهم أو حس، فهو ممزوج عن أن يكون مورداً للعبادة مباشرة، فلذا قالوا: من الواجب أن نقترب إليه بالتقرب إلى مقربيه من خلقه، وهم الذين فوض إليهم تدبير شؤون العالم، فنتخذهم أرباباً من دون الله ثم آلهة نعبدهم ونتقرب إليهم ليشفعوا لنا عند الله

ويقربونا إليه زلفى، وهؤلاء هم الملائكة والجن وقدّيسوا البشر. ولما أحسّوا بأن ليس باستطاعتهم الوصول إلى أولئك المقدسين، بنوا تماثيل لهم، وأخذوا يعبدونها، وهذه التماثيل هي نفسها الأصنام، لأنّهم كانوا يزعمون أن لا فرق بين التماثيل وأولئك المقدسين وأنّ همّا نوعاً من التوحّد، لذا عمدوا إلى عبادة الأصنام واتخاذ آلهة لهم.

وبهذا الشكل فإنّ الأرباب في نظرهم، هم أولئك الذين خلقهم الله وقربهم إلى نفسه، وفوض إليهم تدبير شؤون العالم حسب زعمهم، وكانوا يعتبرون البارئ بِرَبِّكُمْ هو (رب الأرباب) وهو خالق عالم الوجود، ومن النادر أن يوجد من الوثنين من يقول بأنّ هذه الأصنام المصنوعة من الحجر والخشب، أو حتى آلهته^(١٠) كما يضاف إلى ذلك كله، انتشار إنكار المعاد والدار الآخرة، فكان له الأثر الكبير في فساد تلك الأمم وطغيانها.

كل ذلك الواقع السيء أشارت إليه الزهراء سلام الله عليها بقولها «عَكْفًا على نيرانها» إذ أن وصفهم بهذه الكلمات يوحي بالجهل والضلالة المستشري بين الناس، إذ يقضون ليتهم وأيامهم على عبادة النار وما شابه من دون الله.

ثم تقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ، مُذْقَةَ الشَّارِبِ، وَنَهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقَبْسَةَ الْعَجْلَانِ، وَمَوْطِئَ الْأَقْدَامِ، تَشْرِبُونَ الْطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ الْوَرَقَ، أَذْلَةَ خَاسِئِينَ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ».

(شفا حفرة: جانبها المشرف عليها، المذقة: شربة من اللبن الممزوج بالماء، النهرة: الفرصة، قبسة العجلان: الشعلة من النار يأخذها الرجل العاجل، الطرق: الماء الذي خوضته الإبل وبولت فيه، تقاتلون: يجعلون قوتكم القذ: قطعة جلد غير مذبوغ ويحمل اللحم المجفف في الشمس).

الواقع الاقتصادي والسياسي للأمة:

وحاصل ما أرادته هذه الفقرات المذكورة "وصفهم بخبائث المشرب وخشونة المأكل، لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم في دنياهم لفقرهم، وقلة ذات يدهم، وخوفهم من الأعادي"^(١)، فكانوا في حالة من الانحطاط المعيشي وغير شاهد على ذلك ما ينقله ابن كثير من قول المغيرة بن شعبة إلى يزدجر ملك الفرس: "وأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان من أسوأ منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخناص والجعلان والحيات ونرى ذلك طعاما، أما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الفنم، ديننا أن يقتل بعضنا بعضا..."^(٢)، وهذا ما لا يمكن فصله عن واقعهم السياسي، باعتبار أن الاقتصاد إنما يأتي في الظروف المناسبة والمستقرة لا في الحروب والتسليب.

وأما ما يخص الواقع السياسي فالواقع يمكن وصفه بالقانون الحيواني في الغاب، إذ أن لغة القوي على الضعيف هي السائدة، فيبقى الخوف هو الوصف المنتشر، والذلة والمسكينة إلى الآخرين هو السبيل إلى الحياة، حتى لا يمكن أن نصفها بالفوضى الأمنية لأنها أقل من أن تبين مدى الفوضى العارمة التي كانت سائدة آنذاك، إذ كانت تقوم على النهب والسلب مما في أيدي الناس، والتعدى بلا أي مخوّل وسبب سوى الجشع والطمع، إضافة إلى الحروب الطوال التي كان بعضهم يتصدق ويتعذر بها، بل كانوا يتفاخرون بقتلاهم حينها.

"إذاً كانوا يعيشون الفوضوية واللامظام، وحالة من اللامنية والفزع والهلع، وبتعبير الزهراء عائشة^{عليها السلام} أئمّهم كانوا (قبضة العجلان) يمكن أن يختطفهم العاجل بسرعة كما يقتبس القبس من النار بسرعة. كانوا موطئ الأقدام يسهل وطؤه والجور عليه.. وإن كانت المنطقة صحراوية يصعب الوصول إليها والتحرك فيها، لكن مع ذلك كانوا خائفين، لأنّهم لم تكن لهم دولة أو جيش أو نظام أو قوة سياسية فمن



هنا كانوا يعيشون في حالة من الهمج ”^(١٣) .

ومفردات هذه المقطوعة من الخطبة تبين ذلك بأسلوب قل نظيره، إذ وصفتهم الصديقة الطاهرة عائشة بوصف دقيق، يشير إلى حال الأمة آنذاك، إذ المتأمل في اختيار الكلمات والأوصاف يعرفحقيقة الأوضاع، فما معنى أن يبقى الإنسان مهددا في كل آن من الوقت ينتظر اعتداء يقع عليه! وما معنى أن يعيش الإنسان على شرب قادرات الحيوانات! نعم تتضح بهذا مدى رقي الإسلام ورفعته وسموه وطهارته.

ثانياً: حال الأمة بعد بعثة الرسول الأعظم ﷺ

قول الصديقة عائشة: «فَأَنَّارَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ظُلْمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا، وَجَلَّ عَنِ الْأَبْصَارِ غُمَمَهَا، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهِدَايَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَایَةِ، وَبَصَرَهُمْ مِنَ الْعَمَایَةِ».

(بُهم: جمع بهمة وهي مشكلات الأمور، الغمم: جمع غمة وهي الشيء المتبس المستور).

نور محمد ﷺ وكشف الظلمات:

لما كانت الظلمة هي ظلمة شبّهات الجهل والضلالـة الثابتة فيهم الخليفة عليهم، كان النور هو نور المعرفة والمداية الذي أتى به النبي ﷺ بإظهار أحكام الشريعة القوية، ودعوة الناس إلى الطريقة المستقيمة، فأزال عنهم تلك الظلمة، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ ثُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾^(١٤).

فالصادقة الطاهرة عائشة تؤكد على هذا المعنى، لأنّه كان الناس حقيقة وخصوصاً في الجزيرة العربية في حالة بعيدة كل البعد عن معنى الحياة كيف لا

وقد انتشرت بينهم مفردات بعيدة كل البعد عن الإنسان السوي من العادات السيئة في الجاهلية من القمار المعروف بالميسر المفسدة إلى المجتمع، وهذه عادة سكان المدن في الجزيرة كمكة، والطائف، وصنعاء، وهجر، ويترقب، ودومة الجندي وغيرها، وقد حرم الإسلام بآية سورة المائدة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١٥) وشرب الخمر والاجتماع عليها والمباهة بتعتيقها وغلاء ثمنها، وانتشار نكاح الاستبضاع وهو أن تخipض امرأة الرجل منهم فتطهر فيطلب لها أشرف الرجال وخيارهم نسباً وأدباً ليطهوها من أجل أن تنجب ولداً يرث صفات الكمال التي يحملها أولئك الواطئون لها، إلى جانب وأد البنات وهي أن يدفن الرجل ابنته بعد ولادتها حية في التراب خوف العار، فجاء الإسلام الحمدى ليوقف هذا السلوك الشاذ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُرِّيَتْ * بِأَيِّ ذَئْبٍ قُتِّلَتْ﴾^(١٦).

كما كان قتل الأولاد مطلقاً ذكوراً أو إناثاً عند وجود فقر أو مجاعة، أو مجرد توقع فقر شديد عندما تلوح في الأفق آثاره لوجود محل وقطاع المطر أو قلته. فحرم الإسلام هذه العادة السيئة القبيحة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ تَّخْنُ نَرْزِقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خَطْءاً كَيْرًا﴾^(١٧). والعصبية القبلية التي كانت الداعي الأكبر في شن الغارات والحرروب على بعضهم بعضاً للسلب والنهب.

قوله عليه السلام: «.. وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ».

هداية الناس ودعوتهم إلى الحق:

من الأمور التي لا شك فيها كما اتضح أن الرسول ﷺ أزاح الجهل والعماية وبين الدين القويم بجميع أحكماته وتشريعاته على جميع المستويات، فعلى



صعيد الجانب العبادي ضمن إلى هذه الأمة منهاجاً للعبودية السوية المتمثلة في عبادة الله لا شريك له، وعلى المستوى الاجتماعي عالجت رسالة الإسلام كل الأمراض التي كانت حينها كما بينا سابقاً، فشرع أحكام الزواج والطلاق والرضاة وحرم كل العادات التي لا تتوافق مع الطبيعة الإنسانية التي لا يعلم بها إلا المشرع الوحيد وهو الله تعالى جلت عظمته، أما على المستوى الاقتصادي فقد أسس الرسول الأكرم ﷺ الدولة الإسلامية بحيث تقوم على نظام اقتصادي يضمن إلى الناس حقوقهم بعيد عن الربا والنهب ويقضي على الفقر والمسكنة وذلك عبر تشرع الزكاة والصدقات... الخ.

فبهذا اتضح أن النبي ﷺ هداهم إلى الطريقة الحسنة في هذه الحياة الدنيا، كما أسس لهم معلم الوصول إلى الله تعالى، وذلك بدعوتهم إلى الصراط المستقيم، ف الصحيح أنه أخرجهم من الظلمات ونشر نور الإسلام وتشريعاته بينهم، وأشاع العدل في جوانبهم فدخلت الأمم في دين الله أفواجاً، واتسعت رقعة الأمة الإسلامية. إلا أن ذلك لا يكفي إلا بالوصول إلى الصراط المستقيم المتمثل في معرفة الله وذلك لا يتأتي إلا في معرفة هذا الطريق الموصول إلى الله تعالى، وقد بيّنه الإمام جعفر الصادق ع عليهما السلام حينما قال: في تفسير «إهدنا الصراط المستقيم» من سورة الحمد - يعني أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتكم، والمبلغ إلى جنتكم، والمانع من أن تتبع أهواءنا فتعطبر، أو أن تأخذ بآرائنا فنهلك^(١٨).

ولكن من هو الصراط؟ وهذا أيضاً أوضح عنه صادق آل محمد "عليه الصلاة والسلام" حيث ورد عنه «الصراط المستقيم أمير المؤمنين ع عليهما السلام»^(١٩) وهذه في واقع الأمر المرتبة العالية من الهدایة، حيث إن الإسلام هو الدرجة الأولى ويرقى المسلم أعلى هذه الدرجة بعرفة الإمام وحجّة الله على العالمين، ولعلنا نستسقى هذا المعنى من الدعاء الوارد في زمان الغيبة «اللهم عرّقني نفسك فإنك إن لم تعرّقني

نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُولَكَ اللَّهُمَّ عَرَفْتَنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعْرِفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ
حُجَّتَكَ اللَّهُمَّ عَرَفْتَنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعْرِفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَّتُ عَنْ دِينِي»، إِذَا
فَالْهَدَايَةِ إِنَّا تَكْتَمِلُ... وَالْإِيَّانِ إِنَّا يَتَمَّ نُورُهُ... وَمَعْرِفَةُ اللهِ إِنَّا تَتَحَقَّقُ بِعِرْفَةِ الْإِيمَانِ
وَمَوَالَاتِهِ وَمَحْبَبِهِ، وَإِلَّا تَحَقَّقَ النَّتْيُوجَةُ الْعَكْسِيَّةُ وَهِيَ الْضَّلَالُ عَنِ الدِّينِ الْقَوِيمِ.

شُمْ تقول ﷺ: «فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِالنَّذَارَةِ، مَائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضَارِبًا
ثَجَّهُمْ، آخِذًا بِأَكْظَامِهِمْ، دَاعِيًّا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الْأَصْنَامَ،
وَيَنْكُتُ الْهَامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَوَا الدِّبَرَ».

(النَّذَارَةُ: الإنذارُ والتَّخْوِيفُ، مَدْرَجَةُ الْمُشْرِكِينَ: طَرِيقُهُمْ وَمَسْلَكُهُمُ، الشَّبَّاجُ:
الْكَاهْلُ وَوَسْطُ الشَّيْءِ، الْكَظْمُ: الْفَمُ أَوُ الْحَلْقُ أَوْ مَخْرُجُ النَّفْسِ، نَكْتَهُ عَلَى هَامِهِ:
أَيُّ أَلْقَاهُ عَلَى رَأْسِهِ).

تبليغ الرسالة المحمدية:

تعرضت الصديقة الزهراء عليها السلام في هذه الفقرة إلى الصفات والسمات التي تحلت بها تلك المرحلة والرسول الأعظم عليه السلام في صدد تبليغ رسالته السامية، والتي تبين في الحقيقة مدى الصلاة على الموقف، والخشية من الله وحده، كما تدلل على مدى الحكمة في التدرج بالدعوة إلى أن وصل إلى ضرب عنان المفسدين، والتخليص من عناصر الضعف في الدولة، وذلك بعد المرحلة السرية والدعوة بالكلمة الطيبة وبث دواعي الهدایة على الناس، ولو أردنا أن ندرج بعض تلك السمات التي كانت -في الحقيقة- نتيجة لمعاناة سنين صبر عليها الرسول عليه السلام مع قلة من المسلمين حينها، فمن سمات تلك المرحلة:

الجهر والإعلان بالرسالة الإسلامية الحقة على أكثر الأمم والأقوام، بالإضافة إلى الإنذار الشديد لكل المعاندين. وهذا كله إنما هو في خط الوحي الإلهي، حيث قال الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِنُ﴾.

أ- الإعراض عن منهج المشركين وطريقتهم، سائراً على شريعة الله وهداه وهذا ما تشير إليه الآية السابقة أيضاً **﴿فَاصْنَعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾**^(٢٠). فكان صلوات الله عليه لا يبالي من المشركين ولا يحسب حساباً لكثرتهم، والكلمات التي استخدمتها الصديقة **عليها السلام** إنما تبين مدى الأسلوب الذي كان ينفع مع هؤلاء حيث تبين الآيات القرآنية مدى تعنتهم أمام الحق وانغماسهم في الباطل.

ب- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمره سبحانه **﴿إِذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...﴾**^(٢١). وقيل: الحكمة هي البراهين القاطعة وهي للخواص، والموعظة الحسنة هي الخطابات المقنعة والعبر النافعة وهي للعوام^(٢٢).

ت- سيادة الرزامة الإسلامية. فقد أزيلت جميع طقوس الجاهلية وخرافاتها، وقام الرسول **عليه السلام** مكسرًا أصنامهم، ضارباً أعناق المفسدين، متخلصًا من خلايا الفساد التي تعمل على استرجاع مصالحها، حتى أعلنوا هزيمتهم ونهایتهم.

ثم تقول **عليها السلام**: «**حَتَّى تَقْرَى اللَّيْلُ عَنْ صِبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرَسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ، وَطَاحَ وَشَيْطُ النَّفَاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفَّارِ وَالشَّقَاقِ، وَفَهَمُتْ بِكَلْمَةِ الْإِحْلَاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبَيْضِ الْخِمَاصِ».**

(تفري: أنسق، أسف: انكشف وأضاء، المحض: الحال، شقاشق: جمع شقشقة وهي شيء يشبه الرئة يخرج من فم البعير إذا هاج، الوشیط: الأتباع والخدم، فهتم: تلفظهم، البيض: جمع أبيض، الخماس: جمع خميس وهو الجائع).

النتائج الكبرى للبعثة النبوية:

سيدة النساء **عليها السلام** في هذه الفقرة إنما تكمل الفكرة السابقة وتتناول أبرز سمات تلك المرحلة، إلا أنه من الملحوظ أن هذه الكلمات تشير إلى النتائج الكبرى

للبعثة النبوية حينها، حيث إن هذه النتائج مرحلية وإن فنحن إلى حدّ الآن نعيش في ظلال هذه البعثة وآثارها المباركة.

وهذه النتائج لا تنفصل أبداً عما كان الرسول ﷺ يواجهه من المشركين، من انتشار الدعوات والشيمات الشيطانية، إذ بدأت باستهزاء وسخرية المشركين، واستمرت بادعاء السحر والجنون. إضافة إلى ممارسات المنافقين التي نخرت في صفوف المسلمين، وتعديات المعذبين المرتدين. فكانت بعثة الرسالة الإسلامية قاصمةً لظهر الشرك والنفاق، مخربةً لألسنة الشياطين.

كما وأشارت عليهما إلى السند والعون في إرساء كلمة الإخلاص بقوتها: «البيض الخماص»، والمراد من البيض الخماص إما أهل البيت عليهما ويعيده ما في كشف الغمة: «في نفر من البيض الخماص^(٢٣) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، ووصفهم بالبيض لبياض وجوههم، وإما هو من قبيل وصف الرجل بالأغر، وبالخماص لكونهم ضامري البطنون بالصوم وقلة الأكل ولعفتهم عن أكل أموال الناس بالباطل، أو المراد بهم من آمن من العجم كسلمان -رضي الله عنه- وغيره، ويقال لأهل فارس: بيض، لغلبة البياض على ألوانهم وأموالهم، إذا الغالب في أموالهم الفضة، كما يقال لأهل الشام: حمر، لحمرة ألوانهم وغلبة الذهب في أموالهم، والأول أظهر. ويمكن اعتبار نوع تخصيص في المخاطبين فيكون المراد بهم غير الراسخين الكاملين في الإيمان، وبالبيض الخماص الكامل منهم^(٢٤).

الخاتمة

أما ما يخص مرحلة ما بعد الرحيل الأليم للشخصية العظمى أبي القاسم محمد ﷺ، فهي مرحلة نستطيع أن نعبر عنها بالفترة السوداء والانتكasaة الكبرى لهذه الأمة، وذلك بأيدي قوم عرفوا وجحدوا بالرسالة، وما أصعبها من مرحلة على أمير المؤمنين عليهما، وما أقسها على سيدة نساء العالمين.



ونحن لا زلنا نعيش آثار ونتائج تلك المرحلة من التشرذم والعودة إلى الجاهلية الأولى، متظربين أن تجري السنة الإلهية في تعجيل فرج مولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام ليؤسس دولة العدل الإلهي.

الهوامش:

- (١) كشف الغمة: ج ١، ص ٤٧٣ و ٤٧٩.
- (٢) البحار: ج ٨ ط الكمباني ص ١١٤.
- (٣) تفسير أطیب البيان: المجلد ١٣ ص ٢٣٥، الأسرار الفاطمية ص ١٧.
- (٤) سورة القصص: ٤٥.
- (٥) سورة الدخان: ٥-٤.
- (٦) سورة الدخان: ٣.
- (٧) الوحي والنبوة لآية الله جوادی آملی، قم اسراء ١٣٨٧، ص ٤٥.
- (٨) سيرة سيد الأنبياء والرسلين محمد صلوات الله عليه وآله، جامع المحامد كلها، رسول جعفريان، الطبعة الثالثة شباط ٢٠٠٧، ص ٢٦٦.
- (٩) سورة الزمر: ٣.
- (١٠) تفسير الأمثل: ج ١٥، ص ١١.
- (١١) شرح خطبة الزهراء لثلاثة من الأعلام / إعداد السيد باقر الكيشوان الموسوي، مؤسسة البلاغ ط ٢٠٠٩، ص ٣١٥.
- (١٢) البداية والنهاية ٤٩/٧ حوادث سنة ١٤ هـ.
- (١٣) تاريخ ما قبلبعثة النبوة المشرفة لسمحة الشیخ الدكتور المالکی (حفظه الله) ص ٦٢.
- (١٤) سورة الأنعام: ١٢٢، شرح خطبة الزهراء لثلاثة من الأعلام / إعداد السيد باقر الكيشوان الموسوي، مؤسسة البلاغ ط ٢٠٠٩، ص ١٥٢.
- (١٥) المائدۃ: ٩٠.
- (١٦) التکویر: ٩.
- (١٧) سورة الإسراء: ٣١.

- (١٨) معاني الأخبار، وتفسير الإمام الحسن العسكري نقلًا عن الصافي.
- (١٩) تفسير نور التقلين ج ١، ص ٢٠.
- (٢٠) سورة الحجر: ٩٤.
- (٢١) سورة النحل: ١٢٥.
- (٢٢) شرح خطبة الزهراء لثلاثة من الأعلام / إعداد السيد باقر الكيشوان الموسوي، مؤسسة البلاع ط ٢٠٠٩، ص ١٨٣.
- (٢٣) هم أهل البيت عليهما السلام.
- (٢٤) فاطمة الزهراء بضعة قلب المصطفى للشيخ أحمد الرحاكي الهمداني، ط ٤ (نسخة كمبيوترية).





الإسراء والمعراج فوق الشبهات

جسفر علي المالكي

إنّ للواقع غير المألوفة والخارقة لما هو معتادٌ في الوضع العادي وقعٌ في النفوس، أي أنّ الناس لا تلبث أن تلتفت لما قام به صاحب تلك الواقعـة، فترى النفوس تارة تقرُّ بأنَّ من يأتي بمثل هذه الأمور ليس بشراً عادياً بل هو أعلى منهم مرتبةً، وهذه هي السمة الغالبة في الطبع الإنساني، وترى في الجانب الآخر نفوساً لا تقرُّ بأنَّ فعله خارقٌ للعادة.

النبي الأكرم ﷺ جاء بعدة معاجز تؤكـد نبوته وتشـبت

ما ادعـاه، والإسراء والمعراج الذي أخبر عنه القرآن الكريم هو أحد معاجز النبي الأكرم ﷺ، وقد حصل تشـكيكـ من البعض في بعض مفرداته، وفي أحيـانٍ

أخرى نُفي على إطلاقه، على الرغم من الشواهد المقامية التي أتى بها النبي ﷺ على صحة ما جاء به.

بحثنا يتناول بعض التوهمات ودفعها في الآية الأولى من سورة الإسراء، وأيضاً نتطرق لبعض الروايات التي قد تناهى بعض وجوه الإسراء والمعراج ومعالجة بعض الأمور فيها، ودفع توهם لفيدة قد وقعت في بعض نسخ دعاء الندبة يلزم منها باطلٌ.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

هذه الآية العظيمة تتكلم عن مفردة الإسراء وزمانه والطريق الذي سلكه النبي الأعظم ﷺ في هذه الرحلة الربانية والتي كانت إنفوجاجاً للرقى به من عالم المادة إلى عالم الوجود الأمثل، فحركته ﷺ لم تكن من أجل الترويح عن النبي ﷺ، وإنما هو ارتقاء في التكامل ونموٌ في مقامه ﷺ. إنَّ الأنبياء قد علت مراتبهم بعد الاختبارات والأئمة كذلك، فلقد ارتفعوا بعد أن علم الباري منهم الأخلاص، لذا نقرأ في دعاء الندبة: «...بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الرُّهْدَ فِي درَجاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ، وَزُخْرُفْهَا وَزِبْرِجَهَا، فَشَرَطْوَا لَكَ ذَلِكَ، وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفَاءَ بِهِ، فَقَبِلْتُهُمْ وَقَرَبْتُهُمْ...». ولا منافاة بين أن يعطي الباري المكانة السامية لأولياءه بعد الاختبار والنجاح والرقى كما بين الباري ذلك في قصة النبي إبراهيم عليه السلام، وبين أن يعلم الله من ذلك الولي الإخلاص والتلفاني في خط الله، فيعطيه تلك المرتبة قبل الاختبار، والاختبار اللاحق ما هو إلا إلقاء للحججة على غيره. ألا ترى أنَّ المعلم عندما يكون لديه طالبان فالمعلم يعلم -بحكم قربه من الطالبين ومعرفة لقدراتهم الذهنية - أنَّ الطالب الفلاني سينجح لا محالة بينما الآخر ليس كذلك، وما الامتحان في النهاية إلا لإلقاء الحجة على ذلك الآخر، هذا بالنسبة للعرف،

فكيف بعلام الغيوب؟

هذه الآية التي نحن في صدد البحث عنها، نتناول فيها عدة مفاهيم وأسئلة قد ترد على الذهن، فالباري عزَّ وجلَّ اختصر حادثة الإسراء في هذا المقطع الرافي، ونحن هنا نورد بعض المفاهيم في هذه الآية مع بعض الإشكالات ودفعها.

أولاً: ذكر أرباب اللغة أن مفردة (الإسراء) المفهومة من قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾ تعني الحركة والمسير ليلاً ويقابل الإسراء السير أي الحركة نهاراً^(٢)، فإذا سلمنا بهذا فماذا أفادت مفردة (الليلاً) في الآية الكريمة، أليس المعنى - وهو الحركة ليلاً - قد تحصل في مفردة (أسري) فما الفائدة من هذا التكرار؟

قد وجِهت عدة آراء لدفع هذا الإشكال نذكر بعضها:

- **أنَّه قيدٌ توضيحي وليس احترازاً من الضد^(٣).**

ويلاحظ على هذا التعليل أنه - إن سلمنا به - فهو لا يدفع الإشكال بتمامه، فالباري عزَّ وجلَّ في مقام الاختصار فأيُّ قيد قد يفهم من مفردة أخرى ولا خصوصية موضوعية له فلا داعي للاتيان به.

• أنَّه ظرفٌ للإسراء وفائته - مع أنَّ الإسراء لا يكون إلا بالليل - تقليل مدة الإسراء وأنَّه أسرى به في بعض الليل مسيرة أربعين ليلة^(٤).

وهذا الرأي وإن كان غريباً بعض الشيء ولكن هناك من تبني هذا الرأي حتى من أبناء العامة، فهذا صاحب التفسير الكبير قد فهم من تنكير مفردة (الليل) أنه يفيد التبعيض، وهذا التفسير يحتاج لقرينة وهي مفقودة هنا، نعم استدلّ صاحب الكشاف على إفادته ليلاً للبعضية بقراءة عبد الله وحزيفة «من الليل»^(٥).

• أنَّه مفعولٌ فيه ويفيد أنَّ هذا الإسراء تمَّ له بالليل فكان الرواح والمجيء في ليلة واحدة قبل أنْ يطلع فجرها^(٦).

هذا الرأي قد يُتوهم منه أنَّ النسبة بينه وبين الرأي الثاني هي التساوي إلا أنَّ الحق ليس كذلك، إذ الحق أنَّ النسبة بينهما العموم والخصوص المطلق أي أنَّ الثالث أعم مطلقاً من الثاني حيثُ أنَّ الرأي الثاني يفهم جزء الليل كما ذهب له صاحب الكشاف مثلاً، بينما هذا الرأي قد يحتمل الليل بأجمعه.

ثانياً: مفردة (عبدُه) فلم يقل الباري أنه أسرى بنبيه أو رسوله أو حبيبه، وإنما عَبَرَ بائِهَ قد أسرى بعده، فلقد جاء في بعض التفاسير ما نصه: "المراد بالعبد، نبِيُّنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأتى بلفظ العبد، لأنَّ صفة العبودية أعلى قدرًا وأجلٌ محلًا من النبوة والرسالة، وذلك أنَّ الرسالة نسبة ذات جهتين: بين النَّبِيِّ وبين المرسِلِ -أي الله، وبين المرسَلِ إليهم. وأمَّا العبودية، فهي صفة خاصةٌ بينه وبين مولاه، لا تعلق لها بالخلق. فلهذا أثنى الله سبحانه بها عليه في مقام المدح -من شرح الاحتجاج. أقول:

ولهذا قدم عبده على رسوله، في الأذان والإقامة".^(٧)

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾، وهنا يحكي الباري الطريق الذي سلكه النبي ﷺ في رحلته الإلهية الأرضية، أي أنَّ النبي ﷺ قد بدأ مسيرته من المسجد الحرام -كما في الآية- وانتهى مسراه إلى المسجد الأقصى أي الأبعد بالنسبة للمسجد الحرام.

ولكن عندما نراجع بعض الروايات الموضحة والشارحة لهذه الحادثة نرى أنَّ بعضها يشير إلى أنَّ بداية مسراه قد كان من إحدى بيوتات النبي الأكرم ﷺ، فهذا صاحب البحار يقول: "قال أكثر المفسرين: أسرى به ﷺ من دار أم هانئ أخت علي عليهما السلام وزوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي، وكان ﷺ نائماً في تلك الليلة في بيته"^(٨)، فهل يقع التعارض بين الآية الشريفة والروايات كمثل هذه الرواية؟

يكمل صاحب البحار الرواية التي قد يتوهم منها هذا الإشكال بقوله: "وإن

المراد بالمسجد الحرام هنا مكة، ومكة والحرام كلها مسجد^(٩).

وأيضاً صاحب الميزان يقول ما نصه: "ثم اختلفوا في المكان الذي أسرى به عليهما الله منه فقيل: أسرى به من بيت أم هاني، وفي بعض الروايات دلالة على ذلك وقد أتوا قوله تعالى: ﴿أُسْرِىٰ بِعَيْدِهِ لَيَّلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إلى أن المراد بالمسجد الحرام كله مجازاً فيشمل مكة، وقيل: أسرى به من نفس المسجد الحرام لظهور الآية الكريمة فيه ولا دليل على التأويل. ومن الجائز بالنظر إلى ما نبهنا به من كون الإسراء مرتين أن يكون أحد الإسراءين من المسجد الحرام والآخر من بيت أم هاني"^(١٠).

وأيضاً ما هو الدافع للروايات القائلة بأنه قد أسرى وعرج بروحه دون جسده^(١١)، وما يؤيد هذا الاشكال ويقويه أننا نقرأ في بعض نسخ دعاء الندبة «وَعَرَجْتَ بِرُوحِكَ إِلَى سَمَاوَاتِكَ»^(١٢). وأيضاً ما أخرجه ابن إسحاق وابن جرير عن عائشة قالت: ما فقدت جسد رسول الله عليهما الله أسرى بروحه^(١٣).

نعم لا ريب أن عروج النبي عليهما الله إلى السماء كان بروحه وبدنـه، وقد قام على ذلك إجماع الإمامية (رضوان الله تعالى عليهم) ودللت عليه النصوص القطعية الواردة عن المعصومين عليهما السلام.

وأما الفقرة المذكورة فهي ليست موجودة في دعاء الندبة الذي أورده الشيخ محمد بن المشهدـي في كتابه المزار الكبير، والمذكور فيه إنما هو هذه الفقرة «وَعَرَجْتَ بِهِ إِلَى سَمَاوَاتِكَ»^(١٤).

والشيخ محمد بن المشهدـي من أعلام الطائفة وهو من توفي في سنة ٦١٠ هـ وقد ذكر أنه أخذ الدعاء من كتاب محمد بن أبي قرة، والذي هو من الثقة ومن مشايخ النجاشـي وكان عصره قريباً من عصر الغيبة الصغرى.

وذكر محمد بن أبي قرة أنه أخذ دعاء الندبـة من كتاب أبي جعفر محمد بن

الحسين بن أبي سفيان البزوفري رض، وأفاد أنَّ أباً جعفر البزوفري ذكر أنَّ دعاء الندب لصاحب الزمان عليه السلام، وأنَّه يستحب أنْ يُدعى به في الأعياد الأربع، ثم ذكر نصَّ الدعاء، وهو غير مشتملٍ على الفقرة المذكورة وإنما هو مشتملٍ على هذه الفقرة «وعرجتَ به إلى سمائك».

هذا وقد أفاد الميرزا محمد تقى الأصفهانى في كتابه مكياں المکارم أنَّ فقرة «وعرجتَ به إلى سمائك» هي الموافقة لما ورد في كتاب المزار القديم للشيخ المفید رحمه الله، والموافقة أيضاً لما ورد في كتاب مصباح الزائر للسيد ابن طاووس رحمه الله تعالى، وموافقة لما ورد في كتاب المحدث التورى تحية الزائر، وكلُّ هؤلاء أخذوه من كتاب محمد بن أبي قرة رحمه الله تعالى^(۱۰).

نعم وردت هذه الفقرة وهي: «وعرجتَ بروحه»^(۱۱) في كتاب زاد المعاد للعلامة المخلسي صاحب البحار رحمه الله تعالى، والظاهر أنَّها وقعت اشتباهًا من النسخ أو من سهو قلم المخلسي، أو لأنَّ بعض نسخ المصباح لابن طاووس وقع فيه هذا التصحيف وكان قد اعتمد صاحب البحار؛ لأنَّه نقل الدعاء عن المصباح، وكذلك نقله في البحار عن المصباح كما هو الظاهر.

فمنشأ اشتباه الفقرة المذكورة في الكتب المتداولة فعلًا هو إمَّا الاعتماد على كتاب زاد المعاد والذي كان رائجًا بين عوام الناس، أو كان منشأ التصحيف الذي وقع في بعض نسخ مصباح الزائر، وأما الشيخ عباس القمي فقد أورد الفقرتين في كتابه مفاتيح الجنان ولم يكن في مقام التحقيق لما هو الأصح منها.

والمتحصل مما ذكرناه أنَّ فقرة «وعرجتَ بروحه» مغلوطة، وليست هي الواردة في متن هذا الدعاء المأثور كما يشهد لذلك المصدر الأم الذي أخذ منه الدعاء، وهو كتاب محمد بن أبي قرة رحمه الله تعالى.

ثم إنَّ هنا قرينةً مؤيدةً لتعيين ما ذكرناه من أنَّ الوارد هو قوله «وعرجتَ به

إلى سمائك»، وهذه القرينة هي ما سبق هذه الفقرة وهي قوله «وسخرت له البراق»؛ إذ أنَّ من الواضح كما هو مقتضى الروايات أنَّ البراق كان هو وسيلة مادية حمل عليها النبي الكريم ﷺ وعُرِج به عليها إلى السماء، فالمناسب لمادية الوسيلة هو أنَّ المحمول عليها كان هو بدن النبي الكريم ﷺ وإلا لو كان عروجه روحانياً فحسب لما كان للتنصيص على تسخير البراق من مبرر ظاهر. فالتنصيص على تسخير البراق له عللٌ قبل قوله «وعرجت...» مؤيد لتعيين أنَّ الوارد هو هذه الفقرة «وعرجت به إلى سمائك».

ثم إنَّ هنا مؤيداً آخر وهو أنَّه ورد في بعض الأدعية المأثورة عن أهل البيت ع ما يطابق هذه الفقرة فقد روى الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد في كيفية صلاة الحاجة عن عاصم بن حميد عن الإمام الصادق ع أنَّ تدعو بعد صلاة ركعتين وأنت باسط خدك الأيمن على الأرض فتقول: «... اللهم إني أتقرب إليك بنبيك وصفيك... والزمنه حق معرفتك، وعرجت به إلى سماواتك...»^(١٧).

هذا مضافاً إلى أنَّ فقرة «وعرجت به إلى سمائك» هي المناسبة مع ما هو مقتضى الأدلة القطعية المثبتة لكون العروج إلى السماء كان بروح النبي ﷺ وجسده، فليكن ذلك مؤيداً آخر على أنَّ الوارد هو فقرة «وعرجت به إلى سمائك».

ثم إنَّه لو ترددنا فلم نبني على تعيين أنَّ الوارد هو فقرة «وعرجت به إلى سمائك» فإنَّ ما يتربّى على ذلك هو التردد فيما هو الوارد عن المعموم ع وحيئذ لا يكون لفقرة «وعرجت بروحه إلى سمائك» ما يُصحح الاحتجاج بها على أنَّ العروج كان روحانياً فحسب، وذلك لأنَّه بعد اختلاف النسخ يكون كلُّ من الفقرتين ساقط عن الاعتبار لعدم إحراز الصادر منهما عن المعموم ع.

على أنَّه لو قيلنا جدلاً بأنَّ الوارد هو فقرة «وعرجت بروحه إلى سمائك» فإنَّ ذلك لا ينفي أنَّ العروج كان بالروح والجسد، لأنَّ هذه الفقرة لا تنفي العروج

بالجسد، وإنما تثبت العروج الروحي، وهي ساكتة عن العروج المحسدي، فلا يكون ورود هذه الفقرة في دعاء الندبة منافقاً لما عليه مذهب الإمامية من أنَّ العروج كان بالروح والجسد.

وأما ما روي عن عائشة فقال صاحب الميزان: ويرد عليه... أنه يكفي في سقوط الرواية اتفاق كلمة الرواية وأرباب السير على أن الإسراء كان قبل الهجرة بزمان وأنَّه عليهما السلام بنى بعائشة في المدينة بعد الهجرة بزمان، لم يختلف في ذلك اثنان، والآية أيضاً صريحة في إسرائه عليهما السلام من المسجد الحرام^(١٨).

رابعاً: قوله جلَّ وعزَّ ﴿لِتُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا﴾ فهنا بين لنا الباري تعالى الهدف السامي لهذه الرحلة الربانية، ولكننا نقرأ في سورة الأنعام ما قد يفهم منه أنَّ نبي الله إبراهيم عليهما السلام هو أعلى من النبي الخاتم مكانةً، وهو قوله عزَّ من قائل: ﴿وَكَذَلِكَ تُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ﴾^(١٩) تقريب الاستدلال: أنَّ المقطع الأول -أي الذي يتكلم عن الإسراء والمعراج- قد دخلت كلمة ﴿مِنَ﴾ عليه وهي تفيد التبعيض، أي أنَّ النبي الأكرم لم يشاهد جميع الآيات وإنما شاهد بعض آيات الله، بينما نبي الله إبراهيم عليهما السلام قد شاهد جميع ملوكوت السماوات والأرض، فهنا إطلاقٌ لما شاهده لعدم القيد كما في الآية الأولى، لذا يكون النبي إبراهيم عليهما السلام هو أعلى مرتبة من الرسول الأكرم الخاتم عليهما السلام.

دفع الإشكال: إن التوهم قد نشأ من خلل مفردة ﴿مِنَ﴾ في الآية الأولى والإطلاق في الآية الثانية، ولكن ما يثبت أفضلية النبي الخاتم عليهما السلام على النبي إبراهيم -من خلال نفس الآية- أنَّ اللحاظ في الآية الأولى هو مدخل حرف الجر، حيث إن الفرق يكمن في أنَّ ما قد شاهده النبي إبراهيم هو ملوكوت السماوات والأرض، بينما ما قد شاهده النبي الأكرم هي آيات الله، وآيات الله أعم

من السماوات والأرض، فهذه -أي السماوات والأرض- أجزاء محدودة، بينما الآيات التي قد رأها النبي الأكرم تشمل هذه وغيرها أيضاً، فلا يأتي هذا الإشكال أصلاً.

ناهيك عن أنَّ النبي الأكرم ﷺ قد بلغ أرقى المراتب -لذا سُميَ ولُقبَ بالعبد- فهو لم يطلع إلا على بعض آيات الله ولم يُطلعه الباري على كل آياته، فكيف بغيره الذين لم يبلغوا ما يبلغه ﷺ؟

هذه بعض التوضيحات المختصرة، ودفع بعض الإشكالات التي قد يتوجه لها البعض من هذه الآية، ولقد غضبنا الطرف عن أمورٍ أخرى في هذه الآية مراعاة للاختصار. والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

- (١) الإسراء: ١.
- (٢) تفسير الأمثل ج ٨: ٣٨١.
- (٣) التفسير المبين ج ١: ٣٤٦.
- (٤) تفسير القرآن الكريم (السيد شير): ٢٧٩.
- (٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج ٢: ٦٤٦.
- (٦) تفسير الميزان ج ١٣: ٥.
- (٧) ذيل التفسير المعين ج ٢: ٦٩٥.
- (٨) بحار الأنوار ج ١٨: ٢٨٣.
- (٩) المصدر السابق.
- (١٠) تفسير الميزان ج ١٣: ٣١.
- (١١) راجع المصدر السابق ففيه بحث للعلامة الجلسي حول الإسراء والمعراج جسداً وروحًا.
- (١٢) نص المواب مقتبس من موقع ساحة الشيخ محمد صنقر البحري.
- (١٣) تفسير الميزان ج ١٣: ٢٤.

- (١٤) المزار، محمد بن المشهدی: ٥٧٥
- (١٥) مکیال المکارم ج ٢: ٨٦
- (١٦) بخار الأنوار ج ٩٩: ١٠٥
- (١٧) مصباح المتهجد: ٣٢٦
- (١٨) تفسیر المیزان ج ١٣: ٢٤
- (١٩) الانعام: ٧٥





المعراج إمكاناً ووقعاً

محمد علي خاتم

في سنته الأولى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منبعثة حصل ذلك الحدث العظيم حيث لا آلات ولا معدات... زمان يخلو من الحضارة، بل لا يعرف شيئاً سوى الناقة، زمان يصعب فيه السفر من مكان إلى مكان آخر، وإن حصل السفر فالكلفة فيه بيئة جلية، في ظروف كهذه يقطع نبينا المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يحتاج إلى شهور طوال يقطعه في سفر سريع جداً لا يتتجاوز الليلة ذهاباً واياباً مع أحداث كثيرة فيه ابتداءً من مكة المكرمة إلى بيت المقدس والأعجب منه أن هذا هو المقطع الأول من السفر إذ المقطع الآخر منه كان صعوده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء العليا في مهمة ربانية لا

يُدرِك منها إِلَّا مَا وَحَصَلَ.

هذه الكلمات هي في الواقع إجابة عن بعض التساؤلات التي يمكن أن ترد على الذهن حول:

- معنى المعراج
- إمكان المعراج
- ذكر المعراج في القرآن
- ذكر المعراج في الروايات.

والعنوان الثاني الحديث فيه عن إمكان المعراج والعنوان الثالث والرابع الحديث فيما عن وقوع المعراج.

ما هو المعراج؟

هذه الكلمة مشتقة من مادة عَرَجَ بمعنى الارقاء^(١) والمعراج هو الارقاء من هذه الأرض إلى السماء بجسد الآدمي ولم يتفق هذا لأحد^(٢) إلا لنبي آخر الزمان محمد بن عبد الله عليهما السلام حيث أسرى به بعد العام الثالث للبعثة^(٣) من بيت أم هاني -أخت الإمام علي عليهما السلام- إلى بيت المقدس في فلسطين المسمى بالمسجد الأقصى وكان هذا هو المقطع الأول لهذا الحدث العظيم ثم من بعده شرع عليهما السلام في الارتفاع والعروج إلى السموات العلي حتى بلغ سدرا المنتهي وكان هذا هو المقطع الثاني ثم عاد إلى مكة مرورا ببيت المقدس.

إمكان المعراج

قد يدعى بأنه لا شك أنه بعد تطور العلم وإدراك الإنسان بعض أسرار الكون الواسع فإن عجزه يبرز عن إدراك هذه المعجزة، فكيف له أن يؤمن بأن إنسانا قبل ألف عام من الآن قد عرج إلى السموات العليا واحترق القوانين

الطبيعية فطار عن الأرض بلا تأثير بالجاذبية واحتراق الفضاء الواسع المليء بالأجرام السماوية الخطرة والخالي مما يعين على التنفس.. فلا عجب للمادي إن وقف حائراً بل منكراً تحقق هذه الرحلة الفضائية التي استطاع الإنسان نفسه بعد جهد جهيد لمنظمات كبرى وبعد فشل الكثير من المحاولات أن يصل إلى مستوى متدنٌ جداً إذا ما قارنا تجربة الإنسان المعاصر مع تجربة الرسول عليه السلام في احتراق الفضاء.

لذا فأولاً وآخرًا لا بد أن يقال إن الإيمان بهذه المعجزة الخالدة لا يمكن إلا من آمن بالله وبالرسول صلوات الله عليه وآله وسلام وصدق نبوته وقرآنـه حتى يمكنه أن يقبل إخباره صلوات الله عليه وآله وسلام لإيجابـه اليقين.

وفي مقام نقاش هذا الادعاء يمكن أن يقال:

- ١- إنه لا يوجد محدود عقلي من أن يطير إنسان بواسطة دابة ويحلق إلى هذا الفضاء الواسع ومن يدعي ذلك فعليه أن يبرزه لنا.
- ٢- مسألة المراج تعذر من المسائل المجردة التي لا يمكن إثباتها بالدليل الحسني فلا يصح أن تحاكم بعجز القوانين الطبيعية عن تفسيرها.
- ٣- من السذاجة بمكان أن تقاس حادثة المراج بقوانين الأرض فالمسلم كما أنه يؤمن بأن إبراهيم قد ألقى في النار ولم يحترق، وعيسى ولد من غير أبٍ، وموسى له عصا تتحول إلى حية تسعى، وأن جبلاً قد خرجت منه ناقة صالح، وغيرها من المعجزات، فإنها غير خاضعة إلى قوانين الأرض، وحادثة المراج لا تقل شأنـاً عنها غاية ما في الأمر أن تلك المعجزات كانت ببرئ من الناس والمراج لم يكن كذلك.

- ٤- إنـا لا نسلم بأنـ العلم يمنع عن التصديق بهذه المعجزة العظيمة، بل لنا أنـ ندعـي عـكسـ هذا الـادعـاءـ المتقدمـ بالـقولـ بأنـهـ بعدـ تـطـورـ الـعـلمـ خـصـوصـاًـ فيـ زـمانـنـاـ

فإن التصديق بالمعراج يكون أكثر سهولة من ذي قبل فضلاً عن الإسراء؛ ذلك أنَّ الإنسان بضعفه وقلة علمه وهمته أمكنه أن يصنع ما يقطع مسافة خمس مائة كيلومترات في الثانية وهذه المسافة قابلة للمضاعفة، فإن كان الإنسان له هذه القدرة فما بالك برب الإنسان وواهبه كل شيء أتراه عاجزاً عن هذا الإعجاز (المعراج)؟

٥- نعم نحتاج إلى إخبار النبي ﷺ حتى نؤمن بالمعراج يقيناً لأنَّ حادثة المعراج أمرٌ لم يشهده غيره ﷺ فلما سُبُقت بالاسراء إلى بيت المقدس - وقريش يعلمون علم اليقين عدم سفره ﷺ سابقاً إلى بيت المقدس أولته - جاء وذكر التوصيف الدقيق إلى ما رأى هناك وما جرى من تفاصيل في الطريق فإن هذا لا يترك مجالاً للتشكيك في تحقق الإسراء وبتبعها يثبت المعراج؛ لأنَّ الخبر لهما واحد وهو نفس الرسول ﷺ الصادق الأمين.

٦- تساؤل:

إذا كان تصور المعراج من الصعوبة بمكان فلم يُطرح في السينين الأولى للبعثة بين أنسٍ قد التصقوا بالحسن ولا يتعدى ادراكم السيف والحجر والقمر والنجوم وأمثالها من المحسوسات، وإن تعدد ذلك فهو يتعدى إلى ما هو قريب من الحسن كالحب والبغض وأمثالها، فمثل هذه الذهنية لا تملك القدرة -والحال هذه- على تصور المغيبات؟

الجواب:

لما كان الإنسان هو الخليفة لله تعالى في أرضه فلا بد أن يدرك رحابة الوجود حتى يخرج من أفقه الضيق ويتوسّع من مدركه ليكون أرضية صالحة تقبل الإسلام بما يحمل من مفاهيم.

ولنا أن نقول بأن في رحلته ﷺ إيراز إلى عظمة الله تعالى وقدرته وبديع

صنعه وإحاطته بكل شيء فتسكن إليه قلوب المؤمنين ويسلموا إلى الله العظيم القادر على كل شيء.

ولا يخفى مقدار ما تحمله هذه الحادثة من التحدي إلى كل الأجيال وأنها مهما بلغت من خرق إلى الفضاء وتقدم علمي فإنها ستبقى عاجزة متصاغرة أمام عظمة الله الجبار.

المعراج في القرآن

قد يقال:

إنه عادة ما يمزج بين الإسراء والمعراج باعتبار كونها رحلة واحدة قد حصلت في الخارج إلى النبي ﷺ وهذا ظاهر جلي في الروايات الشرفية المفسرة لهذا الحدث العظيم وفي نفس الوقت ما نجد في القرآن قد لا يتواافق بدوا مع هذه الروايات ففي أول سورة الإسراء يقول الحق تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَيْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤) وإذا لاحظنا أنه لم يُشر لا من قريب ولا من بعيد إلى المعراج في هذه الآية الشريفة فيظهر منها حصول الإسراء فقط دون المعراج.

نقول:

أولاً: إن هذه الحادثة قد حصلت أول البعثة وهذا يعني أن الإيذان بالله لم يستند بعد في قلوب المسلمين، أضف إلى ذلك أنه في وسط ظروف تكذيب الرسول ﷺ من قبل مشركي قريش برسالته وكل ما يتعلق بها فإن طرح مثل موضوع المعراج قد لا يكون محظ قبول فضلاً عن أن نقل هذا الحدث قد يسبب ارت Kardash قوم - وقد حصل الارتداد من البعض بمجرد ذكر النبي ﷺ لموضوع الإسراء مع أنه لم يذكر المعراج بعد - فلعل الإشارة إلى هذه الحادثة بذكر ما يقرب من الحس حتى يتقبل ثم تتصدى الروايات لإتمام بيان هذا الحدث وذكر

تفاصيله، ولا مانع من تصور إخباره عليهما بحادثة المعراج إلى من يتحملها من أصحابه.

ثانياً: إنّ ما تذكره الآية الشريفة من سورة الإسراء هو المقطع الأول للحادثة، أما المقطع الثاني فيحتمل أنه لا يوجد غرض عند الحق تعالى من ذكره في هذا المورد، وهذا لا يعني انعدام المعراج من رأس وعدم حصوله إلى الرسول عليهما السلام، أضف إلى ذلك بأنّ في القرآن تتميم لهذه الحادثة قد ذكر في موردين:

أو همما: قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَنَدَّلَى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأُوحِيَ إِلَى عَبْدِهِ مَا أُوحِيَ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾^(٥) اختلف المفسرون في تفسير ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ فمنهم^(٦) من قال بأنه جبرئيل عليهما السلام لأن المراد بالمرّة هو الشدة والمحاصفة في العقل فجبرئيل عليهما السلام ذو شدة في جنب الله أو ذو حصافة^(٧) في عقله، ومنهم^(٨) من قال بأنه الرسول الأعظم عليهما السلام فهو ذو شدة في جنب الله أو ذو حصافة في عقله. وفائدة هذا هو أن الآيات اللاحقة معطوفات على هذه الآية فيكون المراد في بقية الآيات هو النبي عليهما السلام أو جبرئيل عليهما السلام، وكيف ما كان فإن صاحب تفسير الميزان على كلا المعنيين يفيد ما يمكن من خلاله إثبات المعراج فيقول مثلاً في تفسير آية ﴿ثُمَّ دَنَا فَنَدَّلَى﴾: "المعنى على تقدير رجوع الضمير -في آية ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾- إلى جبرئيل: ثم قرب جبرئيل فتعلق بالنبي عليهما السلام ليخرج به إلى السموات... والمعنى على تقدير رجوع الضمير إلى النبي عليهما السلام ثم قرب النبي عليهما السلام من الله سبحانه وداد فيقرب"^(٩) والآيات تحتمل معان كثيرة قد ذهب لها المفسرون إلا أنها لا تخرج عن دائرة المعراج.

ثانيهما: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾^(١٠) أما هذه الآية فقد أطبقت كلمة المفسرين على أن النبي عليهما السلام قد رأى جبرئيل عليهما السلام بصورة الحقيقة -

وهذه لم تكن لغيره عليه وآله وسنه - ولكن أين رآه؟ تجيب الآية أنه بالأفق المبين وهو قاعد بين يدي العرش فيه أنهار تطرد فيه من القدحان عدد النجوم كما جاء في الحديث^(١١). هذان موردان لم يصرّح بذكر المعراج فيهما إلا أنه تم ذكر بعض ما جرى من أحداث في هذه الحادثة.

المعراج في الروايات

لا يخفى على المطلع كثرة الروايات الواردة في هذه المعجزة العظيمة ولذلك أيتها القارئ مراجعة كتاب بحار الأنوار مثلاً^(١٢) لتجد الكم الهائل من الروايات في إثبات المعراج وما جرى فيه.

خاتمة

فبعد هذا لا يقبل من أحد إنكاره لمعجزة المعراج فهي ممكنة بل هي واقعة، فصارت ضرورة من ضروريات الدين يلزم على كل مسلم أن يؤمن بها ويصدق، ومن يكذب بها فإنه سائر في طريق الخسران، فعن الإمام الرضا علّيهم السلام: «من كذب بالمعراج فقد كذب رسول الله عليه وآله وسنه»^(١٣)، وعن الإمام الصادق علّيهم السلام: «ليس من شيعتنا من أنكر أربعة أشياء: المعراج، والمسألة في القبر، وخلق الجنة، والشفاعة»^(١٤).

الهوامش:

(١) الصحاح للجوهرى ٣٢٨: ١.

(٢) ينقل صاحب الأمثل عن بعض كتب الأنجليل أن النبي عليه وآله وسنه عيسى عليه السلام "بعد أن صلب وقتل ودفن نهض من مدفنه وعاش بين الناس أربعين يوماً قبل أن يخرج إلى السماء ليبقى هناك في عروج دائم، ونستفيد من مؤدى بعض الروايات أن بعض الأنبياء السابقين عرج بهم إلى السماء أيضاً". الأمثل ٣٩٥: ٨، فعلى هذا قد لا يكون العروج إلى السماء من مختصات

الرسول ﷺ إلا أن يقال بأن عروج الرسول ﷺ مغاير تماماً لعروج بقية الأنبياء على فرض حصول ذلك لهم.

(٣) حسب رواية أمير المؤمنين ع: "إن الإسراء قد كان بعد ثلاث سنين منبعثة".

(٤) الإسراء:١٧ .٢٨٢:

(٥) سورة النجم:٥٣ .٦-١٢.

(٦) منهم صاحب تفسير غريب القرآن .٣٨.

(٧) الحصيف هو محكم العقل.

(٨) منهم صاحب تفسير نو التقلين .٥:١٤٨.

(٩) الميزان في تفسير القرآن .١٩:٢٨.

(١٠) التكوير .٨١:٢٣.

(١١) الصحيح من سيرة النبي ﷺ .٣٣:٣ (بتصرف).

(١٢) في الجزء الثامن عشر منه.

(١٣) بحار الأنوار .١٨:٣١٢.

(١٤) المصدر السابق.



المشروعية السياسية للحكومة العلوية

غازي عبد الرحمن السمّاك

المقدمة

الحديث عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حديث طويل الذيل والباع، فكل بعده من أبعاد هذه الشخصية العملاقة العظيمة هو في الواقع إعجاز وسرّ من الأسرار الذي لا يُدرك كنهه إلا من معصوم مثله، فلا يعرف المعصوم إلا المعصوم، وقد قال رسول عليه وآله وسالم : «يا علي ما عرف الله حق معرفته غيري وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري»^(١). وقال عليه وآله وسالم : «يا علي لا يعرف الله تعالى إِلَّا أنا وأنت، ولا يعرفني إِلَّا الله وأنت، ولا يعرفك إِلَّا الله وأنا»^(٢).

وبالإمكان أن نتناول شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بلحاظين:

الأول: بلحاظ كونه عليه السلام معارضًا لمن استلم مقدرات المسلمين بعد حادثة السقيفة التي أسست لأنحراف أمة النبي عليه السلام عن مسار الولاية الذي يهدي إلى سبيل الرشاد، وشققت عصا المسلمين، من خلال غصب الخلافة الإلهية المنصوصة من قبل السماء. وقد قال أمير المؤمنين سلام الله عليه: «وَلَعَمْرِى! لَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ قُبْضَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلَّمُوا لَنَا وَاتَّبَعُونَا وَقَدْلُونَا أُمُورَهُمْ لَا كُلُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ... فَمَا فَاتَهُمْ مِنْ أَكْثَرٍ مِمَّا فَاتَنَا مِنْهُمْ»^(۳).

الثاني: بلحاظ كونه عليه السلام حاكماً على المسلمين بعد وفاة عثمان بن عفان.

ولنا أن نستنتج من خلال هذه القراءة في هذين البعدين أعني -أمير المؤمنين المعارض والحاكم- مبدئية الإمام علي عليه السلام في معارضته وفي حكمه، حيث إن همه رفعة الإسلام والمسلمين مرضاة الله عزوجل وحبًا فيه سبحانه وتعالى، وهو الذي قال: «لَا عَزَّمُوا عَلَى بَيْعَةِ عُثْمَانَ: لَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَاللَّهُ لِأَسْلِمَنَ مَا سَلَمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَىٰ خَاصَّةٍ»^(۴).

وبإذن الله تعالى سأتعرض في هذا المقال للمسألة باللحاظ الثاني أي -كونه عليه السلام حاكماً- ألا وهي مسألة المشروعية السياسية للحكومة العلوية، راجياً من الله سبحانه وتعالى أن يوفقني -مستقبلاً- للحديث عن اللحاظ الأول -كونه عليه السلام معارضًا- وإقام بقية المسائل في اللحاظ الثاني -كونه عليه السلام حاكماً-.

هناك ثلات روئي فيما يرتبط بالمشروعية السياسية لأية حكومة -ومنها المشروعية السياسية للحكومة العلوية- وهذه الروئي الثلاث تمثل في:

الرؤوية الأولى:- المشروعية الإلهية: بحيث تستمد الحكومة السياسية مشروعيتها من الله عزوجل من خلال النص والتعيين، وهذه الرؤوية يتبعها المسلمون الشيعة من أنصار الإمام علي عليه السلام ومدرسة الإمامة، وهو ما يعرف بنظرية النص



في مباحث الإمامة.

الرؤية الثانية:- المشرعية الإلهية الشعبية: وهذه الرؤية تتبعها بعض الفرق الإسلامية الأخرى، وهو ما يعرف في مباحث الإمامة بنظرية الشورى.

الرؤية الثالثة:- المشرعية^(٥) الشعبية: وهذه الرؤية تتبعها بعض المذاهب الفكرية والسياسية المعاصرة وهو ما يعرف بنظرية الديمقراطي وحاكمية الشعب لنفسه.

البعد التاريخي للحكومة العلوية

بعد مقتل عثمان بن عفان في عام ٣٥ من الهجرة النبوية الشريفة تجمع النخب والخواص من المهاجرين والأنصار في مسجد النبي ﷺ، وذلك للنظر في مسألة الحكومة الإسلامية وخلافة المسلمين بعد عثمان بن عفان، وقد غصّ المسجد بالحاضرين.

وفي هذا الاجتماع الحاشد اقترح بعض الخواص والسابقين في ساحات الإيام والجهاد من أمثال عمار بن ياسر وابن التيهان وأبي أيوب الأنباري وغيرهم، وإرشادهم وإشارتهم إلى الإمام علي عليه السلام، لما يتميز به عليه السلام من فضل وعلم وسابقة وجهاد وقرابة.

نال هذا المقترح استحسان الجميع، فاتفقت كلمتهم عليه، وبعدها تجمع الناس في حشد كبير على باب بيت الإمام علي عليه السلام، وأضعين الإمام علي عليه السلام تحت الضغط ليقبل بتولي منصب الحكم السياسي للدولة الإسلامية.

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد المعزلي: "لما اجتمعت الصحابة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان للنظر في أمر الإمام، أشار أبو الهيثم بن التيهان، ورفاعة بن رافع، ومالك بن العجلان، وأبو أيوب الأنباري، وعمار بن ياسر بعلي عليه السلام، وذكروا فضله وسابقته، وجهاده وقرباته، فأجابهم الناس إليه،

فقام كل واحد منهم خطيباً يذكر فضل علي عليه السلام، فمنهم من فضله على أهل عصره خاصة، ومنهم من فضله على المسلمين كلهم كافة. ثم بُويع وصعد المنبر في اليوم الثاني من يوم البيعة، وهو يوم السبت، لإحدى عشرة ليلة بقين من ذي الحجة، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر محدثاً فصلٍ عليه، ثم ذكر نعمة الله على أهل الإسلام، ثم ذكر الدنيا فزهدَهم فيها، وذكر الآخرة فرغَبَهم إليها، ثم قال: أما بعد، فإنه لما قبض رسول الله عليه صلوات الله عليه وآله وسلامه استخلف الناس أبو بكر، ثم استخلف أبو بكر عمر، فعمل بطريقه، ثم جعلها شورى بين ستة، فأفضى الأمر منهم إلى عثمان، فعمل ما أنكرتم وعرفتم، ثم حصر وقتل، ثم جتنموني طائعين فطلبتم إلي، وإنما أنا رجل منكم لي ما لكم، وعلى ما عليكم، وقد فتح الله الباب بينكم وبين أهل القبلة، وأقبلت الفتنة كقطع الليل المظلم، ولا يحمل هذا الأمر إلا أهل الصبر والبصر والعلم بموقع الأمر، ولاني حاملكم على منهج نبيكم عليه صلوات الله عليه وآله وسلامه، ومنفذ فيكم ما أمرت به، إن استقمتم لي وبالله المستعان، ألا إن موضعني من رسول الله عليه صلوات الله عليه وآله وسلامه بعد وفاته كموضعني منه أيام حياته، فامضوا لما تؤمرون به، وقفوا عندما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتى نبيه لكم، فإن لنا عن كل أمر تنكرون عذرًا، ألا وإن الله عالم من فوق سمائه وعرشه أني كنت كارها للولاية على أمة محمد، حتى اجتمع رأيكم على ذلك، لأنني سمعت رسول الله عليه صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «أيما وال ولِي الأمر من بعدي، أقيم على حد الصراط، ونشرت الملائكة صحيفته، فإن كان عادلاً أنجاه الله بعدله، وإن كان جائراً انتقض به الصراط حتى تزاييل مفاصله، ثم يهوي إلى النار، فيكون أول ما يتقيها به أنفه وحر وجهه»، ولكني لما اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم. ثم التفت عليه السلام علينا وشمالاً، فقال، ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبو المخربات الفارهة، واتخذوا الوسائل الرقيقة، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا ما منعهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك، ويستكرون ويقولون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا! ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله عليه صلوات الله عليه وآله وسلامه يرى أن الفضل له على من سواه لصحته، فإن الفضل النير غداً عند الله، وثوابه وأجره

على الله، وأيما رجل استجاب للرسول، فصدق ملتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء، وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا ولا ثوابا، وما عند الله خير للأبرار. وإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا علينا، فإن عندنا مالا نقسمه فيكم، ولا يتختلف أحد منكم، عربي ولا عجمي، كان من أهل العطاء أو لم يكن، إلا حضر، إذا كان مسلماً حراً، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ثم نزل^(٦). هذه هي الحادثة التي حصلت للمرة الأولى والأخيرة في تاريخ الخلافة.

يقول الإمام علي عليه السلام في وصف هذه البيعة: «ويسقطم يدي فكفتها، ومددقوها فقبضتها، ثم تداكنكم علي تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى انقطعت النعل وسقطت الرداء، ووطئ الضعيف وبلغ من سرور الناس بيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، ودهج إليها الكبير وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعب»^(٧).

الإمام علي عليه السلام رفض في الخطوة الأولى اقتراح البيعة والخلافة له؛ لأنَّه عليه السلام كان مطلاً على الأوضاع، ولم يكن يرى الأرضية مهيأة للقيام بإصلاحات، والرجوع إلى الخطوط الأساسية المرسومة في الكتاب الإلهي والسنة النبوية.

وقد قال عليه السلام في بيان رفضه: «دعوني والتمسوا غيري، فإنما مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا ثبتت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت، واعلموا أنني إن أجبتكم ركبتم بكم ما أعلم ولم أصح إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأننا كأحدكم، ولعلي أسعكم وأطوعكم لمن ولاتهم أمركم، وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً»^(٨).

إلا أن ذلك لم ينه ضغط الناس، مما جعل الإمام علي عليه السلام مضطراً لقبول البيعة والحكومة، إلا أنه عليه السلام قال: إن كان لا بدًّ من ذلك ففي المسجد فإن بيتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضا المسلمين وفي ملأ وجماعة، فقام الناس حوله



دخل المسجد وانثال عليه المسلمون فبایعوه وفيهم طلحة والزبير^(٩). وقد قمت البيعة في يوم السبت التاسع عشر من شهر ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين للهجرة^(١٠)، وكان الإرادة الإلهية أبت إلا أن تتم البيعة في أجواء ذكرى حادثة الغدير التي كانت في الثامن عشر من ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة، ولعل عدم كونها في ذات اليوم لكي تكون البيعة من باب التأكيد لا الاستئناف.

المشروعية الشعبية للحكومة العلوية

والمقصود بها هو مبدأ القبول والاعتراف بالسلطة لدى مختلف شرائح المجتمع، وهو ما يعرف في السياسي المعاصر بالديمقراطية، وتنحى الحكومة نفسها المشروعة الشعبية عن طريق أحد أمور ثلاثة:

الأول: الطريق التقليدي، والذي يتمثل في رغبة عامة الناس واتفاقهم على شخص معين من دون فرض عليهم.

الثاني: الطريق الكاريزمي^(١١)، من خلال ما يتمتع به الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ من خصائص ومميزات لا يشاركه فيها غيره.

الثالث: الطريق العقلائي الحقوقي، الذي يتمثل في رغبة الخواص والممثلين عن عامة الناس.

وقد اجتمعت هذه الأمور الثلاثة بأجمعها فيما يتعلق بالمشروعية السياسية للحكومة العلوية، فلذا نرى أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ يخاطب طلحة والزبير ويقول لهم: «أما بعد فقد علمتما - وإن كتمما - أنني لم أردد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى باياعوني، وإنكم من أرادوني وباياعوني، وإن العامة لم تبايعوني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر، فإن كتمما باياعمني طائرين فارجعاً وتوبا إلى الله من قريب، وإن كتمما باياعمني كارهين فقد جعلتما لي عليكم السبيل بإظهاركم الطاعة وإسراركم

العصية، ولعمري ما كتما بأحق المهاجرين بالثقة والكتمان، وإن دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلوا فيه كان أوسع عليكم من خروجكما منه بعد إقراركم به»^(١٢).

فالإمام عَلَيْهِ الْكَلَم اختاره عامة الناس ومن مختلف الشرائح، من دون أن يفرض عليهم ذلك، وكان من ضمن المباعين غالبية الخواص والنخبة وأهل الحل والعقد، إضافة إلى ما يتميز به الإمام عَلَيْهِ الْكَلَم وينفرد به من مميزات، فهذه الأمور الثلاثة بجمعها تعتبر أساساً للمشروعية الشعبية للحكومة العلوية.

المشروعية القانونية للحكومة العلوية

بعد التحاق النبي الأكرم ﷺ بالرفيق الأعلى، تم الاعتراف رسمياً -بعد الفرض- بشكل معين وآلية معينة للخلافة، وهو ما عرف بنظرية الشوري، وتم منح ذلك النمط المتبع كاملاً الاعتبار والقانونية، فأصبح هذا النمط هو المنشأ الوحيد للمشروعية القانونية للحكومة والخلافة، على الرغم من عدم مقبوليته عند الكثير من الصحابة وأعيان المهاجرين والأنصار، بل وعدم ممارسته عملياً، وفتنة السقيفة مؤشر على ذلك.

فالمشروعية القانونية للحكومة، هي التي تتم عن طريق شوري المهاجرين والأنصار، وهذا المبني القانوني قد قدم المواقف عليه طوعاً أو كرهاً.

وهذه المشروعية القانونية قد تحققت أيضاً في حكومة الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَم، بل لم تتحقق إلا في حكومته.

فلذا كان الإمام عَلَيْهِ الْكَلَم يحتاج بهذه المشروعية القانونية على مخالفيه من أمثال معاوية، فإنّ معاوية لم يكن حاضراً يوم البيعة في المدينة المنورة، ولم يبايع الإمام عَلَيْهِ الْكَلَم، إلا أنّ الإمام عَلَيْهِ الْكَلَم احتاج عليه بالمشروعية القانونية -أي من باب قاعدة الإلزام بما التزم به الغير- فقد قال عَلَيْهِ الْكَلَم لمعاوية: «إنه يعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايدهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن

يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضي، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبي قاتلوا على اتباعه غير سبيل المؤمنين ووالله ما تولى»^(٣).

وهذا الاحتجاج من باب الجدل وإلزام الخصم، ولم يكن احتجاجاً برهانياً.

المشرعية الإلهية للحكومة العلوية

وهذه المشرعية الإلهية هي العمدة والأساس للمشرعية السياسية للحكومة العلوية، وهو ما يعبر عنه بنظرية النص والتعيين الإلهي، في قبال نظرية الشورى، وقد تصدت لإثبات هذه المشرعية الإلهية الكتب العقائدية بشكل استدلالي محكم مبسوط في مباحث الإمامية، بأدلة عقلية كقاعدة اللطف، وأدلة قرآنية كآية الولاية، وأدلة روائية كحديث الغدير.

الخلاصة

أن حقانية ومشروعية هذه الحكومة العلوية منسجمة مع كافة المباني والنظريات، وهي معدودة من إجماعيات كافة الفرق الإسلامية.

على مبني الإمامية الذين يقولون بنظرية النص، وعلى مبني من يؤمنون بنظرية الشورى من المذاهب الإسلامية، بل وعلى كافة الرؤى السياسية المعاصرة كالديمقراطية، فكلُّ هذه المباني تتفق على مشروعية الحكومة العلوية، وهذه الميزة من مختصات حكومة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

الهؤامش:

(١) مناقب ابن شهراً شوب، ج ٣، ص ٢٦٨.

(٢) محمد تقى مجلسى، روضة المتقيين، ج ١٣، ص ٢٧٣.

(٣) بحار الأنوار، العلامة مجلسى، ج ٣٠، ص ١٢.

- (٤) نهج البلاغة، الشريف الرضي، الخطبة ٧٤
- (٥) لفظ المشروعية هنا بمعناه اللغوي أو الحقوقي، وليس بالمعنى الشرعي الخاص، لأنَّ المشروعية الدينية في المصطلح الخاص منحصرة في الشارع والشرع.
- (٦) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٧ - ص ٣٦ - ٣٧
- (٧) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٢ - ص ٢٢٢، التدك: الازدحام كأن كل واحد يدك الآخر أي يدقه. والهيم أي العطاش جمع هيماء، كعيناء وعين وهج: مشى مشية الضعيف، وهج الظليم إذا مشى في ارتعاش والكعب -كسحاب-: الجارية حين يبدو شديها للنهدود وهي الكاعبة. وحسرت أي كشفت عن وجهها متوجهة إلى البيعة لتعقدها بلا استحياء لشدة الرغبة والحرص على إقامة الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام. والغرض من الكلام الاحتجاج على المخالفين بأنَّ الأمة بايعته مختارة.
- (٨) نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ١ - ص ١٨١ - ١٨٢
- (٩) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١١ - ص ٩
- (١٠) الإمامة والسياسة، ابن فقيبة، ج ١ ص ٣٦
- (١١) الكاريزما كلمة في أصلها اليوناني تعني المدية أو التفضيل الإلهي، فهي تشير إلى الجاذبية الكبيرة والحضور الطاغي الذي يتمتع به بعض الأشخاص، وهي القدرة على التأثير على الآخرين إيجابياً بالارتباط بهم جسدياً وعاطفياً وثقافياً، وقد يعبر عنها بسحر الشخصية وقوة الشخصية. والمراد منها المؤهلات الذاتية التي يتلوكها الشخص بحيث تؤدي إلى انجداب الآخرين به.
- (١٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ - ص ١١١ - ١١٢.
- (١٣) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ - ص ٧.



آداب قراءة القرآن الكريم

سيد جواد سيد شرف الموسوي

آداب التلاوة

هناك أمور لا بد لقارئ القرآن أن يراعيها في تلاوته للقرآن الكريم لما لها من أثر على القارئ المستمع في التركيز ورغبة الاستماع ولفت الانتباه اتجاه القرآن.

١- القراءة بصوت حسن:

القراءة بالصوت الحسن من الأمور المهمة لما لها من أثر وقع في نفوس الناس، وعادة الإنسان يستأنس ويرتاح إلى الصوت الحسن، وينجذب إليه ويستيق إلى سماعه، ولذلك جاء في الروايات الحث على قراءة القرآن بالصوت

الحسن.

قال رسول الله ﷺ: «حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً»^(١). وعن الصادق علیه السلام قال: «كان علي بن الحسين علیه السلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان السقاوون يمرون ببابه يسمعون قراءته وكان أبو جعفر علیه السلام أحسن الناس صوتاً»^(٢).

وعنه علیه السلام أيضاً في حديثه عن أبيه وزيد بن الحسن أن الوالي على المدينة كتب إلى هشام لما طلب إليه أن يشخص الباقي علیه السلام "إن الرجل الذي طلبه ليس اليوم على وجه الأرض أعز ولا أزهد ولا أورع، وإنه ليقوم في محرابه يقرأ القرآن فتجمع الطير والسباع تعجاً لصوته، وإن قراءته تشبه مزامير داود".^(٣)

٢- القراءة بالترتيل:

قال تعالى: ﴿وَرَأَلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^(٤).

الترتيل: القراءة بصوت حسن مع الإيضاح للحروف والكلمات. وفي مجمع البيان عن الصادق علیه السلام إن معنى الترتيل: «أن تتمكث فيه وتحسن به صوتك»^(٥). وعن أمير المؤمنين علیه السلام في قوله تعالى: «﴿وَرَأَلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ قال: «يبنه تبياناً، ولا تهذه هذا الشعر، ولا تشره نثر الرمل، ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية، ولا يكن لهم أحدكم آخر السورة»^(٦).

وعنه علیه السلام في نهج البلاغة في صفة المتدين: «أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلًا»^(٧).

وعلى المؤمن أن يقرأ القرآن بالترتيل ولا يقرؤه كما يقرأ أي كتاب آخر أو يقرؤه كما يقرأ الشعر، فإن مذاق القرآن وقراءاته تختلف فهو كتاب عظة وإرشاد وعبرة، وليس كتاب معلومات يحفظها الإنسان وكفى، بل لا بد أن تتعكس تلك القراءة على قلب الإنسان فتجعل فيه المخشع والتذلل والانكسار إلى الله عزوجل.

٣- الطهارة:

أن يكون طاهراً من المحدث الأكبر والأصغر، أي يكون على وضوء حتى يجوز له أن يس خط القرآن. عن أمير المؤمنين ع قال: «لا يقرأ العبد القرآن إذا كان على غير طهور حتى يتطهر»^(٨).

وعن أبي الحسن ع قال: «سألته أقرأ المصحف ثم يأخذني البول فأقوم فأبول وأستجي وأغسل يدي وأعود إلى المصحف فاقرأ فيه فقال: لا حتى تتوضأ للصلوة»^(٩).

٤- الاستعاذه بالله من الشيطان الرجيم:

قال تعالى: ﴿فِإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١٠)، عن سماحة قال: سألت الإمام الصادق ع عن قوله تعالى: ﴿فِإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ كيف أقول؟ قال: «قل أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم»^(١١).

وعن الإمام العسكري ع في تفسيره قال: «أما قوله الذي ندبك الله إليه وأمرك به عند قراءة القرآن: أعود بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فإن أمير المؤمنين ع قال وإن قوله: أعود بالله أي أمتنع بالله (إلى أن قال) والاستعاذه هي ما قد أمر الله به عباده عند قراءتهم القرآن بقوله: ﴿فِإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ومن تأدبه بأدب الله أداه إلى الفلاح الدائم»^(١٢).

وعن الحلباني عن أبي عبدالله ع قال: سأله عن التعوذ من الشيطان عند كل سورة يفتحها قال: «نعم فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم»^(١٣).

٥- البسملة:

التسمية عند البدء بقراءة القرآن حتى لو كان الابتداء بغير أول السورة.

قال الصادق ع: «أغلقوا أبواب المعصية بالاستعاذه، وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية»^(١٤).

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَافُ قال: «إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله عز وجل: بدأ عبدي بسمي، وحق علي أن أتم أمره، وأبارك في أحواله»^(١٥). وجاء في احتجاج الإمام موسى الكاظم عَلَيْهِ الْكَفَافُ مع الرشيد أنه كلما أراد أن يستشهد بآية من القرآن قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم».

٦- الإنصات واستماع التلاوة:

من آداب الحديث بين المؤمن وأخيه أن ينصت له إذا تكلم ويستمع له، هذا بين المؤمن وأخيه المؤمن، فكيف إذا كان المتحدث الله عز وجل، أليس القرآن هو كلام الله؟ فمن باب أولى الاستماع إلى كلام الله عز وجل، ففضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه^(١٦) كما في الحديث.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾^(١٧).

وعن الفضل بن الحسن الطبرسي في مجمع البيان قال قيل: "إن الوقت المأمور فيه بالإنصات للقرآن والاستماع له في الصلاة خاصة خلف الإمام الذي يؤتم به، وإذا سمعت قراءته وروي ذلك عن أبي جعفر"^(١٨).

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَفَافُ قال: «قرأ ابن الكوا خلف أمير المؤمنين ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فأنصت له أمير المؤمنين^(١٩).

وعن عبدالله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَفَافُ قال: "قلت له: الرجل يقرأ القرآن أ يجب على من سمعه الإنصات له والاستماع؟ قال: «نعم، إذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع»^(٢٠).

وعن زراره قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَفَافُ يقول: «يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وغيرها وإذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع»^(٢١).

٧- الخشوع في التلاوة:

الخشوع رقة القلب وهي صفة من صفات أولياء الله إذا قرئ القرآن خشعت قلوبهم من ذكر الله، كيف لا يخشع قلب المؤمن من عظمة القرآن والله أعلم
يقول: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْبَيْهِ اللَّهُ﴾^(٢٢)، وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّمَا يَأْنِي لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(٢٣).

وعن رسول الله ﷺ: «اقرؤوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فباكوا»^(٢٤).

وعن سليمان بن خالد عن الصادق ع قال: «إن رسول الله ﷺ أتى شباباً (شباباً) من الأنصار فقال: إني أريد أن أقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة، فقرأ آخر الزمر ﴿وَسَيِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾^(٢٥) إلى آخر السورة فبكى القوم جميعاً إلا شباباً (شباباً) فقال: يا رسول الله قد تباكيت بما قدرت عبني، فقال: إني معيد عليكم فمن تباكي فله الجنة فأعاد عليهم بكى القوم وباكي الفتى فدخلوا الجنة جميعاً»^(٢٦).

وكان الرضا ع ع في طريق خراسان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن فإذا مرّ بآية فيها ذكر جنة أو نار بكى وسأل الله الجنة وتعوذ به من النار^(٢٧).

وقال رسول الله ﷺ: «ما من عين فاضت من قراءة القرآن إلا قررت يوم القيمة»^(٢٨).

٨- التدبر في التلاوة:

ينبغي للقارئ أن يقرأ القرآن بتدبر وإمعان في الآيات ولا يقرأ القرآن كقراءة الشعر أو ينشره نشرًا لأن الله عز وجل أمر عباده أن يتدبروا آياته وأن يستفيدوا من تلك الحزائن ويعتبروا ويذكروا، وإنما يتذكر أولو الألباب.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْعَالُهَا﴾^(٢٩)، وأيضاً: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٣٠).

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أَلَا لَا خَيْرٌ فِي قِرَاءَةِ لِيْسَ فِيهَا تَدْبِيرٌ ، أَلَا لَا خَيْرٌ فِي عَبَادَةِ لِيْسَ فِيهَا تَفْقِهٌ»^(٣١) . وعن عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا : «تَدَبَّرُوا آيَاتِ الْقُرْآنِ وَاعْتَبِرُوهُ بِهِ فَإِنَّهُ أَبْلَغُ الْعِبَرِ»^(٣٢) . وقال عَلِيُّ بْنُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «آيَاتُ الْقُرْآنِ خَزَانَةُ الْعِلْمِ ، فَكُلُّمَا فَتَحْتَ خَزَانَةَ فِينِيْغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ فِيهَا»^(٣٣) .

فضل تعلم القرآن وتعليمه

ينبغي للإنسان المؤمن أن يضع من أهم أولوياته في هذه الحياة أن يتعلّم القرآن أو يكون في تعلمه أو يعلّمه، ولا يوجد شيء أفضل من تعلّم القرآن؛ فإنه نور يستضيء به المؤمن في هذه الحياة، فمن وضعه أمامه قاده إلى الجنة، ومن وضعه خلفه ساقه إلى النار.

فلا بدّ أن يكون القرآن أهم شيء عندنا فلا نقدم عليه شيء وأن نتعاهد قراءته في كل يوم بل في كل ساعة، أليس هو كلام الله؟ وهل هناك شيء أفضل من أن يحدثك الله عز وجل، فإذا أردت أن يحدثك الله فاقرأ القرآن، وهو من أفضل العبادات التي يؤديها المؤمن، لذلك جاءت الأحاديث لـثـ المؤمن على تعلمه وتعليمه.

فعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «خَيَارُكُمْ مِّنْ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَعِلْمِهِ»^(٣٤) . وعن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَلَا مَنْ تَعْلَمَ الْقُرْآنَ وَعِلْمَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ فَأُنَّا لَهُ سَاقِنَ إِلَى الْجَنَّةِ وَدَلِيلُ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٣٥) . وعن عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِمْ فَقَدْ أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيًّا»^(٣٦) . وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : «يُنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَمُوتَ حَتَّى يَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ أَوْ يَكُونَ فِي تَعْلِيمِهِ»^(٣٧) . وعن كليب قَالَ : «كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ فَسَمِعْتُهُمْ فِي الْمَسَاجِدِ يَقْرُئُونَ الْقُرْآنَ فَقَالَ : «طَوْبٰي لِهُولَاءِ كَانُوا أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣٨) . وعن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَقْرَأَ وَارْقَهُ وَرَتَلَ كَمَا كُنْتَ تَرْتَلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَتِكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةِ كُنْتَ تَقْرُئُهَا»^(٣٩) .

وعنه عليه السلام أيضاً: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسوه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشتهم الرحمة، وحفthem الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(٤٠).

فضل تعليم الأولاد القرآن

الولد هو ثرة الأب، فلا بد أن يعلمه ما يحسنه ويبعده عما يفسده، وأفضل ما يعلمه الإنسان في هذه الحياة أن يخلف له ولد صالح يطيع الله عز وجل ويعود فضل كل ذلك إلى أبيه في الدنيا والآخرة، وأفضل ما يؤدب به الأب ابنه في الحياة أن يعلمه القرآن وذلك حق من حقوق الولد على أبيه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «حق الولد على أبيه أن يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعمله القرآن»^(٤١). وعن النبي عليه السلام: «من علم ولدا له القرآن قلده قلادة يعجب منها الأولون والآخرون يوم القيمة»^(٤٢). وعنده عليه السلام أيضاً: «إذا قال المعلم للصبي قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله براءة للصبي، وبراءة لأبيه، وبراءة للمعلم من النار»^(٤٣).

وعن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله ليهم بعذاب أهل الأرض جمِيعاً حتى لا يتحاشى منهم أحداً إذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السيئات فإذا نظر إلى الشيب ناقلي أقدامهم إلى الصلوات، والولدان يتعلمون القرآن، رحهم فأخر ذلك عنهم»^(٤٤).

فضل حفظ القرآن

القرآن الكريم هو الغنى الذي لا غنى عنه، وأفضل ما يعطى الإنسان أن يعطي حفظ القرآن، فمن أعطى حفظ القرآن فقد أعطى أفضل شيء فلا يضيئه بالنسفان وعدم الاستذكار فإنها تكون عليه حسرة يوم القيمة حينما تتصور له



تلك السورة الذي نسميتها درجة عالية في الجنة فإذا ما رآها يقول ما أحسنك؟ فتقول له: أو ما تعرفي؟ أنا سورة كذا وكذا، ولو لم تنسني لرفعك الله إلى هذا المكان، حينها تصيبه الحسرة على ما فرط في نسيان تلك السورة، إذا علينا أن نحفظ كتاب الله أولاً، ثم نتذكره بعد ذلك حتى نحافظ عليه من النسيان، فعن النبي ﷺ: «من أعطاه الله حفظ كتابه فلن أن أحداً أعطى أفضل مما أعطي فقد غطى أفضل النعمة»^(٤٥). وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخراب»^(٤٦). وعن الصادق ع: «الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة»^(٤٧).

وعن يعقوب الأحمر قال: "قلت لأبي عبدالله ع: إن علي دينا كثيراً وقد دخلني ما كاد القرآن يتفلت مني، فقال أبو عبدالله ع: «القرآن القرآن، إن الآية من القرآن والsurah لتجيء يوم القيمة حتى تصعد ألف درجة - يعني في الجنة - لو حفظتني لبلغت بك هيئنا»^(٤٨).

وعن الصادق ع قال: «إن الرجل إذا كان يعلم السورة ثم نسيها أو تركها ودخل الجنة أشرف عليه من فوق في أحسن صورة فتقول: تعرفي فيقول: لا فتقول: أنا سورة كذا وكذا لم تعمل بي وتركتني، أما والله لو عملت بي لبلغت بك هذه الدرجة، وأشارت بيدها إلى ما فوقها»^(٤٩).

وعن النبي ﷺ قال: «بِسْمِ الْأَحَدِ كُمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيَتْ آيَةً كَيْتْ وَكَيْتْ، بَلْ هُوَ نَسِيَ، اسْتَذَكَرُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيْدِهِ هُوَ أَشَدَّ تَفْصِيَا مِنْ صَدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعْمَ مِنْ عَقْلِهَا»^(٥٠)، وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قال: «مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهر كمثل رجل له إيل فـإن عقلها حفظها وإن أطلق عقاها ذهبت فـكذلك القرآن»^(٥١).

فضل حمل القرآن

إن حملة القرآن فضل كبير عند الله عز وجل، وهم أشراف هذه الأمة، وهم عرفاء أهل الجنة، وهم المقدمون على غيرهم، ولا يعبد الله عز وجل قلباً وعى القرآن، فلا بد أن نقدر ونحترم ونجل حملة كتاب الله، وأن لا نهين أحداً منهم أو نحتقره؛ إجلالاً لما يحملونه في صدورهم، ومن احترمهم فإنما احترم كتاب الله، ومن أهانهم فإنما أهان كتاب الله عز وجل، فعن النبي ﷺ قال: «حملة القرآن هم المحفوفون برحمه الله، الملبوسون بنور الله عز وجل»^(٥٢).

وعنه عليهما السلام أيضاً في غزوة أحد في دفن الشهداء: «انظروا أكثرهم جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام صاحبه في القبر»^(٥٣). وبعث النبي عليهما السلام وفداً إلى اليمن فأمر عليهم أميراً منهم وهو أصغرهم، فمكث أيامًا لم يسر فقال له رجل: يا رسول الله أتؤمره علينا وهو أصغرنا؟ فذكر النبي عليهما السلام قراءته للقرآن^(٥٤).

آداب حامل القرآن

ينبغي لحامل القرآن ألا يكون كغيره من الناس، بل لا بد أن يكون على درجة عالية من الأخلاق وصفات الخير؛ لأنّه يحمل كلام الله، وهو يدعوه للالتزام بالصفات الحسنة، ونبذ الصفات السيئة من شخصيته، ويكون نموذجاً وقدوة للآخرين ولا يكون كالذي يصفه القرآن من حملة العلم ولكنهم لا يستفيدون من ذلك العلم إلا التعب.

قال تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا»^(٥٥)، فلا بد لحامل القرآن أن تتأثر شخصيته لما يقرأ أو يسمع، أن تكون عليه سيماء الصالحين من الخشوع والتذلل والقرب من الله عز وجل، وأن يكون حمله للقرآن لوجه الله تعالى.

لكننا نرى أن هناك أنساً يحملون القرآن لأمور دنيوية لكي يدر عليهم المال، ويحفظ القرآن أو أجزاء منه لكي يحصل على جائزة مالية، ولذلك ترى هذا الإنسان بمجرد أن تنتهي هذه المسابقة أو يحصل على هذه الجائزة ينسى ما حفظه، فهدفه لم يكن حفظ القرآن لوجه الله تعالى، وإنما من كان من أجل أن يحصل على المال أو الجائزة، أو ذلك الذي يحفظ القرآن من أجل الرياء والسمعة فكل أولئك لا يمكن أن يستفيدوا من القرآن ولا يمكن أن يؤثر في شخصيتهم، وإنما مجرد ترديد كلمات لا تتعدى المخاجر، وكما جاء في الرواية قال النبي ﷺ :

«أَتَتْ قَرَأَ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ فَإِذَا لَمْ يَنْهَاكَ فَلَسْتَ تَقْرُؤُهُ»^(٥٦).

وقال النبي ﷺ : «إِنَّ أَحَقَ النَّاسَ بِالتَّخْشِعِ فِي السُّرِّ وَالْعُلَانِيَّةِ لِحَامِ الْقُرْآنِ، وَإِنَّ أَحَقَ النَّاسَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ فِي السُّرِّ وَالْعُلَانِيَّةِ لِحَامِ الْقُرْآنِ»^(٥٧).

وعن أنس قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فنادي بأعلى صوته: «يا حامل القرآن أكحل عينيك بالبكاء إذا ضحك البطالون، وقم بالليل إذا نام النائمون، ووصم إذا أكل الأكلون، واعف عن ظلمك، ولا تحقد فيمن يمقد، ولا تجهل فيمن يجهل»^(٥٨).

وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ فَلَانَ قَارِئٌ، وَمِنْهُمْ لِيُطَلَّبَ بِهِ الدِّينُ وَلَا خَيْرٌ فِي ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِيُتَعَمَّدَ بِهِ فِي صَلَاتِهِ وَلِيَلِهِ وَنَهَارَهُ»^(٥٩).

وعن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةُ: رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَخْنَذَهُ بِضَاعَةً، وَاسْتَدَرَّ بِهِ الْمَلُوكُ، وَاسْتَطَالَ بِهِ عَلَى النَّاسِ، وَرَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَحَفَظَ حُرُوفَهُ وَضَيَّعَ حُدُودَهُ، وَأَقَامَهُ إِقَامَةَ الْقَدْحِ، فَلَا كَثُرَ اللَّهُ هُؤُلَاءِ مِنْ حَمْلَةِ الْقُرْآنِ، وَرَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَوَضَعَ دَوَاءَ الْقُرْآنَ عَلَى دَاءِ قَلْبِهِ، فَاسْهَرَ بِهِ لَيْلَهُ، وَأَظْمَأَ بِهِ نَهَارَهُ، وَقَامَ بِهِ فِي مَسَاجِدِهِ، وَتَحَافَّ بِهِ عَنْ فِرَاشِهِ، فَبِأَوْلَىكَ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ، فَبِأَوْلَىكَ يَدْبَلِيَ اللَّهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ، فَبِأَوْلَىكَ يَنْزَلُ اللَّهُ الْغَيْثُ مِنَ السَّمَاءِ، فَوَاللَّهِ هُؤُلَاءِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَعَزُّ مِنَ الْكَبِيرِيَّاتِ الْأَحْمَرِ»^(٦٠).

وعن النبي ﷺ قال: «من قرأ القرآن يأكل به الناس جاء يوم القيمة ووجهه عظم ليس فيه لحم»^(٦)، وعنده ﷺ قال: «من تعلم القرآن للدنيا وزينتها حرم الله عليه الجنة»^(٧)، وعنده ﷺ أيضاً: «من قرأ القرآن يريد به السمع والتماس شيء لقى الله عز وجل يوم القيمة ووجهه مظلوم ليس عليه لحم ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله عز وجل يوم القيمة أعمى فيقول: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾»^(٨).

أحكام القرآن

يحرم على المحدث بالحدث الأكبر أو الأصغر إيصال شيء من بدنه إلى كتاب الله العزيز، ويحرم على الجنب والمائض والنساء قراءة شيء من سور العزائم (وهي سور القرآنية التي تحتوي على السجادات الواجبة) وهي أربع: ألم فصلت، وحمد السجدة، والنجم، واقرأ.

يكره للجنب والمائض والنساء قراءة أكثر من سبع آيات من غير سور العزائم، ويكره مس حواشي القرآن وغلافه وما بين خطوطه لكل من لم يكن على طهارة.

توجد في كل سورة من سور العزائم آية واحدة يجب على الإنسان إذا قرأها أو سمعها أن يسجد بعد تمام الآية فوراً وإذا نسي أن يسجد في حينها سجد في أي وقت تذكر، ولا يلزم للسجود في سجدة القرآن الواجبة أن يكون على وضوء أو غسل أو مستقبلاً قبلة.

يكفي في سجدة القرآن الواجبة أن يضع جبهته على الأرض بقصد السجدة وإن لم يقرأ ذكراً، ولكن الإتيان بالذكر مستحب والأفضل أن يقول: لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله إلينا وتصديقاً، لا إله إلا الله عبودية ورقاً، سجدت لك يا رب تعبداً ورقاً، لا مستنكفاً ولا مستكبراً، بل أنا عبد ذليل ضعيف خائف مستجير، أو يقول (سجدت لك يا رب تعبداً ورقاً، لا مستكبراً عن عبادتك ولا

مستنكفا ولا مستعظما، بل أنا عبد ذليل خائف مستجير)، أو يقول (إلهي آمنا بما
كفروا، وعرفنا ما أنكروا، وأجبناك إلى ما دعوا، إلهي فالعلفو العفو).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين.

الهوامش:

- (١) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ، ج ١، ص ٧٥.
- (٢) البحار، ج ٤٦، ص ٧٠.
- (٣) البحار، ج ٤٦، ص ٣٣٠.
- (٤) المزمل / ٤.
- (٥) مجمع البيان للطبرسي، ج ١٠، ص ١٦٢.
- (٦) الوسائل، ج ٦، ص ٢٠٧.
- (٧) نهج البلاغة، ج ١، ص ١٦١.
- (٨) الوسائل، ج ٦، ص ١٩٦.
- (٩) نفس المصدر.
- (١٠) النحل، ج ٩، ص ٩٨.
- (١١) البحار، ج ٦٠، ص ٢٥٥.
- (١٢) الوسائل، ج ٦، ص ١٩٧.
- (١٣) نفس المصدر، ص ١٩٨.
- (١٤) المستدرك للنوري، ج ٥، ص ٣٠٤.
- (١٥) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ، ج ٢، ص ٢٦٩.
- (١٦) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠٦٩.
- (١٧) الأعراف، ج ٢٤، ص ٢٠٤.
- (١٨) مجمع البيان ج ٤ ص ٧٩١.
- (١٩) الوسائل، ج ٦، ص ٢١٤.
- (٢٠) مجمع البيان، ج ٤، ص ٤١٩.



- (۲۱) الوسائل، ج ۶، ص ۲۱۵.
- (۲۲) الحشر، ۲۱.
- (۲۳) الحديد، ۱۶.
- (۲۴) ميزان الحكمة، ج ۳، ص ۲۵۲۸.
- (۲۵) الزمر، ۷۱.
- (۲۶) الوسائل، ۶، ص ۲۱۷.
- (۲۷) عيون أخبار الرضا علیه السلام، ج ۱، ص ۱۹۶.
- (۲۸) ميزان الحكمة، ج ۳، ص ۲۵۲۹.
- (۲۹) محمد صلی الله علیه و آله و سلم، ۲۴.
- (۳۰) النساء، ۸۲.
- (۳۱) الكافي، ج ۱، ص ۳۶.
- (۳۲) ميزان الحكمة، ج ۳، ص ۲۵۲۸.
- (۳۳) ميزان الحكمة، ج ۳، ص ۲۵۲۸.
- (۳۴) ميزان الحكمة، ج ۳، ص ۲۵۲۱.
- (۳۵) ميزان الحكمة، ج ۳، ص ۲۵۲۲.
- (۳۶) نفس المصدر.
- (۳۷) الكافي، ج ۲، ص ۶۰۷.
- (۳۸) ميزان الحكمة، ج ۳، ص ۲۵۲۱.
- (۳۹) الوسائل، ج ۶، ص ۱۹۱.
- (۴۰) ميزان الحكمة، ج ۳، ص ۲۵۲۲.
- (۴۱) نفس المصدر.
- (۴۲) نفس المصدر.
- (۴۳) الوسائل، ج ۶، ص ۱۶۹.
- (۴۴) المستدرک، ج ۳، ص ۳۶۰.
- (۴۵) ميزان الحكمة، ج ۳، ص ۲۵۲۲.
- (۴۶) ميزان الحكمة، ج ۳، ص ۲۵۲۲.

- (٤٧) الوسائل، ج ٦، ص ١٧٦.
(٤٨) الكافي، ج ٢، ص ٦٠٨.
(٤٩) نفس المصدر.
(٥٠) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٥٢٣.
(٥١) نفس المصدر.
(٥٢) نفس المصدر.
(٥٣) نفس المصدر.
(٥٤) نفس المصدر، ص ٢٥٢٤.
(٥٥) الجمعة: ٥.
(٥٦) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٥٢٩.
(٥٧) الكافي، ج ٢، ص ٦٠٤.
(٥٨) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٥٢٤.
(٥٩) الكافي، ج ٢، ص ٦٠٧.
(٦٠) الكافي، ج ٢، ص ٦٢٧.
(٦١) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٥٢٩.
(٦٢) نفس المصدر، ص ٢٥٣٠.
(٦٣) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٥٣٠.



مفردة **الرَّحْمَن** في القرآن

علي فاضل الصدوي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على محمد
وآله.

مقدمة

قال أحد الأعلام قتيل: «يظهر من ذكر الرحمن بعد اسم الجلاله في البسملة وفي قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [سورة الاسراء: ١١٠]، وسائر موارد استعمال هذا الاسم المبارك في القرآن العظيم أن لهذا الاسم الشريف أهمية عظمى ومتولة كبرى عند الله تعالى، فهو من أمهات الأسماء كالحبي والرب والقيوم والرحيم، وإلى هذه الأربعة ترجع سائر أسمائه **بِرْكَانٌ** فإذا رجعنا إلى موارد استعمالات

هذا اللفظ في القرآن الكريم نرى أنه استعمل مقررناً بالتعظيم والتجليل بالنسبة إلى عالمي الدنيا والآخرة...»^(١). بل حُكِي أن كلمة ﴿الرَّحْمَن﴾ اسمٌ أعظم مثل كلمة الله^(٢).

ثم إنَّه اختلف في أنَّ مفردة ﴿الرَّحْمَن﴾ عربية، وأصلها (رحمان) بالخاء المعجمة أم عربية - كما هو المشهور -، وعلى الثاني في أنَّها جامدة أم مشتقة - كما هو المشهور -، وعلى الثاني أيضاً في أنها مشتقة من الرحمة كالرحيم - كما هو المشهور - أم من الرحيم - كما احتمل^(٣)،^(٤) -، وأنَّها صفة مشبَّهة مطلقاً أو أنَّها كذلك فيما إذا كانت الرحمة صفة لازمة للذات، وليس متعدِّية، وأمّا إذا كانت متعدِّية وبلحاظ مورودها - أعني المرحوم - فمفردة ﴿الرَّحْمَن﴾ صيغة مبالغة - كما هو المشهور -.

ثم إنَّ نحو الرحمة الرحمنية يختلف عن نحو الرحمة الرحيمية، فهذه خاصةٌ يقابلها الغضب، وتلك مطلقة تسع كلَّ شيء - الدنيا والآخرة والمؤمن والكافر - وغير محدودة كالشمس في إشرافها على الجميع، ومقابلتها العدم لا الغضب؛ إذ لو قابلها الغضب لخرجت عن إطلاقها وسعتها. ففي الخبر عن الصادق عليه السلام أنَّه قال: «الرحمن اسمٌ خاصٌ بصفةٍ عامةٍ، والرحيم اسمٌ عامٌ بصفةٍ خاصةٍ»^(٥)، وعن النبي عليه السلام: «أنَّ عيسى بن مريم قال: الرحمن رحمٌ الدنيا، والرحيم رحيم الآخرة»^(٦)، وعن الصادق عليه السلام - بحسب معتبر - في تفسير البسمة... الرحمن بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصة^(٧).

إذا تمهد ذلك فاعلم بأنَّ أحد أعلام المفسِّرين دامَ طَلَّهُ قد ذهب إلى أن مفردة ﴿الرَّحْمَن﴾ في مثل قوله تعالى: ﴿أَتَتَخْذُ مِنْ دُونِهِ أَهْلَهَ إِنْ يُرِدُنَ الرَّحْمَنُ بِصُرُّ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ﴾^(٨)- إشارة إلى الرحمة المطلقة؛ فإنَّه مع أنَّ الكلام في هذه الآية حول العذاب نجدها تذكر ﴿الرَّحْمَن﴾ لا القهار ولا المنقم؛



لأن الرحمة الرحمانية شاملة للعذاب أيضاً، وكذا في سورة الرحمن بعد قوله تعالى: **﴿الرَّحْمَنُ عَلَمَ الْقُرْآنَ﴾** يذكر جهنم من جملة النعم وألوان الرحمة الإلهية كتعليم القرآن ونعيم الجنة، فيقول: **﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**^(٩)، فجهنم كمال وجودي^(١٠)، وإلى جانب الجنة وسائر الآلاء الإلهية تدخل تحت ظل الرحمة المطلقة لله سبحانه^(١١).

ولكن يلاحظ عليه أن مفردة **﴿الرَّحْمَن﴾** في الكتاب وإن استعملت صفة للذات الإلهية، كما في البسملة مثلاً، إلا أنها عَلَمٌ على الذات المقدسة الإلهية، ولقب لله سبحانه بالغلبة والوضع التعيني، ولذا استعملت من دون لحاظ مادتها في آيات كثيرة، فمفردة **﴿الرَّحْمَن﴾** - كما تأتي وصفية - تأتي عَلَمِيّة مجردة من الصفة، وقد صرّح بذلك جملة من الأعلام^(١٢)، ولمكان كثرة إطلاقه على الذات صار علماً لها لا يتصل بالمرحوم، ولا يؤنس منه ذلك.

ويؤكّد ذلك أمران: الأول: ذكر العذاب والضر إلى جانب هذه المفردة، كما في قوله سبحانه: **﴿يَا أَبْتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسِكَ عَذَابًا مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيَأْتِي﴾**^(١٣)، وقوله سبحانه: **﴿أَتَتَخَذُ مِنْ دُونِهِ أَلْهَةً إِنْ يُرِدُنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا ثُغْنَ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَذُونَ﴾**^(١٤) - وكما فيزيارة الجامعة: «وعلى من جحد ولا ينكرون غضب الرحمن»^(١٥)، وفي وداع الإمام الرضا عليه السلام بعد زيارته: «اللهم العن الذين بدّلوا دينك.. اللهم إني أتقرّب إليك باللعنة عليهم والبراءة منهم في الدنيا والآخرة يا رحمن»^(١) -، والحال أن العذاب والغضب والبراءة مما لا يجتمع مع الرحمة الرحمانية، وإلا لخرجت عن سريانها وإطلاقها - كما تقدم -.

ولئن جاء احتمال تهويل العذاب والضر والغضب في نسبتها للرحمن مع كونه مصدرها مما يدل على شدة ما يصدر منه، فلا تزول معه الصفة من مفردة

﴿الرَّحْمَنُ﴾ - إلا أنّه آيٍ لا يأتي فيها ذلك، كقوله سبحانه: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا
بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^(١٧)، قوله: ﴿قَالُوا يَا
وَيَلَّا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الرُّسُلُونَ﴾^(١٨)، وغيرهما
ما سيأتي.

الأمر الثاني: إنّ الجمع بين قوله سبحانه: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا فَاعْبُدُهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾^(١٩)، وبين تكرار مفردة
﴿الرحمن﴾ في سورة مريم ست عشرة مرة - كما يقرب اختصاص المفردة به^(٢٠)؛
وذلك لما يفيده الاستئنفاري من عدم السميّ، وسيأتي الكلام فيه - يفيد
أنّ هذه المفردة علم أو لقب له سبحانه؛ إذ عدم المسمى باسمه -
أعني ﴿الرَّحْمَنُ﴾ - يعطي بوضوح أنه علم أو لقب له سبحانه.

ويؤكّد أنّ المراد نفي الشريك في الاسم لا ما يرجع إلى المسمى قوله سبحانه
في شأن يحيى بن زكريا عليهما السلام: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ
لَهُ مِنْ قَبْلٍ سَمِيًّا﴾^(٢١)؛ فإنّ المراد نفي سبق الشريك لهذا الغلام في اسمه، ومعه فلا
 محل للشك^(٢٢). هذا وقد سمي غير الله سبحانه به مضافاً لا مطلقاً كقوتهم في
مسيلمة الكذاب رحمان اليمامة^(٢٣)، وفي الأسود العنسي رحمان اليمين^(٢٤).

إذا عرفت ما تقدّم فلنستعرض جملة من الآيات التي اشتغلت على مفردة
﴿الرَّحْمَنُ﴾ محاولين استجلاء ما تحمله من دلالات:

الآية الأولى: قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا
حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا
وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾^(٢٥)، وسبيل هذه الآية سبيل الآيتين المتقدّمتين اللتين اشتغلت
إحداهما على الضّرّ والأخرى على العذاب، وأنهما لا يجتمعان مع الإشارة إلى
الرحمة الرحمانية المطلقة.

ومن الآيات التي سياقها لا يجتمع مع الإشارة إلى الرحمة الرحمنية - قوله سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَبَعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوجَ لَهُ وَخَسَعَتُ الْأَصْنَوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا. يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٢٦)، قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُمُكُمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾^(٢٧); فإن سياقها سياق الوعيد والتهديد، بينما شأن الرحمنية بسط الرحمة. وغيرهما.

الآية الثانية: قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾^(٢٨)، ومثلها قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(٢٩); فإن سياق استعمال المشركين لفردة ﴿الرَّحْمَن﴾ في هذه الآيات ظاهر في كونها علماً على الذات الإلهية المقدسة.

الآية الثالثة: قوله سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى..﴾^(٣٠)، وقد ورد في سبب نزول هذه الآية من غير طرقنا أنها نزلت حين سمع المشركون رسول الله ﷺ يقول: يا الله يا رحمن، فقالوا: إنه ينهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعوا إلها آخر، أو قالت اليهود: إنك لتُقللُ - من الإقلال والقلة - ذكر الرحمن، وقد أكثره الله في التوراة^(٣١).

وقوله: ﴿ادْعُوا﴾ إما من الدعوة بمعنى التسمية، كقولي: دعوت ابني حسناً، أي سميته، وإما من الدعوة بمعنى النداء، أي نادوا، فقولوا: يا الله أو يا رحمن، وإما من الدعوة بمعنى العبادة أي عبدوا الله أو عبدوا الرحمن، وهذا الأخير هو الذي مال إليه سيد الميزان قد ثنى في موضع^(٣٢)، وهو - مضافاً إلى عدم اتساقه مع سبب النزول - خلاف ظاهر الآية في تعليل دعوة أحد هما بقوله: ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، بل هذا التعليل يؤكّد إرادة أحد المعنيين الأولين.

الآية الرابعة: قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا

الرَّحْمَنُ أَنْسَجَدُ لِمَا تَأْمَرْنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا»^(٣٤)، فـ«قوهم: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾- والكلام لسيّد الميزان قىٰش، ونعم ما قال - سؤالٌ منهم عن هوٰيته ومائتيه مبالغةً منهم في التجاهل به استكباراً منهم على الله، ولو لا ذلك لقالوا: ومن الرحمن؟ وهذا كقول فرعون لموسى لما دعاه إلى رب العالمين: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣٥)- إلى أن قال قىٰش - قوله حكايةً عنهم: ﴿أَنْسَجَدُ لِمَا تَأْمَرْنَا﴾ في تكرار التعبير عنه تعالى بـ ﴿مَا﴾ إصراراً على الاستكبار، والتعبير عن طلبه منهم (كذا) السجدة بالأمر لا يخلو من تهمّك واستهزاء»^(٣٦). قال الشيخ علي بن إبراهيم القمي رحمه الله في تفسيره عن قوهم: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾: «جوابه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٣٧)^(٣٨). أقول: هذا الجواب في محله لو كانوا بصدّ الاستعلام، ويؤكد عدم كونهم كذلك استفهمهم الإنكارى وبنتهاى التأبى: ﴿أَنْسَجَدُ لِمَا تَأْمَرْنَا﴾.

الآية الخامسة: قوله سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنًا وَإِذَا خَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٣٩)، أضافهم سبحانه إلى اسمه تشريفاً، ولكنْ قال بعضهم في تفسير ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾: «أي: المخصوصون بقبول فيض هذا الاسم لسعة الاستعداد»^(٤٠)، وهذا منه لا ينافي سعة تلك الرحمة.

والتحصل - مما تقدّم - أن مفردة ﴿الرَّحْمَن﴾ علم أو مثل اللقب على الله سبحانه، وأنّها مختصة به، بموجب قوله سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

الخاتمة

وأختم هذه الرسالة المختصرة بالتعرف إلى فروع فقهية:

الفرع الأول: حكم كتابة ﴿الرَّحْمَن﴾ بالألف المتوسطة:

أثبتت مفردة ﴿الرَّحْمَن﴾ في المصاحف العثمانية رسمًا بغير الألف المتوسطة، ولكن - كما لا شبهة في عدم لزوم كتابتها بإثبات الألف - لا دليل على تعين كتابتها بدونها، وعلى لزوم المحافظة على الرسم المعهود بأخطائه الإملائية، فيجوز

كتابتها بإثباتات الألف؛ إذ هو الصحيح إملاء بمقتضى المطابقة بين الملفوظ والمكتوب.

ودعوى: أن **﴿الرَّحْمَنُ﴾** في الكتاب العزيز استعمل علماً نوعاً، وللإيماء إلى العدول من الوصفية إلى العلمية كتبت بدون الألف^(٤١)، أو أن ذلك لأجل إيجاد الميّز بين اسم الله وغيره^(٤٢) - وإن أمكنت فيما يرجع إلى التبرير الثاني، لكنها بعيدة فيما يخص التبرير الأول؛ ذلك لأن رسماً بها بدون الألف قد طال مفردة **﴿الرَّحْمَنُ﴾** الوصفية كما في البسمة، ولم يقف على خصوص العلمية، على أن ذلك لو تم ولو في الجملة - لا يؤسس لعدم جواز إثباتها.

وأمّا ما أفيد من لزوم المحافظة على المكتوب الأولى؛ حذراً عن وقوع سائر التصرّفات في الكتاب من أنواع التحريف وغيره، ولعلّ الكاتب من الأول كتب غلطًا فاستحفظ عليه؛ إرشاداً إلى التزام الأمة الإسلامية على هذه الشدّة من الحفظ عن التصرّفات حتى اليسيرة^(٤٣) - فلا ينهض بجرده دليلاً على لزوم كتابتها بدونها، ولا يؤذن بمنع إثباتها^(٤٤).

الفرع الثاني: حكم مس المحدث مفردة **﴾الرحمن﴾**:

لا ينبغي التأمل في حرمة مس مطلق المحدث لمفردة **﴾الرحمن﴾** في ضمن كتابة القرآن؛ لموثقة أبي بصير قال: "سألت أبا عبد الله عاشوراً عمن قرأ في المصحف وهو على غير وضوء. قال: «لا بأس، ولا يمس الكتاب (الكتاب)»"^(٤٥).

ولا يجوز مسها غير قرآنية - سواء قلنا إنها علم ونحوه على الذات الإلهية أو إنها كمفردة **﴾الرحيم﴾** صفة لها - للمحدث بالأكبر من الجنب وكذا الحائض على المشهور، أمّا الجنب فلموثقة عمّار بن موسى عن أبي عبد الله عاشوراً قال: «لا يمس الجنب درهماً ولا ديناراً عليه اسم الله..»^(٤٦)؛ فإن دلالتها عليه واضحة؛ إذ لا خصوصية عرفًا لحلّ الاسم من الدرهم والدينار، ولا معارض لها^(٤٧). وأمّا

الجائض فلمعتبرة داود بن فرقـ - بطريق الشيخ الكليني رحمه الله - عن أبي عبد الله علـ عليه السلام قال: "سألته عن التعويذ يعلـ على الجائض. قال: «نعم لا بـأس»، قال: وقال: تقرأه وتكتبه ولا تصيـبـه يـدـها»^(٤٨)، بتقرـيبـ أنـ نـهيـ الجـائـضـ عنـ إـصـابـةـ التعـويـذـ بيـدهـاـ بـقـتضـىـ منـاسـبـةـ الحـكـمـ لـلـمـوـضـوـعـ وـالـقـرـبـةـ الـخـارـجـيـةـ، وـهـيـ عـدـمـ حرـمـةـ مـسـهـاـ لـغـيرـ أـسـماءـ اللهـ المـكـتـوـبـةـ فـيـ الـعـوـذـةـ، كـلـفـظـ (أـعـوذـ) مـثـلاـ، فـيـتـعـيـنـ كـوـنـ الحـرـمـ مـسـهـاـ عـلـىـ الجـائـضـ هـوـ اـسـمـ اللهـ سـبـحـانـهـ.

ويتـوجـهـ عـلـىـ الـاسـتـدـلـالـ بـالـمـعـتـبـرـةـ مـنـاقـشـتـانـ، إـحـدـاهـماـ دـلـالـيـةـ، وـالـأـخـرـيـ سـنـدـيـةـ، أـمـاـ الـأـولـيـ فـلاـ إـطـلـاقـ لـلـمـعـتـبـرـةـ، بـلـحـاظـ وـجـودـ قـدـرـ مـتـيقـنـ فـيـ مـقـامـ التـخـاطـبـ لـلـفـظـ التـعـويـذـ، وـهـوـ عـبـارـةـ عـنـ الـمـعـوذـتـيـنـ، وـهـماـ مـنـ الـقـرـآنـ، فـيـكـونـ مـنـشـأـ حرـمـةـ المـسـ كـوـنـ التـعـويـذـ قـرـآنـاـ لـاـ مـجـرـدـ اـسـمـ اللهـ سـبـحـانـهـ.

وـأـمـاـ الـثـانـيـةـ فـلـاـ يـسـعـنـاـ الـاعـتـمـادـ عـلـىـ الـمـعـتـبـرـةـ؛ نـظـرـاـ لـوـحـدـتـهاـ مـعـ روـاـيـةـ دـاـوـدـ - بطـرـيقـ الشـيـخـ رحمـهـ اللهـ - الـتـيـ يـرـوـيـهـاـ عـنـ الإـمـامـ بـتـوـسـطـ رـجـلـ^(٤٩)؛ إـذـ مـنـ الـبعـيدـ تـلـقـيـ دـاـوـدـ لـلـرـوـاـيـةـ مـنـ الإـمـامـ عليـهـ السـلامـ مـرـةـ بـالـمـباـشـرـةـ، وـأـخـرـىـ بـالـوـاسـطـةـ، وـمـعـ التـرـدـيدـ بـيـنـ ماـ هـوـ الـحـجـةـ وـمـاـ لـيـسـ بـحـجـةـ فـلـاـ تـصـلـحـ الرـوـاـيـةـ دـلـيـلـاـ لـلـمـسـأـلـةـ^(٥٠). وـمـنـ الـغـرـيـبـ جـعـلـ الثـانـيـةـ مـؤـيـدـةـ لـلـأـولـيـ^(٥١).

وـكـذـاـ لـاـ يـجـوزـ مـسـهـاـ لـلـمـحـدـثـ بـالـأـصـغـرـ - بـنـاءـ عـلـىـ حـرـمـةـ مـسـهـاـ لـأـسـماءـ اللهـ سـبـحـانـهـ، بـلـ دـخـالـةـ لـقـصـدـ الـكـاتـبـ؛ فـإـنـهـاـ - أـعـنيـ مـفـرـدةـ (الـرـحـمـنـ)ـ مـنـ أـسـماءـ الـمـخـتـصـةـ بـهـ سـبـحـانـهـ، وـلـاـ فـرـقـ فـيـ حـرـمـةـ مـسـهـاـ عـلـيـهـ بـيـنـ حـرـوفـهـاـ أـجـمـعـ حـقـ الـأـلـفـ الـمـتوـسـطـةـ الـتـيـ أـسـقطـتـ فـيـ الـمـصـفـ الـعـثـمـانـيـ رـسـمـاـ لـوـ كـتـبـتـ بـهـذـاـ الرـسـمـ (الـرـحـمـانـ)ـ وـنـحـوـهـ؛ فـإـنـهـاـ جـزـءـ مـنـ الـمـفـرـدةـ - كـمـاـ تـقـدـمـ فـيـ الـفـرعـ الـأـوـلـ -، إـلـاـ أـنـ حـرـمـةـ مـسـ الـمـحـدـثـ بـالـأـصـغـرـ لـأـسـماءـ وـصـفـاتـ اللهـ سـبـحـانـهـ مـاـ لـاـ مـسـتـنـدـ لـهـاـ، فـرـاجـعـ، فـالـحـرـمـةـ مـبـنـيـةـ عـلـىـ الـاحـتـيـاطـ.



الفرع الثالث: حكم تسمية الغير بـ(الرحمن):

إنّ ما يمكن أن يساق لعدم جواز تسمية ما عدا الله سبحانه بـ(الرحمن) وجوه

ثلاثة:

الأول: قوله سبحانه في سورة مريم: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾^(٥٢)، بتقريب أنّ الآية تتحدث عن الشريك في الاسم، كما تقدم، وأنّ الاسم الذي تُنكِرُ الآية ثبوته لغير الله سبحانه هو ﴿الرَّحْمَنُ﴾، الذي تكرّر ست عشرة مرّة في نفس السورة، فهذا الاستفهام الاستنكاري كافٍ عرفاً في تحرير تسمية غير الله سبحانه بها شرعاً، فلا يجوز أن يسمّي غيره سبحانه به.

الثاني: ما عن الصادق عَلَيْهِ الْكَلَامُ أَنَّهُ قال: الرحمن اسمٌ خاصٌ بصفةٍ عامّة، والرحيم اسمٌ عامٌ بصفةٍ خاصة^(٥٣).

وفيه -بعد الاعتراف بظهوره في المنع- أنه لمكان إرساله لا يمكن التعويل عليه.

الثالث: لزوم الhtك، نظراً لكون تسمية من عداه سبحانه بها دخولاً في سلطانه.

ويلاحظ عليه أنه لا يخلو من المصادر، فتدبر.

الرابع: ما أفيد من استنكار المسلمين ذلك وامتناعهم عنه^(٥٤). وفيه أن امتناعهم كما يحتمل كونه لارتكاز المنع يحتمل كونه لداعٍ يرجع إلى الأدب مع الله تعالى، وأما أمر الاستنكار فهو فرع التسمية خارجاً، ولم تعهد.

فتتحقق قافية الآية خاصة للمنع الشرعي عن تسمية غيره بها، نعم تقدم عن أحد الأجلة قىئ نفي دلالة الآية على المنع الشرعي عنها حتى على تقدير دلالتها على نفي الشريك له في التسمية بها^(٥٥). وقد أفتى أحد الأعلام قىئ

بالجواز في جواب استفتاء إليك نصّه:

"هل يجوز التسمية بالرحمٰن؟ وإذا كان لا يجوز فهل يختص بالمعرَّف أم يشمل المكَر والمضاف؟ وما الدليل عليه؟"

بسمه تعالى: لا بأس في التسمية بالرحمٰن منكراً أو معرفاً أو مضافاً، والأفضل إضافة العبد إليه، «خَيْرُ الْأَسْمَاءِ مَا حَمْدٌ وَعَبْدٌ»^(٥).
والحمد لله أولاً وأخراً، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

الهوامش:

- (١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٢٠.
- (٢) تفسير تنسنيم ١: ٣٤٢، ٣٤٣.
- (٣) أشار إليه المحقق السيد مصطفى الخميني قائلًا، تفسير القرآن الكريم ١: ١٨٧.
- (٤) لفت السيد مصطفى الخميني قائلًا إلى احتمال اشتلاق مفردة «الرَّحْمَنُ» من الرحيم، وقال: "وهذا مما لا يقول به أحد بحسب اللغة والتبادر، ولكن قد وردت (كذا) في بعض المأثير ما يؤيد ذلك أو صريح فيه"، ثم ساق روايات أربع، الأولى رواية المعانى للصدوق عليه السلام: ٣٠٢، وهي - مضافاً إلى ضعفها بابن جمیع وغيره - تفيد أن الرحيم مشتقة من الرحمن لا العكس، والثانية رواية التفسير المنسوب للعسكرى عليه السلام، ولم يثبت، والأخيرتان عاميتان، فلا حظ تفسير القرآن الكريم ١: ١٩٠.
- (٥) انظر: نور الثقلين ١: ١٤ ح ٥٤.
- (٦) المصدر ح ٥٣.
- (٧) الكافي ١: ١١٤ كتاب التوحيد، باب ١٦ ح ١، التوحيد: ٢٣٠ ب ٣١ ح ٢، وعنه في نور الثقلين ١: ١٢ ح ٤٦.
- (٨) سورة يس: ٢٣.
- (٩) سورة الرحمن ٤٣ - ٤٥.
- (١٠) هذا على مني الفلاسفة من أن العذاب شيء، والله خالق كل شيء، ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ - سورة غافر: ٦٢، وكل مخلوق فهو حسن وخير؛ لقوله عز وجل: الَّذِي

أَخْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ - سورة السجدة: ٧ - فيلزم كون إفاضة العذاب رحمةً بالمعذب، فتأمل .

- (١١) تفسير تنسنيم ١: ٣٤٦، وكذا: ٣٤٣ - ٣٤٢ ذيل الهاشم .
- (١٢) انظر: البيان في تفسير القرآن: ٤٣٠، تفسير القرآن الكريم ١: ١٨٧ - ١٨٩ .
- (١٣) سورة مريم: ٤٥ .
- (١٤) سورة يس: ٢٣ .
- (١٥) مفاتيح الجنان: ٦٢٣ ط مؤسسة الإمام المنتظر عليه السلام - قم، سنة ١٤٢٥ هـ .
- (١٦) من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٠٥، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٠٣ ب ٦٨، تهذيب الأحكام ٦: ٨٩ كتاب المزار ب ٣٥ ح ١ .
- (١٧) سورة يس: ١٥ .
- (١٨) سورة يس: ٥٢ .
- (١٩) سورة مريم: ٦٥ .
- (٢٠) انظر: البيان في تفسير القرآن: ٤٣١ .
- (٢١) سورة مريم: ٧ .
- (٢٢) انظر: تفسير القرآن الكريم ١: ٢٢١؛ فإنه نفي دلالة الآية: **«هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِّيًّا»** على المنع الشرعي عن التسمية بـ **«الرَّحْمَنُ»** حتى على تقدير التسليم بأن المراد منه هو الشريك في الاسم، فكأنه لا يسلم ذلك.
- (٢٣) الشرح الكبير لابن قدامة ١١: ١٤٦، فتح الباري ٨: ٧٠، الكشاف للزمخشري ١: ٤٢، نعم يظهر من البعض أن مسيلمة قد تسمى بـ (الرحمن)، فكان يقال له: رحمان اليمامة، لاحظ: عمدة القاري للعیني ١٦: ١٥١، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٦١ .
- (٢٤) فتوح البلدان للبلاذري ١: ١٢٥ - الفقرة ٢٩٦ .
- (٢٥) سورة مريم: ٧٥ .
- (٢٦) سورة طه: ١٠٨ .
- (٢٧) سورة الأنبياء: ٤٢ .
- (٢٨) سورة مريم: ٨٨، سورة الأنبياء: ٢٦ .
- (٢٩) سورة الزخرف: ٢٠ .

- (٣٠) سورة الإسراء: ١١٠.
- (٣١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ٣: ١٧٠.
- (٣٢) الميزان في تفسير القرآن ٨: ٣٤٤.
- (٣٣) وإن صار إلى المعنى الثاني في موضع آخر ١٣: ٢٢٣ قائلاً: "فَالرَّادُ بِقُولِهِ ﴿اللَّه﴾ وَ ﴿الرَّحْمَن﴾ الاسمان الدالان على المسمى دون المسمى، والمعنى: ادعوا باسم الله أو باسم الرحمن، فالدعاء دعاؤه".
- (٣٤) سورة الفرقان: ٦٠.
- (٣٥) سورة الشعراة: ٢٣.
- (٣٦) الميزان في تفسير القرآن ١٥: ٢٣٤.
- (٣٧) سورة الرحمن: ١ - ٤.
- (٣٨) تفسير القمي ٢: ١١٥.
- (٣٩) سورة الفرقان: ٦٣.
- (٤٠) تفسير ابن عربى ٢: ٨٩.
- (٤١) تفسير القرآن الكريم ١: ٢٢٤.
- (٤٢) تفسير القرآن الكريم ١: ٢٢٣.
- (٤٣) تفسير القرآن الكريم ١: ٢٢٤.
- (٤٤) عائدة: أفاد السيد الأستاذ (سلمه الله) بأنه لو أوصى أو نذر أو شرط على نفسه كتابة القرآن أو أوقف مالاً على ذلك كان منصرفه الكتابة المعهودة، ولو شُكَّ في ذلك، ووصلت النوبة إلى الأصل العملي فيجري فيه الخلاف من أن المقام مورد استصحاب عدم التقيد بالكتابه المعهودة، أو استصحاب عدم سعة المجعل لما يشمل غيرها، أو من باب دوران الأمر بين التعين والتخيير، وقد فصل (سلمه الله)، ففي الوقف - حيث إنه على ما يقهه أهله - نشك في سعته، فنستصحب عدم سعة المجعل، وكذا في الوصية، وأماماً النذر والشرط ونحوهما فمرجعها إلى دوران الأمر بين التعين والتخيير، ومقتضى البراءة عن التعين هو التخيير.
- (٤٥) وسائل الشيعة ١: ٣٨٣ ب ١٢ من أبواب الوضوء ١. ولفظة (الكتابة) في نقل الاستبصار ١: ١١٣ ب ٦٨ ح ٢.
- (٤٦) وسائل الشيعة ٢: ٢١٤ ب ١٨ من أبواب الجنابة ١.

- (٤٧) انظر: التتفیح في شرح العروة الوثقی (ك الطهارة)= موسوعة الإمام الخوئی ت٢٣: ٣٠٥ .٣٠٦
- (٤٨) وسائل الشيعة: ٢: ٣٤٢ بـ ٣٧ من أبواب الحيض ح ١.
- (٤٩) وسائل الشيعة: ٢: ٣٤٣ بـ ٣٧ من أبواب الحيض ح ٤.
- (٥٠) كما اتفق من السيد الخوئی ت٢٣، انظر: التتفیح في شرح العروة الوثقی (ك الطهارة)= موسوعة الإمام الخوئی ت٢٣: ٣٤٠، بل نفس السيد الخوئی ت٢٣ ذكر روایة ابن أبي نجران ، وأشكال عليها بنفس الإشكال، انظر: التتفیح في شرح العروة الوثقی (ك الطهارة)= موسوعة الإمام الخوئی ت٢٣: ٤١٠ - ٤١٢ .
- (٥١) التتفیح في شرح العروة الوثقی (ك الطهارة)= موسوعة الإمام الخوئی ت٢٣: ٣٤٠ .
- (٥٢) سورة مریم: ٦٥ .
- (٥٣) انظر: نور الثقلین: ١: ١٤ ح ٥٤ .
- (٥٤) انظر: تفسیر القرآن الکریم: ١: ٢٢١ .
- (٥٥) تفسیر القرآن الکریم، للسيد مصطفی الحمیّی ت٢٣: ٢٢١ .
- (٥٦) إرشاد السائل - أجبوبة استفتاءات للسيد الكلبایکانی ت٢٣: ٢٠٠ (المسلأة ٧٤٧).



أثر فساد العقيدة في عدالة الراوي عند الفريقين

حسين فؤاد المزوق

اشتراط العدالة راوي الحديث من المسلمات عند علماء الفريقين^(١)، ويستدل لها عادة بمفهوم آية النبأ، ويقع الكلام في أثر فساد عقيدة الراوي في العدالة المطلوبة ليقبل خبره أو يرد.

المسألة الأولى: معنى العدالة المعتبرة في الراوي

وقع الاختلاف في مفهوم العدالة المعتبرة في الراوي بين علماء الفريقين، بل بين علماء المذهب الواحد، والكلام في أمرین:

الأمر الأول: مفهوم العدالة عند السنة

أولاً: مفهوم العدالة عند المحدثين:

العدالة المعتبرة في الرواية عند محدثي أهل السنة هي العدالة المعتبرة في الشاهد المذكورة في كتب الفقه، غاية الأمر تفترق عنها في عدم اشتراط الحرية والذكورة والتعدد^(٢)، ولذا قال السيوطي: "العدل أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سليماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة على ما حرر في باب الشهادات من كتب الفقه، وتخالفها في عدم اشتراط الحرية والذكورة"^(٣)، يقول ابن حجر العسقلاني: "العدل: من له ملحة تحمله على ملزمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة"^(٤)، وهذا التعريف للعدالة قد تابع فيه ابن حجر أبي حامد الغزالي الذي قال في تعريفها: "العدالة عبارة عن استقامة السيرة والدين، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملزمة التقوى والمروءة جميماً حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه"^(٥).

ثانياً: مفهوم العدالة عند الحنفية:

يقول الشوكاني: "واعلم أن العدالة شرط بالاتفاق، لكن اختلف في معناها، فمنذ الحنفية عبارة عن الإسلام وعدم الفسق، وعندنا ملحة في النفس تمنع من اقتراف الكبائر وصفائر الخسّة، كسرقة لقمة، والرذائل المباحة"^(٦). ويقول الخطيب البغدادي: "وزعم أهل العراق أن العدالة هي إظهار الإسلام، وسلامة المسلم من فسق ظاهر، فمتى كانت هذه حاله وجب أن يكون عدلاً"^(٧).

الأمر الثاني: مفهوم العدالة عند الشيعة

قد سرّى مشهور علماء الإمامية^(٨) مفهوم العدالة المعتبرة في الفقه -كعدالة

الشاهد وإمام الجماعة ومرجع التقليد - إلى الراوي، والتي هي عبارة عن "ملكة نفسانية راسخة باعثة على ملازمة التقوى، وترك ارتكاب الكبائر والإصرار على الصفائر، وترك ارتكاب منافيات المروءة الكاشف ارتكابها عن فلة المبالغة بالدين بحيث لا يوثق منه التحرّز عن الذنب"^(٩). وعرّفوا المروءة بأنّها "الاتصاف بما يحسن التعلّي به عادةً بحسب زمانه ومكانه و شأنه، فعلًا وتركاً، على وجه يصير ذلك له ملكة"^(١٠).

وإنما اشترطوا ذلك لعدم حجية خبر الفاسق ووجوب التثبت عند خبره والتبين منه كما دلت عليه آية النبأ، فصار عدم الفسق شرطاً لقبول الرواية، ومع المهل بالشرط يتحقق المهل بالشروط^(١١) وهو حجية الخبر، فلا يمكن القول بقبول قبول الفاسق.

إلا أن مشهور المتأخرین^(١٢) ذهبوا إلى أن العدالة المشروطة في الراوي غير العدالة المشروطة في إمام الجماعة والشهداء وغيرهما من القضايا التي تبحث في الفقه، وإنما المعتبر هو العدالة اللسانية بمعنى أن يكون الراوي ثقةً متحرزاً عن الكذب، فالعدالة المطلوبة هي العدالة المرتبطة بصدق القول فقط دون النظر لسائر الجهات، وهذا هو مذهب الشيخ الطوسي حيث قال: "فأمّا من كان مخطئاً في بعض الأفعال، أو فاسقاً بأفعال الجوارح، وكان ثقة في روايته، متحرزاً فيها، فإن ذلك لا يوجب رد خبره، ويجوز العمل به؛ لأن العدالة المطلوبة في الرواية حاصلة فيه، وإنما الفسق بأفعال الجوارح يمنع من قبول شهادته، وليس بمانع من قبول خبره، ولأن ذلك قبلت الطائفة أخبار جماعة هذه صفتهم"^(١٣).

وإلى هذا الرأي مال المعاصرون من محققين علماء الإمامية الذين تطور مفهوم العدالة لديهم، فإن هذا هو مقتضى السيرة العقلائية المضادة، بل هو مقتضى آية النبأ أيضاً بتقرير أن المراد بالفاسق في الآية هو الفسق الخبري أي غير الثقة لا

الفسق الشرعي وذلك لمناسبات الحكم والموضوع "حيث أن الفسق الخبري هو الميزان المناسب في التوقف والثبت عن أخبار المخبر خصوصاً، وكلمة الفاسق لم يكن بعد قد اصطلح فيها على المعنى الشرعي، وإنما كان يراد بها المعنى اللغوی العام من مطلق الانحراف والمرور فيعین بمقتضى المناسبات المذكورة في الانحراف في مقام الإخبار المساوٍ مع عدم التورع عن الكذب والافتراء، وثانياً: نستظير أن المراد الفسق الخبري بقرينة التعليل في ذيلها بالجهالة التي تكون بمعنى السفاهة جزماً أو احتمالاً على أقل تقدير، والسفاهة إنما تكون في التعويل على خبر غير الثقة لا الثقة وإن كان فاسقاً من سائر الجهات"^(١٤).

وعلى هذا الأساس "فإنه لا يعتبر في الراوي بما هو راوٍ أزيد مما يعتبر في سائر الإخبارات والحكایات، فإن الروایة مصدق من مصاديق الخبر والحكایة، ولا يعتبر فيه عند العقلاء والشّارع أزيد من الوثاقة الموجبة للاعتماد بصدق الراوي، وعدم تعمده للكذب وبيان خلاف الواقع"^(١٥).

المسألة الثانية: أثر فساد العقيدة في عدالة الراوي

الأمر الأول: أثر فساد العقيدة في عدالة الراوي عند السنة

اتفقت كلمات علماء السنة على أن الإعراض عن عقيدة السنة موجب لفسق الراوي في الجملة بل كفره في بعض الموارد، ويطلق على كل من خالف عقيدة السنة بأهل الأهواء أو المبتدعة، قال ابن حجر: "العدل: من له ملامة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة"^(١)، وقال محمد ابن الوزير عند تعريفه للعدالة: "هي محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة، ليس معها بدعة... وقولنا ليس معها بدعة ليخرج المبتدع، إذ هؤلاء ليسوا عدولًا"^(١٧).

أقسام البدعة

قسمت البدعة في كلماتهم إلى عدة تسميات، والمهم منها في بحثنا هو ما يرتبط بقبول خبر الرواية من عدمه، وقد اهتم علماء السنة بالبدعة المحرمة من حيث كونها مكفرة أو غير مكفرة -أي مفسقة فقط-، وأثر ذلك على الرواية، فمن هنا نجمل البحث في هذين القسمين:

القسم الأول: البدعة المكفرة

البدعة المكفرة هي ما ارتكب صاحبها مخالفًا لضروري من ضروريات الدين الثابتة بالتواتر، ومثل ذلك بالجسمة والغلاة من معتقدي حلول الألوهية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد اختلفت كلماتهم في قبول روایة المبتدع المكفر ببدعته إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: رد روايتهم مطلقاً: وهو قول جمهور علماء أهل السنة، بل ادعى غير واحد الاتفاق عليه، أمثال النووي حيث قال: "من كفر ببدعته لم يتحتاج به بالاتفاق"^(١٨).

القول الثاني: قبول روايتهم مطلقاً: وهذا القول نقله السيوطي فقال: "قيل يقبل مطلقاً"^(١٩)، إلا أنه لم يصرّح بالقائل.

القول الثالث: تقبل روايتهم إن اعتقدوا حرمة الكذب: وذهب إلى هذا القول أمثال أبو الحسين البصري، وفخر الدين الرازي، قال أبو الحسين البصري المعتزلي: "وال الأولى أن يقبل خبر من فسوق وكفر بتأويل إذا لم يخرج من أهل القبلة"^(٢٠)، وقال فخر الدين الرازي: "المخالف من أهل القبلة إذا كفرناه كالمجسم وغيره، هل تقبل روايته أم لا؟ الحق أنه إن كان مذهبـه جواز الكذب لم تقبل روايته، وإنـا قبلناها، وهو قول أبي الحسين البصري"^(٢١).

والذي ينبغي أن يقال هو لابدية التثبت والترير ومراعاة الاحتياط التام قبل تكثير أهل القبلة من المسلمين، خلافاً لما درج عليه كثير من دأبوا على رمي المسلمين بالكفر والشرك والزندقة، لمجرد التشفي والحدق والانتقام.

ولهذا قال ابن حجر: "التحقيق أنه لا يرد كل مكفر ببدعته، لأن كل طائفة تدعى أن مخالفتها مبتدةعة، وقد تبالغ فتكرر مخالفتها، فلو أخذ ذلك على الإطلاق لاستلزم تكثير جميع الطوائف. فالمعتمد أن الذي ترد روایته من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة، وكذا من اعتقد عكسه، فاما من لم يكن كذلك وانضم إلى ذلك ضبطه لما يرويه مع ورعيه وتقواه فلا مانع من قبوله" ^(٢٢).

فأين هذا الكلام مما قاله متطرف في علمائهم، كقول البخاري: "ما أبالي صليت خلف الجهمي، أو الراضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم، ولا يعادون، ولا ينأكلون ولا يشهدون، ولا تؤكل ذبائحهم" ^(٢٣).

وقول ابن حزم الظاهري: "الروافض ليسوا من المسلمين إنما هي فرق حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة، وكان مبدأها إجابة من خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام، وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر" ^(٢٤). وهذا هو ابن تيمية ينقل عن أحمد بن يونس أنه قال: "لو أن يهودياً ذبح شاة، وذبح راضي، لأكلت ذبيحة اليهودي ولم آكل ذبيحة الراضي؛ لأنه مرتد عن الإسلام" ^(٢٥).

القسم الثاني: البدعة المفسقة

البدعة المفسقة تشمل كل المسائل العقائدية والكلامية التي اختلف حولها المسلمون، وصاروا بها فرقاً وطوائف، وكل من اعتقد بما يخالف ما عليه المحدثون من عقائد ومتبييات عدّ مبتداعاً فاسقاً ببدعته ويطلق عليه الفاسق بالتأويل في قبال الفسق العمد بأفعال الجوارح. وقد اختلفوا في قبول روایته على عدّة

مسارب وأقوال:

القول الأول: لا تقبل روایته مطلقاً.

وإليه ذهب مالك بن أنس، ومحمد بن سيرين، وسفيان بن عيينة، والقاضي أبو بكر الباقياني وأتباعه، قال ابن حجر: "فالمانع من قبول روایة المبتدة الذين لم يكفروا بيدعهم كالرافضة والخوارج ونحوهم، ذهب إليه مالك وأصحابه والقاضي أبو بكر الباقياني وأتباعه" ^(٢٦).

دليله:

استدلوا على ذلك بأن الفسق مأخوذ في حد العدالة فلا يؤخذ بحديثه إذ الفاسق بالتأويل بثابة الفاسق العائد فيجب أن لا يؤخذ بروايته ^(٢٧)، ولذا يقول محمد بن سيرين: "لم يكونوا يسألون عن الأسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا سمووا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع، فلا يؤخذ حديثهم" ^(٢٨).

مناقشته:

رد ابن الصلاح هذا القول واصفاً إياه بأنه "بعيد مباعد للشائع عن أئمة الحديث، فإن كتبهم طافحة بالرواية عن المبتدة غير الدعاة، وفي الصحيحين كثير من أحاديثهم في الشواهد والأصول" ^(٢٩).

وقد سرد السيوطي أسماء من رمي بدعنته، من أخرج لهم البخاري ومسلم، أو أحدهما فبلغوا ثلاثة وثمانين رواياً ^(٣٠).

القول الثاني: تقبل روایة المبتدع إذا لم يكن من يستحل الكذب في نصرة مذهبها، أو لأهل مذهبها، سواء دعى بدعنته أو لا.

وذهب إلى هذا القول محمد بن إدريس الشافعي، وابن أبي ليلى، وسفيان

الثوري، وأبي حنيفة، وأبي يوسف القاضي^(٣١)، يقول الشافعي: "وتقيل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم"^(٣٢). وقال أيضاً: "ما في أهل الأهواء قوم أشهد بالزور من الرافضة"^(٣٣).

مناقشه: ما ذكروه من اشتراط عدم استحلال الرواية للكذب كشرط أساس في قبول روایة المبتدع لا محصل له، لأنّه من ضروريات نقد الرواية وبدليهياته، قال أحمد محمد شاكر: "وهذا القيد -أعني عدم استحلال الكذب- لا أرى داعياً له؛ لأنّه قيد معروف بالضرورة في كل راوٍ، فإننا لا نقبل روایة الرواية الذي يعرّف عنه الكذب مرة واحدة، فأولى أن نرد روایة من يستحلل الكذب، أو شهادة الزور"^(٣٤).

القول الثالث: التفريق بين المبتدع الداعية إلى بدعته، والمبتدع غير الداعية.

فتقبل روایة المبتدع غير الداعية إلى بدعته سواء روى ما يقوّي عقيدته أم لا، ولا تقبل روایة الداعية، وهو مذهب أحمد بن حنبل وأكثر الحدّثين، بل ادعى عليه الإجماع، قال ابن حبان: "الداعية إلى البدع لا يجوز أن يحتاج به عند أئمتنا قاطبة، ولا أعلم بينهم فيه خلافاً"^(٣٥). لكن اقتصر ابن الصلاح على عزو هذا القول إلى الكثير أو الأكثـر، فقال: "وقال قوم تقبل روایته مالم يكن داعية، ولا يقبل إذا كان داعية، وهذا مذهب الكثير أو الأكثـر من العلماء، وهو أعدل المذاهب وأولاها"^(٣٦).

ويقول أبو داود السجستاني: "قلت لأحمد بن حنبل: يكتب عن القدري؟ قال: إذا لم يكن داعياً"^(٣٧).

دليله:

مدرك هذا القول أن الداعي إلى البدعة المريض على نشرها، قد لا يتورع عن الكذب لترويجها، بخلاف غيره، يقول الخطيب البغدادي: "إنما منعوا أن يكتب عن الدعـاة خوفاً من أن تحملهم الدعـوة إلى البدعـة والترغـيب فيها على وضع ما

يحسّها، كما حكى أن خارجيًا تاب، فكان يقول: كُلَا إذا هوبنا أمراً صيرناه
Hadith^(٣٨).

مناقشه:

وهذا التفصيل من جهة مخالف لما قرروه أنفسهم من اشتراط الخلو من البدعة في تعريف العدل، فمع كون الراوي فاسقاً خارجاً عن العدالة المطلوبة في الرواية كيف يفصل في حقه فيقبل خبر الفاسق غير الداعي لمعتقده دون غيره، وهذا التناقض أشار الأمير الصنعاني بقوله: "العدالة شرط للراوي، وقد عرفت أن ترك البدعة من ماهية العدالة، فالعدل لا يكون عدلاً إلا باجتناب البدعة بأنواعها، ولا يخفى أن هذا يناقض ما قرره الحافظ من القول بقبول المبتدع، مناقضة ظاهرة"^(٣٩).

ولهذا التهافت الواضح خصّ فريق منهم البدعة التي تخرج صاحبها عن العدالة بما إذا كان صاحبها يدعو إلى بدعته، يقول الحاكم النيسابوري: "وأصل عدالة المحدث أن يكون مسلماً لا يدعو إلى بدعة، ولا يعلن من أنواع المعاشي ما تسقط به عدالته"^(٤٠).

ومن جهة أخرى تفصيلهم هذا مخالف للواقع الخارجي، فإذا سربنا كتب الحديث وبالخصوص الصحيحين، سنصطدم بواقع حاصله أنهم أخرجو الكثير من أهل الأهواء والبدع من الذين كانوا يدعون إلى معتقدهم، ففي الوقت الذي كانوا يتجنبون أشد الاجتناب رواة الشيعة، نراهم يلهثون وراء أخبار الخوارج والنواصب، فها هو البخاري يُسأل: "لم تركت حديث أبي الطفيلي عامر بن واثلة؟" فيقول: لأنك كان يفترط في التشيع"^(٤١)، ونجده من جهة أخرى يروي^(٤٢) عن عمران بن حطّان السدوسي، الذي كان من رؤوس الصفرية من الخوارج، وهو الذي رثى عبد الرحمن بن ملجم المرادي أشقي الآخرين، وفيه يقول ابن حجر: "كان عمران داعية إلى مذهبة، وهو الذي رثى عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي عليهما السلام، بتلك

الأبيات^(٤٣).

وهذه الأبيات ذكرها الذهبي^(٤٤) وهي:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حيناً فأحسبه أوفي البرية عند الله ميوانا
أكرم بقوم بطون الطير قبرهم لم يخلطوا دينم بغياً وعدوانا
قال الزركشي: "قيل: والدعاة، منهم: عمران بن حطان الخارجي، مادح عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب^{حَذَّرَهُ} وهذا من أكبر الدعوة إلى البدعة، خرج عنه البخاري"^(٤٥).

فعمران هذا قد أخرج له البخاري وهو أصح الكتب لديهم، ووثقّوه^(٤٦)، وما هو إلا جمرة من جمار جهنم بل هو داعية إلى نار مؤصدة، ولنعم ما صدحت به قريحة محمد بن عقيل عند تصديه للرد على توثيق ابن حطان هذا بعد ذكره للأبيات السابقة بقوله: "لا يشك مسلم أن هذه الأبيات أشد إيلاماً للنبي ولوصيه عليهما الصلاة والسلام وعلى آلهما الكرام من تلك الضربة، فمن الوقاحة والإيذاء للنبي ولوصيه ذكر ابن ملجم وعمران ومن على شاكلهما بغير اللعن ممن يدعى الإسلام"^(٤٧).

فهذه القاعدة كغيرها من القواعد، لا تتجاوز مرحلة التنظير، أما لو نظرنا إلى واقع رواة الصاحب عندهم سبجدوها مليئة بأهل الأهواء والبدع من النواصب الذين يدعون إلى بدعهم، مما يؤذن عن الهوى والتشهي في نقل الأخبار وتوثيق الرواية، وهذه المعضلة وقفوا موقف التحير بإزائها ومن هنا قال طاهر الجزائري: "وقد احتاج الشیخان بالدعاة أيضاً، وقد وقع لأناساً ممن يفرقون بين الداعية وغيره حيرة في ذلك"^(٤٨).

وقد أبرز ابن حزم دليلاً لطيفاً على فساد القول بالتفريق بين الداعية وغيره، حيث قال: "وقد فرق جماهير أسلافنا من أصحاب الحديث بين الداعية من أهل الأهواء وغير الداعية، فقالوا: إن الداعية مطرح وغير الداعية مقبول، وهذا قول في غاية الفساد، لأنه تحكم بغير دليل، ولأن الداعية أولى بالخير وحسن الطن، لأنه ينصر ما يعتقد أنه حق عنده، وغير الداعية كاتم للذى يعتقد أنه حق، وهذا لا يجوز؛ لأنه مقدم على كتمان الحق، أو يكون معتقداً لشيء لم يتيقن أنه حق، فذلك أسوأ وأقبح، فسقط الفرق المذكور، وصح أن الداعية وغير الداعية سواء"^(٤٩).

وبين ابن الصديق المغربي النكتة الجوهرية في الخدشة على هذا القول ببيان السبب الحقيقى الذى على أساسه ترد رواية الراوى أو تقبل، وهو الورع والتقوى الصدق أو انتفاؤها، لا مجرد كونه داعية، أو غير داعية، فيقول: "فإن الداعية لا يخلو أن يكون ديناً ورعاً أو فاسقاً فاجراً، فإن كان الأول فدينه وورعه يمنعه من الإقدام على الكذب، وإن كان الثاني فخبره مردود لفسقه وفجوره لا لدعوته، فبطل هذا الشرط من أصله"^(٥٠).

القول الرابع: تقبل رواية المبتدع غير الداعية بشرط أن لا يروي ما يقوى به بدعته.

وهذا القول يشتراك مع القول السابق في اشتراط عدم الدعوة إلى البدعة ولكنه أخص منه من جهة أنه يرفض رواية غير الداعي إلى بدعته إذا روى ما يقوى به بدعته، ومبتكر هذه النظرية هو أبو إسحاق الجوزجاني شيخ أبي داود والن sai، حيث قال: "ومنهم زائف عن الحق، صدوق اللهجة، قد جرى في الناس حديثه، إذ كان مخدولاً في بدعته، مأموناً في روايته، فهو لاء ليس فيهم حيلة إلا أن يؤخذ من حديثهم ما يعرف إذا لم يقو به بدعته فيتهم عند ذلك"^(٥١).

ووافقه ابن حجر على هذا القول حيث عقب على كلامه قائلاً: "ما قاله

الجوزجاني متوجه، لأن العلة التي لها رد حديث الداعية واردة فيما إذا كان ظاهر المروي يوافق مذهب المبتدع ولو لم يكن بداعية^(٥٢).

مناقشة:

نظريّة الجوزجاني هذه من الغرابة بمكان، إذ بعد اتصاف الراوي بكونه صدوق اللهجة مأموناً في روایته لا يفرق في الروايات التي يرويها لعدم احتمال الكذب، فكيف يرمي الصدوق بالكذب، والأمين بالخيانة؟ وقد أشار الحافظ ابن الصديق المغربي إلى هذا العجب العجاب بقوله: "فانظر كيف اعترف بأنه [الراوي غير الداعية] صدوق اللهجة مأمون الرواية، ثم اتهمه مع ذلك بالكذب والخيانة مما هو تناقض محسن، وتضارب صريح"^(٥٣).

ولكن إذا عرفنا من هو الجوزجاني يتضح سبب وضعه لهذه القاعدة فينجلي الاستغراب، فالجوزجاني هذا معروف بنصبه وعداؤه لأمير المؤمنين عليه السلام، وقد استخدم هذه القاعدة لرد جل ما ورد في فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، من هنا يكمل المغربي كلامه السابق في كلامه عن قاعدة الجوزجاني المتناقضة قائلاً: "ليؤسس بذلك قاعدة التحكم في مرويات المبتدع الذي قصد به المتشيع من قبول ما كان منها في الأحكام وشبهها، وردّ ما كان منها في الفضائل حتى لا يقبل في فضل على حديث، وهذا الشرط لو اعتُبر لأفضى إلى رد جميع السنة"^(٥٤).

وهنا أنقل كلمات علماء أهل السنة أنفسهم في حق هذا الرجل -الذي يعتبر عندهم إمام في الجرح والتعديل - وفي حق قاعدته.

قال ابن حجر: "الجوزجاني كان ناصبياً منحرفاً عن علي، فهو ضد الشيعي المنحرف عن عثمان... ولا ينبغي أن يسمع قول مبتدع في مبتدع"^(٥٥).

وقال عبد الرحمن بن يحيى اليماني: "أول من نسب إليه هذا القول إبراهيم بن

يعقوب الجوزجاني وكان هو نفسه مبتدعاً منحرفاً عن أمير المؤمنين علي، متشددأً في الطعن على التشيعين... والجوزجاني فيه نصب وهو مولع بالطعن في التشيعين كما مر، ويظهر أنه إنما يرمي بكلامه هذا إليهم... فكان الجوزجاني لما علم أنه لا سبيل إلى الطعن في هؤلاء وأمثالهم مطلقاً حاول أن يتخلص مما يكرهه من مروياتهم وهو ما يتعلق بفضائل أهل البيت^(٥٦).

وقال ابن الصديق المغربي: "أما اشتراط كونه روى ما لا يؤيد بدعته، فهو من دسائس النواصب التي دسوها بين أهل الحديث، ليتوصلوا بها إلى إبطال كل ما ورد في فضل علي عليه السلام"^(٥٧).

واختتم بكلام عبد العزيز الغماري حيث قال: "أول من أظهر هذه الزيادة، وهي أن الشيعي الثقة لا يقبل حدثه المؤيد لمذهبه وأدخلها في تقييد حديث الشيعي الثقة، أبو إسحاق الجوزجاني، وهو ناصبي مشهور، له صولات وجولات وتهجمات شائنة في القدح في الأئمة الذين وصفوا بالتشيع، حتى دعاه ذلك إلى الكلام في أهل الكوفة كافة، وأخذ الحذر منهم ومن روایاتهم، وهذا معروف عنه، مشهور له، حتى نصوا إلى عدم الإلتقاء إلى طعنه في الرجال الكوفيين، أو من كان على مذهبهم في التشيع، لأنه خارج عن هوی وتعصب وغرض، ولأجل ذلك لم يلتفت إلى زياسته هذه في تقييد حديث الشيعي الثقة"^(٥٨).

فبعد ما تقدم، يمكن لنا القول بأن هذه القاعدة الفاسدة إن كان لها مصداق فهو الجوزجاني نفسه فهو حريري المذهب على رأي حريز بن عثمان^(٥٩)، المعروف بنصبه وعدائه لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وقد كان يسب علياً ويلعنه^(٦٠)، فالجوزجاني متهم في وضعه لهذه القاعدة، ولا يمكن أن تقبل منه لأنه يدعو إلى بدعته وهي النصب، ووضع هذا ليقوّي بدعته، فانقلب السحر على الساحر، من هنا توقف الحفاظ والعلماء في جرحه لأهل الكوفة لوجود الاختلاف العقائدي

بينه وبينهم، فهم على محبة علي وأهل بيته عليهما السلام وهو على عدائه ونصلبه وانحرافه عنهم.

القول الخامس: التفصيل بين البدعة الصغرى والبدعة الكبرى.

فمن كانت بدعته صغرى يقبل خبره إن كان صدوقاً، ومن كانت بدعته كبرى لا يقبل خبره ولا يحتاج به.

وذهب إلى هذا التفصيل الذهبي حيث يقول في ترجمة أبان بن تغلب الكوفي: "شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته. وقد وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو حاتم، وأورده بن عدي وقال: كان غالياً في التشيع. فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع، وحد الثقة العدالة والإتقان؟ فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بيعة؟

وجوابه: أن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كفنو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرق، فهذا كثير في التابعين وأتباعهم مع الدين والورع والصدق فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بيّنة.

ثم بيعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والحط على أبي بكر وعمر والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتاج بهم ولا كرامتهم".^(١)

التفريق بين الشيعي والرافضي

يستفاد من عبارة الذهبي السابقة أن مجرد التشيع، وهو حبٌ على وتقديره على عثمان في أقل تقدير يعد هذا بيعة في نظر الذهبي وإن كانت صغرى، وأما الرفض الكامل وهو الحط من الخليفتين أبي بكر وعمر، كما يمثل الذهبي بقوله بيعة كبرى، ومن هنا يأتي التفريق في كلماتهم بين الشيعي والرافضي، فقوله العامة فلان شيعي أو يتبع أعم من الإمامية وإنما المراد له الرافضي أو الشيعي الغالي.

ولهذا التفريق شواهد في كلماتهم: منها: قال ابن عبد ربه الأندلسى:
”والشيعة... وهم الذين يفضلون علياً على عثمان ويتولون أبا بكر وعمر“^(٦٢).

ومنها: أنهم عدوا الحاكم النيسابوري من الشيعة، يقول في حقه الذهبي: ”أما انحرافه عن خصوم علي فظاهر، وأما أمر الشيختين فمعظم لهما بكل حال، فهو شيعي لا رافضي“^(٦٣).

ومنها: قال يحيى بن سعيد القطان: ”كان محمد بن إسحاق والحسن بن ضمرة وإبراهيم بن محمد كل هؤلاء يتبعون ويقدمون علياً على عثمان“^(٦٤).

وأما الشيعي الغالي أو الرافضي (الشيعي بالمعنى الأخص) فهو من رفض إماماة الشيختين، يقول علي بن إسماعيل الأشعري: ”وانما سموا رافضة لرفضهم إماماً أبي بكر وعمر، وهم مجتمعون على أن النبي نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه“^(٦٥).

فليس كل شيعي رافضي، وإنما خصوص من يقدم علي بن أبي طالب عليهما السلام على الشيختين يكون رافضياً، فطائفة الشيعة الذين يؤمنون بالإمامنة ناصاً ووصية هم الروافض.

والمحظوظ بالذكر أننا معاشر الإمامية نفترض بهذا النعت ولا نعده أمراً مشيناً بل مدحأً في حقنا فقد، ورد عن أبي بصير أنه قال: «قلت لأبي جعفر عليهما السلام: جعلت فداك اسم سميـنا به استحلـت به الولاـة دماءـنا وأموـالـنا وعذـابـنا، قال: وما هو؟ قال: الرافـضة، فقال أبو جعـفر عليهما السلام: إن سبعـين رجـلاً من عـسـكـر فـرـعـون فـأـتـوا مـوسـى عليهـما السلام فـلـمـ يـكـنـ فـي قـوـمـ مـوسـى عليهـما السلام أحـدـ أـشـدـ اـجـتـهـادـاً وـلـأـشـدـ حـبـاً لـهـارـونـ مـنـهـمـ، فـسـمـاـهـمـ قـوـمـ مـوسـى الرـافـضـةـ، فـأـوـحـىـ اللـهـ إـلـىـ مـوسـىـ: أـنـ ثـبـتـ لـهـ هـذـاـ إـلـمـ فـيـ التـورـةـ فـإـنـيـ قـدـ نـخـلـتـهـمـ، وـذـلـكـ اـسـمـ قـدـ نـخـلـكـمـوـهـ اللـهـ»^(٦٦).

وإذا تتبعنا كلماتهم في نعت الروافض (الشيعي بالمعنى الأخص) نجد أنها مليئة

بالسباب والفحش من القول مما يستتبع ذكره، فلم يكتفوا بتضييفهم بل بالغوا في توصيفهم بـألفاظ نابية تج الآذان سمعها، وتنفر منها النفوس الطاهرة، فها هي عبارتهم تكشف عن بعدهم عن أخلاق الإسلام وتعاليمه السامية، فقد ذكر الذهبي في ترجمة عمران بن مسلم الفزاروي الكوفي قول أبي أحمد الزبيري فيه: "رافض، كأنه جرو كلب!" ثم قال الذهبي تعقيباً على ذلك: "قلت: خراء الكلب كالرافضي!!"^(٦٧). وقال الذهبي في حق عبد الرحمن بن يوسف المعروف بابن خراش المروزي، بعد نقل كلام أبو زرعة في حقه أنه: "خرج ابن خراش مثالب الشيختين" فقال الذهبي مخاطباً إياه: "فأما أنت أيها الحافظ البارع الذي شربت بولك، إن صدقت في الترحال فما عذرك عند الله؟ مع خبرتك بالأمور، فأنت زنديق معاند للحق، فلا رضي الله عنك. مات ابن خراش إلى غير رحمة الله سنة ثلاثة وثمانين ومائتين"^(٦٨).

دليله:

استدل الذهبي وغيره لرد روایة الرافضی لأنّه ساب للشیختین متبرئاً منهما فهو ضال مغتر^(٦٩)، وهذا دلیل السیوطي أيضاً حيث قال: "الصواب أنه لا يقبل روایة الرافضة، وساب السلف، لأن سباب المسلم فسوق، فالصحابة والسلف من باب أولى"^(٧٠). وأخرج الخطیب البغدادی بسنده إلى أبي زرعة يقول: "إذا رأیت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق"^(٧١) وقال الذهبي: " فمن طعن فيهم أو سبهم، فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين"^(٧٢).

مفارة عجيبة

- ساب علي ابن أبي طالب ظلليلة ثقة.

بعد أن أسسوا القاعدة التي مفادها عدم قبول روایة ساب الصحابة فهو ذو

بدعة كبرى، فنسألهم هل تعدون من سب علي بن أبي طالب عليه السلام وحط من قدره صاحب بدعة كبرى؟

حاشا وكلا، فقد عدّوا من أوثق الرواة وأصدق الأنام، فها هو الذهبي يروي عن أبي داود صاحب السنن أنه قال: "ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الغوارج، ثم ذكر عمران بن حطآن وأبا حسان الأعرج".^(٧٣)

وها هو جمال الدين المزي يروي سب علي بن أبي طالب على لسان حريز بن عثمان حيث روى: "عن إسماعيل بن عباس، قال: عادلت حريز بن عثمان من مصر إلى مكة، فجعل يسب علياً ويلعنه، [ومن] يحيى بن المفيرة، قال: ذكر جرير أن حريز كان يشتم علياً على المنابر".^(٧٤)

فهذا الساب لعلي عليه السلام من الثقات المأمونين على دين الله والمستحفظين على شريعة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فعن أبي داود: "سألت أحمد بن حنبل عن حريز، فقال: ثقة، ثقة، ثقة، وقال الحسين بن إدريس الأنباري، عن أبي داود: سمعت أحمد، قال: ليس بالشام أثبت من حريز...[و] عن يحيى بن معين: ثقة... وسئل علي بن المديني عن حريز بن عثمان، فقال: لم يزل من أدركناه من أصحابنا يوثقونه.. وقال أحمد بن عبد الله العجمي: شامي ثقة".^(٧٥)

- ساب الصحابة كذاب

وأما من شتم الشيوخين أو عثمان، بل حتى الشاتم لطلحة ومعاوية يعد عندهم كذاب أشر ودجال مفتر، ففي الكامل لا بن عدي الجرجاني عن ابن معين، قال: "وكل من شتم عثمان أو أحداً من أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه دجال فاسق ملعون، لا يكتب حدثه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".^(٧٦)

وقال ابن معين في ترجمة تليد بن سليمان الحاربي: «كذاب يشتم عثمان، وكل من يشتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه دجال لا يكتب



عنه.....»^(٧٧). فما لكم كيف تحكمون؟؟؟

ولهذه الازدواجية وقف ابن حجر موقف المتأخر مبدياً استغرابه لهذا التناقض الصارخ بين النظرية والتطبيق حيث يقول: "وقد كنت أستشكل توثيقهم الناصبي غالباً وتوهينهم الشيعي مطلقاً، ولا سيما أن علياً ورد في حقه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق"^(٧٨).

هذا كله أوقعهم في مأزق وحرج كبير استدعى منهم أن يكثروا هذه الحالة الشاذة وينظروا لها ويوجهوها بما ينسجم مع الذهنية الإسلامية العامة.

تبرير هذه المعضلة

من هنا صاروا بصد طرح عدة توجيهات نظرية لهذه الإشكالية القائمة فقد حاولوا التفصي عن هذه الفضيحة والتشبث بذرائع أوهن من بيت العنكبوت؛ فقالوا أن الشيعة يؤمدون بالتقىة فتحملهم تقىتهم على وضع الأحاديث كذباً، قال الذهبي: "فما استحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقاً ولا مأموناً، بل الكذب شعارهم والتقىة والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من كان هذا حاله؟ حاشا وكلًا"^(٧٩).

بخلاف النواصب والخوارج فهم يتحرزون عن الذنوب والمعاصي، يقول ابن حجر: "فأكثر من يوصف بالنصب يكون مشهوراً بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة، بخلاف من يوصف بالرفض، فإنّ غالبيهم كاذب لا يتورع في الأخبار"^(٨٠).

المناقشة: لا يمكن لذى عقل سوى وسليقة مستقيمة أن يستوعب أن المبغض من أحبه الله وأمر بحبه، وأحبه رسول الله وجعله بنزلة هارون من موسى^(٨١) متمسكاً بأمور الديانة؟! خصوصاً الخوارج الذين قد وردت في شأنهم روایات صحيحة تشير إلى انحرافهم وضلالهم، وأنهم كلاب النار، وأنهم يرثون من الإسلام كما يرق السهم من الرمية^(٨٢). وتركهم أهم الواجبات الإسلامية

الضرورية وهي مودة أهل البيت عليهم السلام، التي نادى بها صريح القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَاَ اسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٨٣).

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي عليه السلام إلى أن لا يجني إلا مؤمن ولا يغضفي إلا منافق»^(٨٤)، ومن المعلوم أن الكذب صفة ملازمة للمنافق بنص كتاب الله العزيز والحديث الشريف، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(٨٥). وورد أن «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان»^(٨٦).

ثم إن كلامهم بتحرز الخوارج عن الكذب مناف للواقع الخارجي حيث تقدم سابقاً نقل الخطيب البغدادي أن "خارجياً تاب، فكان يقول: كذا إذا هوبنا أمراً صيرناه حديثاً"^(٨٧)، فقد شهد شاهد من أهلهما فيها هو خارجي يقر بأنهم كانوا يكذبون، وإقرار العلاء في حق أنفسهم نافذ.

هذا مضافاً إلى المنافاة الصارخة لشرطية العدالة بنحو الملكة التي اشترطت في الحديث المقبول، إذ أن العدالة ساقطة بارتكاب الكبيرة والإصرار على الصغيرة ولو كان صادق اللسان^(٨٨)، ولا كبيرة أكبر من النصب والعداء لآل الرسول عليهم السلام. وأما ادعاؤهم أن الروافض يضعون الأحاديث كذباً بقتضي عقيدة التقية لديهم، فهو افتراء وبهتان، فإن كانوا يعلمون بحقيقة التقية ومع ذلك نسبوا ذلك إلى الشيعة فتلك مصيبة، وإن كانوا لا يعلمون فال المصيبة أعظم.

هذا مع تشديد أئمتنا على الصدق ونبذ الكذب فقد روى الصفار بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «رحم الله جابر بن يزيد الجعفي كان يصدق علينا، ولعن الله المغيرة بن شعبة كان يكذب علينا»^(٨٩).

القول السادس: تقبل رواية المبتدع مطلقاً ما دام صادق اللهجة، من دون تفصيل.

ومن ذهب إلى هذا القول العز بن عبد السلام، قال: "لا ترد شهادة أهل الأهواء؛ لأن الثقة حاصلة بشهادتهم حصولها بشهادة أهل السنة، ومدار قبول الشهادة والرواية الثقة بالصدق، وذلك متحقق في أهل الأهواء تتحقق في أهل السنة".^(٩٠)

ومال إلى هذا القول بعض المعاصرين، أمثال أحمد محمد شاكر، حيث قال بعد أن ذكر الأقوال في حكم رواية المبتدع وردتها: "وهذه الأقوال كلها نظرية والعبرة بصدق الراوي وأمانته والثقة بيديه وخلقه، والمتبوع لأحوال الرواية يرى كثيراً من أهل البدع موضعأ للثقة والاطمئنان، وإن رووا ما يوافق رأيهم".^(٩١)

وانتصر لهذا الرأي أيضاً ناصر الدين الألباني، قال: "والتشيع لا يضر في الرواية عند المحدثين؛ لأن العبرة في الراوي إنما هو كونه مسلماً عدلاً ضابطاً، أما التمذهب بمذهب مخالف لأهل السنة، فلا يعد عندهم جارحاً".^(٩٢)

مناقشته: وهذا القول هو أنساب الأقوال، وأوفقها بالسيرة العقلائية القائمة على الأخذ بأخبار الثقة من دون التعرض لمذهب، فعدم صحة المذهب لا تنافي الأمانة في النقل، فقد يكون الإنسان فاسد العقيدة ولكنه أمين في نقله ولا يكذب، إلا أن هذا القول يواجه عقبة كثيرة، فمع مخالفته لجمهور أهل الحديث من أهل السنة يصطدم باشتراط العدالة في الراوي، وهي مسلوبة من أهل البدع بعد أخذ الخلو من البدعة في حد العدالة، اللهم إلا أن يتلزموا بما التزم به محققوا الإمامية من اعتبار العدالة اللسانية في قبول الخبر لا العدالة بنحو الملكة، وهذا ما لم نجد له في كلماتهم عيناً ولا أثراً.

الأمر الثاني: أثر فساد العقيدة في عدالة الراوي عند الشيعة
من انتحل الإسلام من أهل القبلة وكان مخالفًا لمذهب أهل البيت عليه السلام، تارةً



يحكم بکفره كالغلاة والخوارج والنواصب^(٩٣)، وأخرى لا يحكم بکفره إلا أنه فاسد العقيدة عند الشيعة الإمامية لعدم إعانه بأصول وضروريات المذهب، فيقع الكلام في القسمين:

القسم الأول: من حكم بکفره

قد ادعى الإجماع على عدم قبول خبر الكافر مطلقاً حتى وإن اتّحَل دين الإسلام - كالجسمة والخوارج والغلاة - وكان ثقة في نقله^(٩٤)، بتقرير أن آية النبأ قد دلت على وجوب التثبت عند خبر الفاسق، فيلزم ذلك في الكافر بطريق أولى، بل نسب إلى كثير من العلماء أن الفاسق يصدق على الكافر حقيقة لغة وشرعاً، فإن الكافر يحكم بغير ما أنزل الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٩٥).

مضافاً إلى أن الكافر غير داخل في موضوع حجية خبر الواحد أصلاً، حيث أنه لا يتقيّد بالشرع فكيف يسمع قوله في نقل أحكامه؟^(٩٧).

إلا أن بعضاً آخر من العلماء يذهب إلى قبول خبره إذا كان ثقة محترزاً عن الكذب إذا كان يعتقد حرمة الكذب، إذ قبول الرواية من عدمه يدور مدار الوثاقة وصدق اللهجة وإن كان منحرفاً زائغاً عن الحق والحقيقة، وهذا ما سلكه السيد الخوئي قىٰ^(٩٨)، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في ترجمة كل من:

- (الحسن بن علي بن أبي عثمان سجادة):

قال في حقه الكشي: "على السجادة لعنة الله ولعنه اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، فلقد كان من العلائين^(٩٩) الذين يعمون في رسول الله ﷺ وليس لهم في الإسلام نصيب".

علق السيد الخوئي على ذلك بأن "الرجل وإن وثقه علي بن إبراهيم، لوقوعه في اسناد تقسيره إلا أنه مع ذلك لا يمكن الاعتماد على روایته لشهادة النجاشي بأن

الأصحاب ضعفوه، وكذلك ضعفه ابن الفضائري. نعم لو لم يكن في البين تضليل، لأمكننا الحكم بوثاقته، مع فساد عقيدته، بل مع كفره أيضاً^(١٠٠). فسبب توقف السيد الخوئي في حقه هو تضليل المتقدمين له لا لكره أو لطعنه بالنبي الأعظم عليه السلام.

- (محمد بن جعفر بن محمد بن عون الأستاذ):

قال النجاشي في حقه: "كان ثقة، صحيح الحديث، إلا أنه روى عن الضعفاء، وكان يقول بالجبر والتشبيه"^(١٠١).

وعلى ذلك السيد الخوئي "إنا لو ترزاينا وسلمتنا أن محمد بن جعفر كان فائلاً بالجبر والتشبيه، فلا ينبغي الشك في الاعتماد على روایته، بناء على ما هو الصحيح من كفاية وثاقة الراوي في حجية روایته، من دون دخل لحسن عقيدته في ذلك".^(١٠٢)

- (خييري بن علي الطحان):

قال عنه النجاشي "كوفي، ضعيف في مذهبها، ذكر ذلك أحمد بن الحسين، يقال في مذهبها إرتفاع"^(١٠٣).

علق على ذلك السيد الخوئي "ما ذكره النجاشي، عن أحمد بن الحسين من ضعفه في مذهبها، فإن الضعف في المذهب لا يدل على ضعفه في حديثه".^(١٠٤)

- (محمد بن علي بن بلاط):

ساق السيد الخوئي ثناء العلماء عليه ثم أعقبه بقوله: "ومع هذا كله، فقد أخذ إلى الأرض واتبع هواه وادعى البايبة".^(١٠٥)

قال الشيخ الطوسي: "ومنهم (المذمومين الذين ادعوا البايبة لعنهم الله)".^(١٠٦)

أبو طاهر محمد بن علي بن بلاط، وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري نصر الله وجهه، وتمسكه بالأموال التي كانت عنده للإمام

وامتناعه من تسلیمها، وادعائه أنه الوکيل حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان ما هو معروف^(١٠٩).

واختتم السيد الخوئي الترجمة بقوله: "المتلخص من جميع ما ذكرنا، أن الرجل كان ثقة مستقيماً، وقد ثبت انحرافه وادعاؤه البابية، ولم يثبت عدم وثاقته، فهو ثقة، فاسد العقيدة، فلا مانع من العمل برواياته، بناء على كفاية الوثاقة في حجية الرواية، كما هو الصحيح"^(١١٠).

ولكن هذا الكلام لا يخلو من تأمل إذ بعد فرض ادعاؤه البابية فهو يكذب على الإمام أرواحنا فداه يجعله إيه وكيلًا له طمعاً وحسداً، فانحرافه لم يكن بتاؤل لشبهة عرضت له، وإنما دعا العناد إلى ادعاء السفاراة كذباً وزوراً. فكيف يجتمع الكذب على الإمام عليه السلام مع الوثاقة؟

- (أحمد بن هلال العبرتائي):

قال الصدوق في حقه "حدثنا شيخنا محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد عليه السلام قال: سمعت سعد بن عبد الله يقول: ما رأينا ولا سمعنا بمتشيع رجع عن التشيع إلى النصب، إلا أحمد بن هلال"^(١١١).

قال السيد الخوئي: "لا ينبغي الإشكال في فساد الرجل من جهة عقيدته، بل لا يبعد استفادة أنه لم يكن يتدين بشيء، ومن ثم كان يظهر الفلومرة، والنصب أخرى، ومع ذلك لا يهمّنا إثبات ذلك، إذ لا أثر لفساد العقيدة، أو العمل في سقوط الرواية عن الحجية، بعد وثاقة الراوي، والذي يظهر من كلام النجاشي: (صالح الرواية) أنه في نفسه ثقة..."^(١١٢).

وقال أيضاً: "قيل في حقه: ما سمعنا بمتشيع رجع عن تشيعه إلى النصب إلا أحمد بن هلال وكان يظهر الفلو أحياناً، ولذا استقاد شيخنا الأنباري، أن الرجل لم يكن يتدين بشيء للبون البعيد بين الفلو والنصب، فيعلم من ذلك أنه لم يكن متديناً

بدين وكان يتكلم بما تشهيه نفسه. ولكن كل ذلك لا يضر بوثاقة الرجل وأنه في نفسه ثقة، صالح الرواية ولا تناهى بين فساد العقيدة والوثاقة".^(١١٣)

وقال أيضاً: "الأظهر أنه ثقة وإن كان فاسد العقيدة بل كان خبيثاً".^(١١٤)

وقال: "رفضه كثير من الأصحاب وطعنوا في دينه لأنه كان يتوقع الوكالة فلما خرج التوقيع باسم أبي جعفر محمد بن عثمان وكيل الناحية المقدسة توقف فيه ورجع عن التشيع إلى النصب، بل قيل إنه لم يسمع شيعي رجع إلى النصب ما عداه..... والذى تحصل لدينا بعد التدبر في حاله أن الرجل فاسد العقيدة بلا إشكال، إلا أن ذلك لا يقدح في العمل بروايته، ولا يوجب سقوطها عن الحجية بعد أن كان المناط فيها وثاقة الراوى عندنا لا عدالته وعقيدته، وتظهر وثاقة الرجل من عبارة النجاشي حيث قال في ترجمته (صالح الرواية) فإنها تكشف عن وثاقته في نفسه كما لا يخفى".^(١١٥)

إلا أن المامقاني علق على وصف النجاشي إياه بـ(صالح الرواية) بأن "الغالى الواقف الناصب الذى دعا الإمام عَلَيْهِ عَلِيٌّ عليه فى توقيع واحد بأدعية عديدة لا يدعو الإمام عَلَيْهِ بِهَا إلا على المرتد الخارج من الدين والمذهب كيف يؤمن من زيادة شيء فى الخبر أو نقصانه؟ وكيف يكون مثله صالح الرواية؟".^(١١٦)

ولا يخفى أن ما ذكره السيد الحوئي في الشواهد السابقة إنما هو على مبناه المختار في حجية خبر الواحد، من كفاية وثاقة الراوى وإن لم يحصل ركون واطمئنان بخبره، أما على ما سلكه كثير من المعاصرین من أن مدار الحجية هو الوثوق والاطمئنان فقد تتأثر النتيجة سلباً وإيجاباً باختلاف الموارد، إذ في كثير من الأحيان لا يحصل الوثوق والاطمئنان بقول المتهم فاسد العقيدة.

القسم الثاني: من لم يحكم بكفره

ذهب المشهور^(١١٧) من المتقدمين إلى شرطية (الإيمان) في الراوى، بمعنى كونه

إمامياً اثني عشرياً، ومقتضاه عدم جواز العمل بأخبار المخالفين لعقيدة الشيعة الإمامية، سواء أكان عامياً من أهل السنة، أم كان من فرق الشيعة الأخرى كالفطحية والواقفية والزيدية، مستدلين بذلك على فقد شرطية العدالة لمن هو فاسد العقيدة، إذ لا فسق أعظم من عدم الإييان^(١١٨)، فقد دلت الآية المباركة على أن الفسق شريطة وجوب التثبت، وأعظم الفسوق عدم الإييان^(١١٩). وأما عمل الأصحاب بأخبار غير الإمامية فهو من باب انجبارها بعمل المشهور واحتفافها بقرائن أخرى توجب الوثوق بتصورها عن المعصومين علیهم السلام^(١٢٠) لا من باب قبول خبر غير الإمامي.

وخالف في ذلك الشيخ الطوسي حيث جوز العمل بخبر المخالفين الثقات إذا رروا عن أئمتنا علیهم السلام ولم يكن في روایات الأصحاب ما يخالفه، ولا يعرف من الطائفة العمل بخلافه، وذلك لما ورد عن الإمام الصادق علیه السلام «إذا نزلت بكم حادثة لا تجدون حكمها فيما روي عنّا، فانظروا إلى ما رروا عن علي علیه السلام فاعملوا به»^(١٢١).

فعقب الشيخ الطوسي بعد سوقه لهذه الرواية بقوله "ولأجل ما قلناه عملت الطائفة بما رواه حفص بن غياث، وغياث بن كلوب، ونوح بن دراج، والسكنوي، وغيرهم من العامة عن أئمتنا علیهم السلام فيما لم ينكروه ولم يكن عندهم خلافه.

وأما إذا كان الراوي من فرق الشيعة مثل الفطحية، والواقفة، والناؤوسية، وغيرهم، نظر فيما يرويه فإن كان هناك قرينة تعضده أو خبر آخر من جهة الموثوقين بهم، وجب العمل به، وإن كان هناك خبر آخر يخالفه من طريق الموثوقين وجب اطراح ما اختصوا بروايته، والعمل بما رواه الثقة، وإن كان ما روه ليس هناك ما يخالفه، ولا يعرف من الطائفة العمل بخلافه وجب أيضاً العمل به، إذا كان متحرجاً في روايته، موثقاً في أمانته، وإن كان مخططاً في أصل الاعتقاد.

فلا لأجل ما قلناه عملت الطائفة بأخبار الفطحية، مثل عبد الله بن بكير وغيره،

وأخبار الواقفة، مثل سماعة بن مهران، وعلي بن حمزة، وعثمان بن عيسى، ومن بعد هؤلاء، وبما رواه ابن بنو فضال، وبنو سماعة، والطاطريون، وغيرهم، فيما لم يكن عندهم خلافه^(١٢٢).

إلا أن أكثر المحققين من المتأخرین لم يسترطوا في الراوی أكثر من الوثاقة من غير تفصیل، فإذا كان الراوی ثقة متحرزاً عن الكذب يشمله دلیل حجیة خبر الواحد وإن لم يكن عدلاً لفساد عقیدته، وذلك لقيام السیرة العقلائیة على قبول كل خبر كان المخبر به ثقة في نفسه أو موثوقاً به في نقله، ولم يثبت ردع عنها من قبل الشرع، بل ثبت من الشارع تأییده لما عليه السیرة، فقد ورد عن الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ في حق بنی فضال من الفطحیة «خذوا بما رأوا وذرروا ما رأوا» (١٢٣).

وعليه فإن مقتضى السيرة العقلائية المضادةحجية الموثقات، فإن العقلاء يرون على أنه لو بلغ أمر المولى إلى عبده بنقل ثقة غير إمامي، لا يكون العبد معذوراً في مخالفة أمر المولى في نظر العقلاء^(١٢٤). من هنا نجد تصريح المحققيين من العلماء بأنه "لا تنافي بين فساد العقيدة والوثاقة"^(١٢٥)، وأن "فساد العقيدة لا يضر بالرواية، لحجية خبر الثقة مطلقاً"^(١٢٦). وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

- (١) انظر: ابن الصلاح، علوم الحديث ص ١٠٤.
 - (٢) أحمد محمد شاكر، الباعث الحيث شرح اختصار علوم الحديث ج ١ ص ٢٨٠.
 - (٣) تدريب الراوي ج ١ ص ٣٥٢. (بتصرف)
 - (٤) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ص ٥٨.
 - (٥) المستصفى من علم الأصول ص ١٢٥.
 - (٦) إرشاد الفحول ج ١ ص ٩٥.
 - (٧) الكفاية في علم الرواية ص ٨٢.
 - (٨) حسن بن زين الدين العاملبي، معلم الدين ص ٢٠٠.

- (٩) عبد الله المامقاني، مقباس الهدایة ج ١ ص ٣٢٤.
- (١٠) الشهید الثانی، الرعاية في علم الدرایة ص ١١١.
- (١١) المصدر نفسه ص ١١٠.
- (١٢) عبد الله المامقاني، مقباس الهدایة ج ١ ص ٣٢٧. والسيد علي الفانی، بحوث في فقه الرجال ص ٥٩.
- (١٣) عدة الأصول ص ٢٨٢.
- (١٤) محمد باقر الصدر، بحوث في علم الأصول ج ٤ ص ٤٢٤.
- (١٥) محمد الفاضل اللنكراني، الاجتهاد والتقليد ص ١٠٣.
- (١٦) نزهة النظر في توضیح خبۃ الفکر ص ٥٨.
- (١٧) المختصر في علم الأثر ج ١ ص ١٥٧.
- (١٨) جلال الدين السيوطي، تدريب الرواية ج ١ ص ٣٨٣.
- (١٩) المصدر نفسه.
- (٢٠) المعتمد في أصول الفقه، ج ٢ ص ١٣٥.
- (٢١) الحصول في علم أصول الفقه، ج ٤ ص ٣٩٦.
- (٢٢) نزهة النظر في توضیح خبۃ الفکر ص ١٠٣.
- (٢٣) خلق أفعال العباد ص ٣٥.
- (٢٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٢ ص ٦٥.
- (٢٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ج ١ ص ٥٧٠.
- (٢٦) لسان الميزان ج ١ ص ١٠.
- (٢٧) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الروایة ص ١٢٠.
- (٢٨) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ج ١ ص ١٢.
- (٢٩) علوم الحديث ص ٢٩٩.
- (٣٠) تدريب الرواية ج ١ ص ٣٨٨.
- (٣١) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الروایة ص ١٢٠.
- (٣٢) المصدر نفسه.
- (٣٣) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الروایة ص ١٢٦.



- (٣٤) الباعث الحيث ص ١٠٢.
- (٣٥) كتاب الجروحين ج ٣ ص ٦٣.
- (٣٦) علوم الحديث ص ١٠٣.
- (٣٧) سؤالات أبي داود لأحمد بن حنبل ص ١٩٨.
- (٣٨) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية ص ١٢٨.
- (٣٩) ثمرات النظر في علم الأثر ج ١ ص ٤٦.
- (٤٠) معرفة علوم الحديث ج ١ ص ٥٣.
- (٤١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ج ٢٦ ص ١٢٨.
- (٤٢) أخرج له البخاري في صحيحه في اللباس، (باب لبس الحرير وافتراشه للرجال وقد ما يجوز منه)، رقم: (٥٤٩٧)، و(باب تصاویر)، رقم: (٥٦٠٨).
- (٤٣) هدي الساري ج ١ ص ٤٣٢.
- (٤٤) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢١٥.
- (٤٥) النكت على مقدمة ابن الصلاح ج ٣ ص ٤٠٠.
- (٤٦) حيث قال العجلي: "عمران بن حطّان بصري تابعي ثقة"، معرفة الثقات ج ٢ ص ١٨٨.
- وقال أبو داود: "ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج، فذكر عمران بن حطّان، وأبا حسان الأعرج"، المزي، تهذيب الكمال ج ٢٢ ص ٣٢٢.
- (٤٧) العتب الجميل ص ١٤٥.
- (٤٨) توجيه النظر إلى أصول الأثر، ج ٢ ص ٨٨٩.
- (٤٩) طاهر الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ج ٢، ص ٨٩٠.
- (٥٠) فتح الملك العلي ص ٢١٦.
- (٥١) أحوال الرجال ص ٣٢.
- (٥٢) نزهة النظر في شرح نخبة الفكر ص ١٠٩.
- (٥٣) فتح الملك العلي، ص ٢٢١.
- (٥٤) المصدر السابق.
- (٥٥) مقدمة فتح الباري ص ٥٢١.
- (٥٦) التكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل ج ١ ص ٤٦.

- (٥٧) فتح الملك العلي، ص ٢٢١.
- (٥٨) بيان نكت الناكل المعتدي ص ٥٤.
- (٥٩) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٥٩.
- (٦٠) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٩.
- (٦١) ميزان الاعتدال ج ١ ص ١١٨.
- (٦٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٥.
- (٦٣) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٦٦.
- (٦٤) شهاب الدين الحموي، معجم الأدباء ج ٦ ص ٢٤١٩.
- (٦٥) مقالات الإسلاميين ص ١١٦.
- (٦٦) أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المحسن ج ١ ص ١٥٧.
- (٦٧) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٤٢.
- (٦٨) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٦٨٥.
- (٦٩) ميزان الاعتدال ج ١ ص ١١٨.
- (٧٠) تدريب الراوي ج ١ ص ٣٨٦.
- (٧١) الكفاية في علم الرواية ص ٤٩.
- (٧٢) الكبائر ص ٢٣٦.
- (٧٣) ميزان الاعتدال ج ٥ ص ٢٨٥.
- (٧٤) تهذيب الكمال، ج ٥، ص ٥٧٦.
- (٧٥) المصدر نفسه ص ٥٧٢.
- (٧٦) الكامل في ضعفاء الرجال ج ٣ ص ٨٦.
- (٧٧) تاريخ ابن معين، ج ١ ص ٣٩٤.
- (٧٨) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤١٠.
- (٧٩) ميزان الاعتدال، ج ١ ص ١١٨.
- (٨٠) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤١٠.
- (٨١) لاحظ: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠٨، وج ٥ ص ١٢٩.
- ومسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٠



- (٨٢) انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ج ٨ ص ٥٢.
- (٨٣) الشورى: ٢٣.
- (٨٤) ج ١ ص ٨٦. وورد في الحديث الصحيح أيضاً عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: "أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله عز وجل، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل" ، محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٣ ص ٢٨٧.
- (٨٥) المناقون: ١.
- (٨٦) انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ج ٧ ص ٩٥، ومسلم بن الحاج النيسابوري، صحيح مسلم ج ١ ص ٥٦.
- (٨٧) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية ص ١٢٨.
- (٨٨) انظر: شمس الدين الأصفهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ج ١ ص ٦٩٦.
- (٨٩) محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات ص ٢٥٨.
- (٩٠) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ج ٢ ص ٣١.
- (٩١) الباعث الحيث ص ١٠٢.
- (٩٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١ ص ٧٥٢.
- (٩٣) انظر: علي الحسيني السيستاني، التعليق على العروة الوثقى ج ١ ص ٦٠.
- (٩٤) انظر: محمد آصف محسني، بحوث في علم الرجال ص ١٨٧. وجعفر السبحاني، أصول الحديث وأحكامه ص ١٣٢.
- (٩٥) المائدة: ٤٧.
- (٩٦) عبد الله المامقاني، مقياس الهدایة ج ١ ص ٣١١.
- (٩٧) محمد رضا الجلاوي، المنهج الرجالی ص ٩٠.
- (٩٨) يقول الكشي: "العلياوية، يقولون: إن علياً عليه السلام هرب وظهر بالعلوية الهاشمية، وأظهر أنه عبده ورسوله بالمحمديّة، فوافق أصحاب أبي الخطاب في أربعة أشخاص على وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، وإن معنى الأشخاص الثلاثة فاطمة والحسن والحسين تلبيس، والحقيقة شخص علي؛ لأنّه أول هذه الأشخاص في الإمامة. وأنكروا شخص محمد عليه السلام، وزعموا أنّ محمداً عبد (وعلي رب) وأقاموا محمداً مقام ما أقامته المخمسة سلمان، وجعلوه رسولاً لمحمد صلوات الله

عليه، فوافقوهم في الإباحات والتعطيل والتتساخ والعلائمة، سمتها المخمسة العلائية، وزعموا أن بشّاراً الشعيري لما أنكر ربوية محمد وجعلها في علي، وجعل محمدًا عبد علي، وأنكر رسالة سلمان، مسخ في صدره طير يقال له علياء يكون في البحر، فذلك سموهم العلائية". محمد بن الحسن الطوسي، اختيار معرفة الرجال ج ٢ ص ٧٠١. ويقول جعفر السبحاني: "فرقة العلائية، وهم الذين يقولون بربوية علي بن أبي طالب عليهما السلام وربما يفسر التصيرية أيضاً بهذا المعنى". كليات في علم الرجال ص ٤١٨.

(٩٩) محمد بن الحسن الطوسي، إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج ٢ ص ٨٤١.

(١٠٠) معجم رجال الحديث، ج ٦ ص ٢٥.

(١٠١) رجال النجاشي ص ٣٧٣.

(١٠٢) معجم رجال الحديث، ج ٦ ص ١٨٠.

(١٠٣) في مذهبه ارتفاع، يراد به تجاوز الموصوف به في عقيدته عن المد المقرر له في الشريعة فهو التجاوز بالزيادة والغلو، فإذا قيل لرجل أنه من أهل الطيارة ومن أهل الارتفاع يريدون بذلك إنه كان غالياً. انظر: عبد الله المامقاني، مقاييس الهدایة ج ٢ ص ١١٨. محبي الدين الغريفي، قواعد الحديث ج ٣ ص ١٧٨.

والجدير بالذكر أنه في كثير من الموارد يشك في أصل نسبة الغلو إلى الرواية، فإن كثيراً من نسب إليهم الغلو كانت لهم عقائد صحيحة متقدمة، إلا أن بعض الشيعة كانوا يعدون بعض العقائد الكاملة الصحيحة غلواً وإفراطاً. من هنا يقول الشيخ المامقاني: "إن المتبع النقيض يجد أكثر من رمي بالغلو بريء من الغلو في الحقيقة، وأن أكثر ما يمده اليوم من ضروريات المذهب في أوصاف الأئمة عليهما السلام كان القول به معدوداً في المهد السابق من الغلو"، تنقيح المقال ج ١ ص ٣٠٥.

(١٠٤) رجال النجاشي ص ١٥٥.

(١٠٥) معجم رجال الحديث، ج ٨ ص ٨٣.

(١٠٦) أي أنه ادعى السفاراة والنيابة الخاصة للإمام الحجة المنتظر عليهما السلام كذباً وبهتاناً.

(١٠٧) معجم رجال الحديث، ج ١٧ ص ٣٣٣.

(١٠٨) مابين القوسين للسيد الخوئي تتبّع.

(١٠٩) الغيبة ص ٤٠٠.

(١١٠) معجم رجال الحديث، ج ١٧ ص ٣٣٥.



- (١١١) كمال الدين وقام النعمة ص ٧٦.
- (١١٢) معجم رجال الحديث ج ٣ ص ١٥٢.
- (١١٣) كتاب الحج ج ١ ص ٢٩.
- (١١٤) المصدر نفسه ج ٥ ص ٥.
- (١١٥) كتاب الصوم ج ٢ ص ٣١١.
- (١١٦) تنقية المقال ج ٨ ص ٢١٧.
- (١١٧) الشهيد الثاني، الرعاية في علم الدراسة ص ١١٣. وحسن بن زين الدين العاملي، معلم الدين ص ٢٠٠.
- (١١٨) نفس المصدر.
- (١١٩) السيد الدمامي، الرواية السماوية ص ١٨٥.
- (١٢٠) الشهيد الثاني، الرعاية في علم الدراسة ص ١١٣.
- (١٢١) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٥٣.
- (١٢٢) عدة الأصول، ج ١ ص ٣٨٠.
- (١٢٣) محمد بن الحسن الطوسي، الغيبة ص ٣٩٠.
- (١٢٤) أبو القاسم الخوئي، مصباح الأصول ج ٢ ص ٢٣٤.
- (١٢٥) أبو القاسم الخوئي، كتاب الحج ج ١ ص ٢٩.
- (١٢٦) أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث ج ٣ ص ١٥٢.



تحقيق حول كتابي

قرب الإسناد ومسائل عليّ بن جعفر عليه السلام^(١)

محمد علي العزبي

روى محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري في قرب الإسناد عن أبيه عن عبد الله بن الحسن العلوي عن جده علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام، قال علي: «وأسأله عن رجل قدم مكة متمتعاً فأهل فيه، أله أن يرجع؟ قال: لا يرجع حتى يحرم بالحج، ولا يتجاوز الطائف وشبها خافة أن لا يدرك الحج، فإن أحب أن يرجع إلى مكة رجع، وإن خاف أن يفوته الحج مضى على وجهه إلى عرفات»^(٢).

وهي المروية في الكتاب المطبوع المعروف بمسائل علي بن جعفر أيضاً^(٣). وقد أخرّها الشيخ الحرّ في وسائله في الباب محل الشرح^(٤)؛ لما قيل من اضطراب نسختها كما عن ابن ادريس وهي النسخة المنسوبة له اليوم، وأقوائیة ما

تقدّمها من الأخبار سندًا وظهوراً.

حول قرب الإسناد

وقرب الإسناد الدائر اليوم منسوب لعبد الله بن جعفر الحميري، برواية ابنه محمد مع بعض الزيادات التي نصّ عليها آخر الكتاب في إجازته التي كتبها بخطه وأثبتت في النسخ المخطوطة وأهملت في المطبوعة اليوم، تارikhها صفر سنة ٤٣٠هـ، وهي إجازة لأبي عمرو سعيد بن عمرو بأن يرويا الكتاب عن أبيه وحدّها بقوله: "تمام الكتاب، وما كان فيه عن بكر الأزدي وسعدان بن مسلم فاروه عن أحمد بن إسحاق بن سعد عنهم"^(٥)، والأزدي هو بكر بن محمد الأزدي، روى عنه كثيراً في هذا الكتاب.

نعم، نسخة الكتاب منقولة عن خطّ أحمد بن محمد بن يحيى الأولي العاملي، نقلها عن خط ابن إدريس وقابلها ابن إدريس بنسخة الأصل، التي هي بخط ابن مهجنار البزار، في آخرها أيضاً قبل الإجازة الآنفة: "حدثني بكتاب قرب الإسناد لأبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري أبو غالب أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان الزراوي الكوفي رحمه الله، قال: حدثني عبد الله بن جعفر الحميري بهذا الكتاب وبجميع كتبه قراءة عليه وما لم أقرأه منها فإنه دخل في جملة ما أجازه لي، وقد أطلقت لأبي الغایم محمد بن علي بن الحسين بن مهجنار البزار أدام الله عزه ونفعه بالعلم" وانقطعت الورقة بما فيها من كلام.

ولا يجعلنا هذا نتردد في راوي الكتاب المصرح باسمه في أول كل كتاب ضمنه، وهو محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، وما الإجازة لابن مهجنار إلا في عرض إجازة عبد الله بن جعفر، بل هي مؤيدة لكون الكتاب هو لعبد الله بن جعفر لا لابنه.

كتاب واحد أم كتب متعددة:



والجَلَدُ -أعني كتاب قرب الإسناد- ثلاثة كتب: قرب الإسناد إلى الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقرب الإسناد إلى الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقرب الإسناد إلى الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع أنَّ الشيخ في فهرسته قال: "له كتب منها: كتاب الدلائل كتاب الطبَّ كتاب الإمامة كتاب التوحيد والاستطاعة والأفاعيل والبداء كتاب قرب الإسناد كتاب المسائل والتوقيعات كتاب الفيبة ومسائله عن محمد بن عثمان العمري وغير ذلك من روایاته ومصنفاتة وفهرست كتبه. وزاد ابن بطة كتاب الفترة والحقيقة كتاب فضل العرب. أخبرنا برواياته أبو عبد الله عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه و محمد بن الحسن عن عبد الله بن جعفر. وأخبرنا ابن أبي جيد عن ابن الوليد عن عبد الله بن جعفر"^(٦) ، واقتصر على ذكر كتاب واحد سماه قرب الإسناد، كما وقع التصريح به في إجازة الزرارى السابقة.

وعن النجاشي قال في عبد الله بن جعفر: "قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين وسمع أهلها منه فأكثروا وصنف كتاباً كثيرة يعرف منها: كتاب الإمامة كتاب الدلائل كتاب العظمة والتوحيد كتاب الفيبة والحقيقة كتاب فضل العرب كتاب التوحيد والبداء والإرادة والاستطاعة والمعرفة كتاب قرب الإسناد إلى الرضا [عليه السلام] كتاب قرب الإسناد إلى أبي جعفر بن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ كتاب ما بين هشام بن الحكم وهشام بن سالم والقياس والأرواح والجنة والنار والحديثين المختلفين مسائل الرجال ومكتباتهم أبي الحسن الثالث عَلَيْهِ السَّلَامُ مسائل لأبي محمد الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ على يد محمد بن عثمان العمري كتاب قرب الإسناد إلى صاحب الأمر عَلَيْهِ السَّلَامُ مسائل أبي محمد وتوقيعات كتاب الطب. أخبرنا عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار عنه جميع كتبه".^(٧)

ولم يذكر قرب الإسناد مجرداً عن الإضافة، ولا قرب الإسناد إلى الصادق والكاظم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وهو الكتابان المضمنان في الكتاب الدائر، والقدر المشترك بين ما

عدد النجاشي والكتاب الدائر هو قرب الإسناد إلى الرضا عليه السلام، والمفترق هما
قرب الإسناد إلى الجواد وصاحب الأمر عليهما السلام.

وما ذكره النجاشي^{رحمه الله} الأصل فيه الالتفات، وهو لا يعارض ما ذكره الشيخ^{رحمه الله}؛ فإنه قد يكون الكتاب في مجموعة فيسمى (قرب الإسناد) وهو ما ذكره الشيخ والزراي، وقد يفرق كما فعله الشيخ النجاشي^{رحمه الله}، حيث وقف على بعض الكتب وكتب أخرى؛ والذي يعزّز هذا روایة الحمیری كثيراً عن الإمام الحجة^{عليه السلام} من مكتباته وأجوبيته^{عليه السلام} عليها، وما رواه الشيخ الصدوق في كمال الدين وقام النعمة والشيخ في غيبته والطبرسي في احتجاجه من روایات الحمیری، وكذا يؤيّده نسق أخبار الحمیری^{الشناية} والثلاثية الوسائل عن أبي جعفر الثاني^{عليه السلام}.^(٨)

ويظهر من إجازة محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري في آخر النسخ المخطوطة نسبة الكتاب لأبيه بقوله: "أن تروي هذا الكتاب عن أبي"، وكل المجموعة في مجلد واحد، كما أن إجازة الزراري -المتقدم نصها- جاء فيها التصریح بنسبة الكتاب لعبد الله بن جعفر أيضاً، قال ابن مهجنار: "حدثني بكتاب قرب الإسناد لأبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري أبو غالب أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان الزراري الكوفي رحمه الله".

إلا أن يقال إنّ المقصود من الكتاب في إجازة الحميري هو قرب الإسناد إلى الرضا عَلَيْهِ وَهُوَ الْأَخِيرُ ضمّن الكتاب.

ويرد هذا التوهم أن الإجازة قد تضمنت زيادة رواية محمد بن عبد الله بن جعفر عن بكر بن محمد الأزدي وسعدان بن مسلم بتوسط أحمد بن إسحاق، والأول كل وقوعه في قرب الإسناد إلى الصادق عليه السلام^(٩) عدا مورد واحد في قرب الإسناد إلى الكاظم عليه السلام^(١٠)، والثاني انحصرت أخباره في قرب الإسناد إلى

الكافر عليه، وخلت أسانيد قرب الإسناد إلى الرضا عليه عنهم، فكيف يكون الكتاب خصوص ما عن الرضا عليه!

ويظهر أن استثناء روایات بكر بن محمد الأزدي وسعدان بن مسلم لكون الرواية عنهم هو محمد بن عيسى العبيدي المتهم عند كثير من العلماء، لذا نص في أربعة من خمسة أخبار سعدان أن الرواية عن محمد بن عيسى وأحمد بن إسحاق جميعاً، وقد روى عبد الله بن جعفر الحميري كتاب العبيدي المسمى بـ (قرب الإسناد) كما نص عليه النجاشي والشيخ رحمهما الله، فأراد محمد بن عبد الله الحميري التخلص شيئاً ما بضم طريق آخر لبعض الأخبار، ويلاحظ إكثار الحميري الرواية عن محمد بن عيسى وعن ابنه أحمد في هذا المصنف، وروايته موثقة في الكتب الثلاثة التي تضمنها كتابه.

ومنه يظهر لك بعد ما ذكره المحقق الطهراني في الذريعة: "له على بعض مرويات أبيه في الكتاب شبهة احتمال سقوط الواسطة، فيحتاط لرفع الشبهة بأن ما يروى في الكتاب عنهم، فاروه بتوسط أحمد عنهم"^(١).

فالكتاب بمجموع الكتب الثلاثة تصنيف عبد الله بن جعفر الحميري وهذه النسخة فيها زيادة رواية أحمد بن إسحاق على رواية محمد بن عبد الله الحميري عن أبيه مصنف هذا الكتاب.

هذا في شأن الكتاب ومؤلفه، وأما الاعتماد عليه فحاله حال بقية الكتب، والمدار على قيام ما يورث العلم بتصدور آحاد أخباره، لكن نسخته مبتلة ببيان متخلل بين عباراتها^(٢) سببه ما ذكره ابن إدريس من أنه استنسخها من نسخة رديئة، وهو ما يقلل درجة الاعتبار في الموضع التي يُحتمل فيها الخطأ.

مسائل علي بن جعفر

وأما مسائل علي بن جعفر فهو من الأصول المشهورة وفي هامش البحار

بتعمق الحق: "يوجد من المسائل نسخة مصححة مستنسخة عن نسخة تاريخ كتابتها سنة ٦٨٦^(١٣)، وهو الكتاب غير المبوب للمسائل، وأمّا المبوب فقد قيل أنه النسخة الواصلة للمجلسي رحمه الله وأجاز معاصره الحرّ في روايتها، وأنّها ما رواه عبد الله بن جعفر في قرب الإسناد، هكذا ذكر شيخنا السيد الجلاي في مقدمة كتاب مسائل علي بن جعفر.

النسخة المبوّبة لكتاب مسائل علي بن جعفر:

وقد أشكل على السيد زيادة مائة روایة في قرب الإسناد وهي النسخة التي وصفها بالمبوبة لكتاب المسائل، بل إنّه دام عزه ذهب إلى أنه لو جمع المؤتلف والمختلف في النسختين لحصلنا على كتاب المسائل الكامل.

وهذا كله قد بناه على أنّ كتاب قرب الإسناد إلى الكاظم عليه السلام هو النسخة المبوّبة لكتاب مسائل علي بن جعفر، ولم يدعه أحد من أهل التراثيين.

ومنشأ التوهم عبارة النجاشي رحمه الله، قال في ذكر علي بن جعفر قدس الله روحه ونور ضريحه: "له كتاب في الحلال والحرام يروي تارةً غير مبوب وتارةً مبوباً.

أخبرنا القاضي أبو عبد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا جعفر بن عبد الله المحمدي قال: حدثنا علي بن أسباط بن سالم قال: حدثنا علي بن جعفر بن محمد قال: سألت أبي الحسن موسى [عليه السلام] وذكر المبوب. وأخبرنا أبو عبد الله بن شاذان قال: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى قال: حدثنا عبد الله بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن الحسن بن علي بن جعفر بن محمد قال: حدثنا علي بن جعفر وذكر غير المبوب"^(١٤).

قال السيد الجلاي دام عزه: "ما ذكره النجاشي من أنّ له نسختين: مبوبة، وغير مبوبة، لا يعني وجود كتابين له، وإنّما هو كتاب واحد روى بصورتين. وهذا واضح. لكن المطبوع في رجال النجاشي -وما نقل عنه في المراجع الرجالية المتأخرة- في السند إلى

الكتاب هكذا: "حدثنا علي بن إسياط بن سالم، قال: حدثنا علي بن جعفر بن محمد، قال: سألت أبي الحسن موسى، وذكر المبوب.... عبد الله بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن الحسن بن علي بن جعفر بن محمد، قال: حدثنا علي بن جعفر، وذكر غير المبوب" وهذا غير صحيح؛ لأنَّ الموجود برواية عبد الله بن جعفر الحميري - وهو الذي أثبته في كتابه قرب الإسناد - قال: "حدثنا عبد الله بن الحسن العلوي، عن جده علي بن جعفر، قال: سألت أخي موسى بن جعفر^{عليه السلام}، عن الرجل عليه الخاتم الضيق"، إنما هي النسخة المبوبة على ترتيب الأبواب الفقهية من الطهارة والصلوة وبعنوان باب في كذا، فكيف يقول النجاشي عنها بالذات: إنها غير المبوبة؟! مع أنَّ النجاشي ذكر أولاً قوله: "له كتاب في الحلال والحرام، يُروى تارةً غير مبوب، وتارةً مبوباً". ثم ذكر الطرق إلى كل من الروايتين، وترتيب اللف والنشر يقتضي أن يكون الطريق الأول - المنهي إلى علي بن إسياط - إلى غير المبوب المذكور أولاً. وأن يكون الطريق الثاني - المنهي إلى عبد الله بن الحسن - إلى المبوب المذكور ثانياً. هذا، ولم أجد من تتبه إلى هذا التصحيح في كتاب النجاشي".^(١٥)

ثم قال في الأمر الثالث: "أنَّ كتاب (مسائل علي بن جعفر) موجود - ولله الحمد - بنسختيه المبوبة، وغير المبوبة. أمَّا المبوبة: فقد أوردها جميعها، راوتها في سند النجاشي الثاني "عبد الله بن جعفر الحميري" - في كتاب قرب الإسناد - في بداية الجزء الثاني إلى نهايته. وأمَّا غير المبوبة: فقد تعددت نسخها المخطوطة".
وقال في الأمر الرابع: "الملحوظ وجود اختلاف كبير بين النسختين، المبوبة وغير المبوبة من حيث عدد المسائل الموجودة في كلِّ منها، ففي المبوبة تحتوي على ٤٢٩ حديثاً ومجموع ما في المبوبة ٥٣٣ حديثاً".

ثم زاد: "إنَّا لو جعلنا أصل الكتاب ما تحتويه النسخة المبوبة وهو ٥٣٣ حديثاً، وأمكننا أن نضيف إليها ما في النسخة غير المبوبة مما لم يرد في المبوبة، حصلت لدينا

مجموعة أكبر من "المسائل" الثابتة في النسخ المسماة بكتاب المسائل. فلو جعلنا تلك المجموعة أساساً، وأضفنا عليها ما كان بعنوان "السؤال عن أخيه" حصلت لنا مجموعة أكبر من المسائل، بما يوجب الاطمئنان بحصولنا على كتاب "المسائل" الكامل^(١٦).

وليس خفيّاً على الحقّ السيد دام عزه أنَّ النجاشي قد التزم غالباً بما تعهّد به بذكر طريق واحد للكتب اختصاراً، ولذا لا ننفع من كون النجاشي يروي النسخة المبوّبة بغير طريق عبد الله بن جعفر، كما أثنا أوقفناك على رواية كتاب علي بن جعفر بواسطة ابن مهجانار عن الزراري عنه، ولا ننفع أيضاً من تعدد روایة النسخة غير المبوّبة، فنكون تارةً برواية الحميريّ وأخرى بغيره.

والحاصل: أنَّ التوهم نشاً من تصور أنَّ النسخة المبوّبة لها طريق واحد، وأنّها بعينها ما ذكره في قرب الإسناد إلى الكاظم عَلَيْهِ الْكَاظِمَةُ.

وأمّا ما ذكره من زيادة روايات قرب الإسناد إلى الكاظم عَلَيْهِ الْكَاظِمَةُ - وهي التي أسمتها النسخة المبوّبة - فإنَّه أمر لا غرابة فيه، أو لاً: لما عرفت من مغايرة قرب الإسناد لكتاب مسائل علي بن جعفر المطبوع، وثانياً: لأنَّ الزيادات في قرب الإسناد إلى الكاظم عَلَيْهِ الْكَاظِمَةُ وقع بعضها عن الكاظم عن أبيه عَلَيْهِ الْكَاظِمَةُ، وبعضها فيما رواه الحميريّ عن غير سؤالات علي بن جعفر رضوان الله تعالى عليه، ومثاله - غير الأوحد - ما نبهناك عليه سابقاً عند التكلُّم في قرب الإسناد بأنَّ علي بن جعفر روى في كتابه روايات محمد بن عيسى العبيدي المحتمل قوياً أنّها من كتاب (قرب الإسناد) للعبيدي الذي يرويه الحميري نفسه، فكيف يكون الجمع بين كتابي قرب الإسناد إلى الكاظم عَلَيْهِ الْكَاظِمَةُ وكتاب مسائل علي بن جعفر منتجأً لكتاب مسائل علي بن جعفر الكامل!.

النسخة المتداولة لكتاب مسائل علي بن جعفر:

ولسيدهنا السيد الزنجاني دامت لذاته معارضه لكتاب المطبوع اليوم باسم مسائل

الموافق، فكل انفراد للكتاب لا يلبس ثوب الصحة والاعتبار^(١٧).

وكيفما كان، فإنّ أغلب نسخ الكتب التي ادعى العثور عليها في زمن المحسنيين وكذا المحدث التوري قدس الله أسرارهم، قد ابتليت بالتشكيك؛ لأنّ أكثرها إنّما نسب لأصحابها المظنوين دون أن تقوم حجة واضحة على صحة النسبة؛ إذ كانت وجادة بغير قرينة صحة، وما هو إلا لعدم تعاهد سنة القراءة والتناول والإجازة المعترضة والاتّكال على نسخ الصحفين والسوق، حاشا علماءنا الثقة والمؤمنين.

ترتيب مسائل علي بن جعفر:

ثم إنّ الكتاب قد رتبه الشيخ ناصر الجارودي المجاز من الشيخ السماهيجي، وقد نبه عليه الحق الطهراني في الذريعة بقوله: "وهذا الترتيب للشيخ ناصر بن محمد الجارودي المعاصر للشيخ عبد الله السماهيجي والمجاز منه بالإجازة المدبجة في سنة (١١٢٨)، وأشار السماهيجي في إجازته هذه إلى ما تتبّه إليه الشيخ ناصر

علي بن جعفر سمعته منه مرتين على الأقل في محضر بحثه، وحاصله: أنّ هذا الكتاب المطبوع غير معلوم الانطباق مع مسائل علي بن جعفر المشهور ذي الطرق المعترضة، وأنّ طريقه فيه مجاهيل لم يذكروا، وأنّ أخباره أقلّ من أخبار كتاب قرب الإسناد إلى الكاظم عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ بَشِّرَه بنحو مائة روایة، وفي جملة الأخبار شذوذ، ومنها ما لم يرو في كتاب قرب الإسناد ولا غيره من المصادر، بل شبه هذا الكتاب -المطبوع- بديوان حافظ من جهة إثبات روایات منسوبة لعلي بن جعفر عن أخيه على أنها من كتاب مسائل علي بن جعفر، وخلص إلى عدم اعتبار هذه النسخة وأنّها لشخص مجهول حاول الجمع بين روایات مسائل علي بن جعفر التي توافق ما نقله الكليني عن العمركي عن علي بن جعفر، وروایات قرب الإسناد للحميري، وبعضها مطابق لهما وبعضها لا، وبعضها شاذ لا وجود له في المصادر

المجاز من أنّ صريح السند الأوّل في هذه المسائل أتّه روى "علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ" قال: سألت أبي جعفر بن محمد عن كذا ف قال كذا ، وبعد السند الأوّل لا يذكر سندًا آخر أصلًا، بل إنّما يقول: "سألته عن كذا، فقال: كذا" ، وظاهره أتّه عطف على سأله أبي جعفر المذكور قبله، فسائل سأله من أوّل المسائل إلى آخرها هو الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وقد سأله من أبيه الإمام جعفر بن محمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وهو المحبوب عنها، فالمدون لتلك السؤالات والجوابات هو الإمام الكاظم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وبما أنّ علي بن جعفر هو الراوي لها عنه فنسبت المسائل إليه.

أقول (والكلام للطهراني): لو كان سياق جميع المسائل بعنوان سأله لكان الأمر كما نبّه عليه، لكن في مسألة رفع اليدين بالتكبير ما لفظه: "قال علي بن جعفر: قال أخي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: على الإمام أن يرفع يديه في الصلاة وليس على غيره أن يرفع يديه في التكبير" ، وفيه أيضًا: "قال علي بن جعفر: قال أخي: قال علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: وضع الرجل" إلى آخره، فيظهر من هذه الموضع أن المدون لكتاب هو علي بن جعفر، جمع فيه مجموع روایاته عن أخيه، وهي على ثلاثة أصناف: (١) سؤالات أخيه من أبيه وجوابات أبيه عنها، (٢) ما ذكره أخوه من نفسه، (٣) ما رواه أخوه مرسلاً عن أجداده^(١٨).

والحق أنّ الجارودي^{١٩} كان متبنّاً لتنوع الأخبار عن الكاظم والصادق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وكان هذا هو الداعي لأن يقول الجارودي في أوّل كتابه (ترتيب مسائل علي بن جعفر): "فهذه نبذة تتضمن ترتيب المسائل الجعفريات والكاظميات على المحبوب عنها أفضل الصلوات"^(٢٠) ، كما أتّه ميّز بين ما انتهي فيه إلى الكاظم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وبين التي إلى الصادق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، بقوله في أول الثاني: "من الجعفريات"^(٢١) ، وفي بعض الأوّل: "من الكاظميّات".

لكن صريح السند الأوّل في الكتاب المطبوع من المسائل هو ما نصّه: "أخبرنا

أحمد بن موسى بن جعفر بن أبي العباس قال: حدثنا أبو جعفر بن يزيد بن النضر الغراساني من كتابه في جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانين ومائتين قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، عن علي بن جعفر بن محمد، عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال: سألت [أخي موسى بن جعفر] عن رجلٍ واقع امرأته قبل طواف النساء متعمداً الحديث.

وما بين المعقوفين من تصويبات السيد الجلاي دام مجده، إذ قال في الهاشم: (في " ق " و " م " و " ض " : سألت أبي جعفر بن محمد، وما في المتن من هامش " م " ، والظاهر أنه الصواب، قال المجلسي توفي في بيانه على العبارة في البحار ١٠ : ٢٩١ قوله (قال: سألت أبي) يدل على أن السائل في تلك المسؤولات الكاظم عليهما السلام، والمسؤول أبوه عليهما السلام. وفي قرب الإسناد وسائل كتب الحديث السائل علي بن جعفر، والمسؤول أخيه الكاظم، وهو الصواب، ولعله اشتبه على التسخ أو الرواة، ويدل عليه التصرير بسؤال علي عن أخيه في أثناء الخبر مراراً، وليس هذا العمل من السيد بالصائب، فإن اتفاق النسخ على رواية الكاظم عن أبيه عليهما السلام، وما في هامش إحداها إن لم يكن تصحيحاً فهو كاستظهار المجلسي في البحار، لا ينصرف له ويترك الأصل.

إضافةً لكون الرواية المشار إليها والذي قال المجلسي أنها مروية في كتب الحديث عن علي بن جعفر سائلاً أخيه الكاظم عليهما السلام، قد رویت - كما ذكر رحمة الله - في قرب الإسناد والمسؤول فيها هو الكاظم عليهما السلام^(٢٢)، ولم نقف على روایتها في كتب الخاصة الأخرى، كما أن الاستدلال على الخطأ المدعى - بالقول أن المسؤول هو الكاظم عليهما السلام وقفًا عليه وأن ذكر أبيه الصادق عليهما السلام خطأ - بكتاب قرب الإسناد غير سليم عن شائبة الإشكال؛ إذ قد عرفت المختار في ما انفردت به نسخة كتاب قرب الإسناد وأنها لا توجب الاطمئنان؛ لما دخل نسختها الوالصلة إلينا بنسخ ابن إدريس عليهما السلام من البياض والمحو ورداءة الخط كما هو مفاد

كلام ابن إدريس نفسه في المنشول من خطه بنحو يكن الميل إليه، هذا، ولا يخفى أنه لو تم القول بسلامة نسخة المسائل وبأن كتاب قرب الإسناد إلى الكاظم عليه السلام هو النسخة المبوبة لمسائل علي بن جعفر، أو أنه معاير له لكن أكثره ترتيب لكتاب المسائل، صعد احتمال الخطأ في كتاب قرب الإسناد لا أصله وهو كتاب مسائل علي بن جعفر، فإن الخطأ في نسبة الرواية لأحد الموصومين المتقاربين أو المشتركين في الكني أمر واقع كثيراً، خاصة في الكتاب الناقلة من الأصول التي تكون غير المرتبة غالباً، وبهذا ينعكس التصحيح، فيصحح قرب الإسناد بالنظر لكتاب المسائل لا العكس.

تحقيق نسبة المؤلف:

تقديم أن صريح السندي المطبوع هو: "أخبرنا أحمد بن موسى بن جعفر بن أبي العباس قال: حدثنا أبو جعفر بن يزيد بن النضر الخراساني من كتابه في جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانين ومائتين قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، عن علي بن جعفر بن محمد، عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال: سألت [أخي موسى بن جعفر] عن رجل واقع امرأته قبل طواف النساء متعمداً الحديث، وبان لك الصحيح في ما بين المعقوتين.

والذى أشار إليه شيخنا الحق السيد الزنجانى أمد الله في عمره، أن سنده هذه النسخة فيه التصريح بأنها من حديث أبي جعفر بن يزيد بن النضر الخراساني من كتابه في جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانين ومائتين، فهي مما اختاره أبو جعفر الخراساني وضممه كتابه وحدث به من حديث الكاظم عليه السلام برواية علي بن جعفر، فكيف يُقال بعد أن هذا هو كتاب مسائل علي بن جعفر غير المبوب ويُشار إليه ويرجع له بهذه الصفة !.

السندي وتصحيحه:

وأبو جعفر بن يزيد بن النضر الخراساني لم يذكروه.
ونختمل الخطأ في السندي فقد نقل السيد إعجاز حسين في كشف الحجب
سندًا فيه تغيير، قال:

"المسائل لعلي بن جعفر أخي موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام": قال العلامة المجلسي عند ذكره مأخذ البحار: "كتاب المسائل المشتمل على جل ما سأله السيد الشريف الجليل النبيل علي بن الإمام الصادق جعفر بن محمد من أخيه الكاظم صلوات الله عليهم أجمعين". أولها أخبرنا أحمد بن موسى بن جعفر بن أبي إلياس قال: حدثنا أبو جعفر أحمد بن يزيد بن نصر الخراساني من كتابه في الجمادى الأخرى سنة إحدى وثمانين ومائتين، قال: حدثنا علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن علي بن جعفر بن محمد عن أخيه موسى بن جعفر قال: سألت أبي جعفر بن محمد عن رجل وقع أمراته قبل طواف النساء معتمدًا ما عليه قال يطوف عليه بذمة الخ".^(٢٣)

وهو المثبت أول مخطوط المكتبة الرضوية على صاحبها السلام والتحية، باسم (المسائل) ورقم: (٣٧٩٨) م من نسخ القرن الثالث عشر الهجري كما في فهرست المكتبة، وأظنها مما اشتراه السيد الخامنائي حفظه الله وأيده من مخطوطات الهند، ولم تقع بيدي مصوريها حتى الآن.

وفي رجال الشيخ في إبراهيم بن يزيد من رجال أبي محمد العسكري روحي فداه ما يدل على وجوده، قال: "(وأخوه أحمد بن يزيد)"^(٢٥)، ومن هو في هذه الطبقة قد أدرك سنة ٢٨١ في كبره.

وروى التوري في مستدرك الوسائل ما يدل على تلقيبه بالخراساني، فقد روى عن جعفر بن أحمد بن علي القمي في كتابه المنسليات حديثا فيه أحمد بن يزيد ولقبه بالخراساني وطبقته تناسب زمن العسكري عليه السلام أيضاً، قال: "حدثنا أبو

الفرج محمد بن سعيد بن علي بن سعيد الكوفي، قال: حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي، قال: حدثني أحمد بن يزيد^(٢٦) الغراساني، قال: حدثني محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^{عليهما السلام}، قال: حدثني يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين^{عليهما السلام}، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب^{عليهما السلام}، قال: حدثني محمد بن عقيل بن أبي طالب، قال: حدثني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال: رأيت النبي^{صلوات الله عليه وآله وسلامه} متختماً في يمينه -إلى أن قال- قال أحمد بن يزيد: ورأيت محمد بن جعفر، متختماً في يمينه"^(٢٧) الحديث. ورواية أحمد بن محمد بن سعيد ابن عقدة المتوفى سنة ٣٣٣هـ تناسب الرواية عن أحمد بن زيد.

صاحب الكتاب المعروف بمسائل علي بن جعفر:

صاحب الكتاب هو أحمد بن يزيد الغراساني على الأرجح، وهو المذكور في التراجم والأسانيد، أخو إبراهيم بن يزيد من أصحاب أبي محمد العسكري^{عليهما السلام}، ويروي ابن عقدة عن أحمد بن يزيد هذا، و(النضر) في سند المطبوع من المسائل تصحيف (نصر) على احتمال.

ولا يبعد أن يكون (أحمد بن موسى بن جعفر بن أبي العباس) في سند المطبوع تصحيف (أحمد بن موسى بن جعفر بن أبي إلياس) كما نقل السيد إعجاز في كشف الحجب وأيدته خطوطه المكتبة الرضوية؛ غير أن أحمد بن موسى لم أقف على ذكر له، وابن أبي إلياس لقب به غيره، ووقوع الاشتباه في رسم (ال Abbas) وإلياس متوقع جداً من النساخ.

وهذا الكتاب حاله كمجموع ما نسب لغيره، خصوصاً ما ظفر به الجلسيان رحمهما الله، فقد أسرعاً في تسمية الكتب الواصلة إليهما وإثبات مؤلفيها والإجازة بروايتها. فالكتاب ليس في اعتبار الأصول المعروفة والكتب المشهورة، لكنه -بلا

شك ولا ارتياـب - صالح للقرئـيـة والاستدلال به على نحو الشهادة والتأيـيد، بل لو انحصر الدليل فيه - وهو أمر نادر - واجتـمـعـتـ عـوـاـمـلـ الـوثـوقـ بـخـبرـهـ كانـ حـجـةـ فيـ العـلـمـ.

وتحقيق النسبة من الأمور الشاقة والتي تحتاج لتبّع وسعة يد في توفر النسخ والمخطوطات المختلفة، ولو وجدنا من يفتح لنا مكتباته الخاصة وال العامة لقلّنا صفحات كتبها وغضنا في كنوزها، نسأل الله أن يقيّض لنا وللمؤمنين ما نأمله، كما سهل عبئه لنا الكثير مما لم نختسبه، وكله بلطفه تعالى الحميد الكريم.

الهوا مش:

- (١) مستلّ من بحثنا حول جواز خروج المتممّ بالحج من مكة بعد عمرته وقبل الحج.

(٢) قرب الإسناد: ٢٤٣ / ح ٩٦٢.

(٣) مسائل علي بن جعفر: ٢٦٦ / ح ٦٤٣.

(٤) الوسائل ١١: ٣٠٥ / ب ٢٢ ح ١٢.

(٥) انظر صور مخطوطات الكتاب آخر مقدمة الكتاب المحقق بواسطة مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

(٦) الفهرست: ٢٩٤ / ر ٤٤٠.

(٧) النجاشي: ٢١٩ / ر ٥٧٣.

(٨) منه ما في العلل، والعيون، عن أبيه ومحمد بن الحسن عن سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري ومحمد بن يحيى العطار وأحمد بن إدريس جمیعاً عن أحمد بن أبي عبد الله البرقاني عن أبي هاشم داود بن قاسم الجعفري عن أبي جعفر محمد بن علي الشافعي قال: أقبل أمير المؤمنين عليهما ذلت يوم ومعه الحسن بن علي عليهما وسلاماً الفارسي ثم حججاً.

المحدث.

- وليسعدان: ح ٣١٥ و ١٢٢٣ و ١٢٢٥ - ح ٣٤١ و ١٢٢٦ - ح ١٢٤٨، والأخير بواسطة محمد بن عيسى بن عبيد منفردا بدون أحمد بن إسحاق.
- (١٠) قرب الإسناد: ح ٣١٤ و ح ١٢١٩.
- (١١) الذريعة ١٧: ٦٨.
- (١٢) انظر مثلا: ص ٣٩٤ ح ١٣٨٢ و ح ١٣٨٣.
- (١٣) بحار الأنوار ١٠: ٢٤٩. ووُجِدَت في الفهارس نسخة مسائل علي بن جعفر في مكتبة (مدرسة مروي) محررة على يد (محمد بن حسين بن علي بن حسين مازندراني) منسوخة عن نسخة بتاريخ ٦٨٦، وهي برق (٤٧٩)، ولم تصلني صورتها.
- (١٤) فهرست النجاشي: ٢٥١ / ر ٦٦٢.
- (١٥) مقدمة محقق كتاب مسائل علي بن جعفر: ٧٠-٧١.
- (١٦) مقدمة المحقق في كتاب مسائل علي بن جعفر: ٧٤.
- (١٧) بحث السيد النجاني دام ظله يوم ١٣٨٨/٧/١٤ هـ ش.
- (١٨) الذريعة ٤: ٦٨ / ٢٨٢: ترتيب مسائل علي بن جعفر).
- (١٩) ترتيب مسائل علي بن جعفر: ٢٩.
- (٢٠) وأول هذه الموارد في ترتيب مسائل علي بن جعفر: ٥٣ / الباب السابع (في موجبات الغسل) ح ٢.
- (٢١) منها في ص ١٥٥ ح ٢.
- (٢٢) قرب الإسناد (إلى الكاظم علّيَهِ السَّلَام): ح ٢٤٣ و ٩٦٣.
- (٢٣) هكذا في المصدر، والظاهر هو (واقع) راجع البحار، ج ١٠، ص ٢٤٩.
- (٢٤) كشف الحجب: ٥١٠ / ر ٢٨٦٨.
- (٢٥) رجال الشيخ: ح ٣٩٧ / ١٢ في أصحاب أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام (باب المهمزة).
- (٢٦) في بعض نسخ المنسنفات في هذا الموضع: «أحمد بن يحيى» والصحيح ما أثبتناه وهو موجود في نسخ صحيح طالعناها، انظر مخطوط مكتبة البروجردي رقم ٢٨٨ / صورة ٧٥ الجانب الأيسر.
- (٢٧) مستدرك الوسائل ٣: ٢٨٥ / ح ٣٥٩٨.





Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

- General Supervisor &
Executive Manager:
Abdulla Ali Al daqaq
 - Editor in Chief:
Aziz Hassan Salman
 - Editor in Director:
Abdulraoof Hassan Alrabia
 - Chairman of the Editorial Board:
Ghazi Abdulhassan
- Editorial Board:
- husain ali abu rwais
husain fuad Almarzooq
mohammed ali khatam
m.bager khalil Alshaikh



A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom

